الكشف اليسير

دراسة إحصائية

لمفردات القران الكريم

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(/ /٢٠١٤)

.
،
/ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٤.
() ص
ر.أ: (/ /٢٠١٤).
الواصفات:////

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

Ajarrar999@yahoo.com
خلوي 712 88 99 77 962 +

دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail : daralmamoun2005@hotmail.com

الكشف اليسير

دراسة إحصائية

لمفردات القران الكريم

الجزء الثاني

الباب الثالث

القصص في القرآن الكريم

تأليف

أبو الوسيم علي بن خيري آل جرار



دار المأمون للنشر والتوزيع




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الجزء الثاني

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه من الحمد والثناء والتسبيح، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه، أما بعد : فقد عرضت في مقدمة الجزء الاول بما فيه الكفاية ، حول اسم الكتاب وموضوعه وما اتبعت من أسلوب في كتابته، ولكني أحببت أن أنوه هنا، الى انني قد قسمت الكتاب - بسبب طوله- الى جزأين، شمل الجزء الاول باب الإيمان وباب الكائنات، وأفردت لباب القصص هذا الجزء، تناولت فيه ما تيسر لي من القصص التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، من قصص السابقين لعهد رسول الله، ثم قصص رسول الله والصحابة الذين عاصروه، كذلك قصص الكفار والمنافقين ممن عرّفنا القرآن بهم، وأخبرنا من خبرهم، لتكون قصصهم عبرة، نهتدي بها لما يقربنا من الله لنفوز برضاه ومغفرته، ونبتعد بمحاذيرها عما يودي الى الكفر والنفاق والعياذ بالله. أسأل الله التوفيق، والثواب لمن ألفه ولمن قرأه، ثم أسال اخواني القراء الدعاء بظهر الغيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كما أود التنويه ألى أن بعض القصص ؛ كقصة قوم هود، وقوم صالح، وبعض أقوام الانبياء الآخرين قد أوردت قصصهم عندما تحدثت عن الانبياء عليهم السلام، وذلك في باب الأيمان، في الجزء الأول من هذا الكتاب، والله من وراء القصد.

المؤلف

أبو الوسيم علي بن خيري آل جرار



قصة الخلق

لم يكن في البدء إلا الله سبحانه ولم يكن معه شيء، فهو القديم الأزلي القدم، وكل ما هو سواه فمحدث مخلوق من العدم بأمره. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ وَكِيلٌ﴾ **[الزُّمَر: ٦٢] فلما شاء سبحانه خلق خلقه في ستة أيام قال تعالى:** ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾ **[الحديد: ٤] وقد اختلف العلماء في هل كان قبل خلق السموات والأرض شيء، أم لم يكن. ولكن الله بين حسم هذا الخلاف قال تعالى: بل كان قبل السموات والأرض مخلوقات أخر لقوله تعالى:** ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ **[هود: ٧] ووقع خلاف أيضا فيما خلق أولا، عرش الرحمن أم القلم أم الماء. وفيما بدأ لي من دراسة الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة المتعلقة بالموضوع، أن أول ما خلق سبحانه ـ في عالمنا المشهود ـ الماء لقوله تعالى:** ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ **[هود: ٧] وروى الإمام أحمد بن حنبل: (ج٤ مسند المدنين رقم ١٥٦١١) عن أبي رزين العقيلي أنه قال يا رسول الله أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق السموات والأرض قال: (في عماء ما فوقه هواء وتحته هواء ثم خلق عرشه على الماء) ـ وذلك لا ينفي ولا يمنع ـ والله أعلم ـ أن يكون سبحانه قد خلق قبلنا خلقا هو أعلم به، فإن ما عندما من علم الله ليس إلا النزر اليسير، وهو سبحانه أعلم بما خلق وبمن خلق، قال تعالى:** ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٍ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ **[البقرة: ٢٥٥]، فما بين أيدينا هو العلم المشهود الذي علمنا إياه سبحانه، وما خلفنا هو العلم المخبوء في علم الغيب عند الله، ولا يحيط به أحد سواه، قال تعالى:** ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا

قَلِيلًا ﴾
[الإسراء: ٨٥].

يتضح من الحديث أنه كان سبحانه خلق الهواء والماء ثم العرش. أما القلم فخلق بعد ذلك، روى مسلم في الصحيح (كتاب القدر رقم ٦٩١٩) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ـ قال ـ وعرشه على الماء». فدلَّ هذا الحديث أن ذلك بعد خلق العرش فثبت تقديم العرش على القلم الذي كتب به المقادير. كما ذهب إلى ذلك الجماهير. ويحمل حديث القلم على أنه أول المخلوقات من هذا العالم. وهذا ما عليه الجمهور قالوا: فهذا التقدير هو كتابته بالقلم المقادير.

وقد وقع خلاف بين الملل في أي يوم بدأ الله فيه الخلق، فقالت اليهود يوم الأحد، وقالت النصارى يوم الإثنين، أما نحن المسلمين فمن قائل أنه يوم السبت، لما روي عن أبي هريرة، ومن قائل أنه يوم الأحد، وقد كثر اللغط بين العلماء والفقهاء في ذلك، قديما وحديثا، (ولمن أراد الاستزادة، والوقوف على الخلاف وما قيل فيه الرجوع إلى كتب الحديث وكتب التفسير، والتاريخ الكبير للبخاري). ولما رأيت والله أعلم أن معرفة ذلك اليوم تحديدا لا تزيد في الإيمان شيئا، وعدم معرفته لا تنقص منه، فقد رأيت تجنب الخوض فيه، ورأيت أن اقتصر على ما ذكر في القرآن الكريم عن تلك الأيام، أيام الخلق الستة، ففي ذلك الكفاية والله من وراء القصد. (ولقد ورد ذكر الأيام الستة في سبعة مواضع، في سورة الأعراف: ٥٤، وسورة يونس: ٣، وسورة هود: ٧، وسورة الفرقان: ٥٩، وسورة السجدة: ٤، وسورة ق: ٣٨، وسورة الحديد: ٤)، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[ق: ٣٨]، فالخلق تم في ستة أيام، خلقت الأرض في يومين، قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [فُصِّلَت: ٩]، ثم خلق سبحانه الرواسي وهي الجبال، وأتم خلقها ـ أي الأرض ـ وبارك فيها وقدر الأقوات في أربعة أيام قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا

رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فُصِّلَت: ١٠] ثم استوى سبحانه إلى السماء وهي دخان، فجعلها سبع سماوات وقدر فيها ما شاء في يومين ـ وهذا يقتضي حكما أن السماء خلقت قبل الاستواء ـ فكان ذلك تمام الستة أيام، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [فُصِّلَت: ١١-١٢] وفي قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ٢٩ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ٣١ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ٣٢ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾ [النازعات: ٢٧-٣٣] ترشد الآيات أنه تعالى لما أتم خلق ما خلق من الأرض في اليومين الأولين، أتم ما شاء أن يخلق منها في اليومين التاليين، مع ابتداء خلق السماء في هذين اليومين، فخلقها دخانا، ثم أمرهما أن يأتيا طوعا أو كرها، بعد تمام الأيام الأربعة، وأتم في اليومين الأخيرين وهما تمام الستة أيام، أتم خلق الأرض وخلق السماء، بما قضى فيهما مما شاء سبحانه، فاكتمل بذلك الخلق في ستة أيام، لقوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠] والدحي لغة هو البسط والتوسيع (لسان العرب)، ترشد الآية أن ذلك حدث بعد خلق السماء في يومين وتم فيهما إخراج الماء والمرعى وإرساء الجبال، قال تعالى: ﴿أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ٣١ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ٣٢ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾ [النازعات: ٣١-٣٣] والخلاصة أن الله سبحانه قد بدأ خلق الأرض في يومين ثم السماء في اليومين التاليين، ثم أتم خلق الجميع في اليومين الأخيرين، فتلك ستة أيام، لقوله جل من قائل: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَا﴾ [فُصِّلَت: ١١-١٢]
وكان آخر خلق الله بعد ذلك آدم عليه السلام، فقد خلقه سبحانه يوم الجمعة في آخر ساعات النهار، روى مسلم في الصحيح (فضل يوم الجمعة رقم ٢٠١٤) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة».
هذا وقد تحدثت في باب الكائنات عن الخلق بما فيه الكفاية، وبما يغني عن الإعادة. (التفاسير) باختصار.

لطيفة حول خلق السموات والأرض

عندما قضى الله جلت قدرته خلق السموات والأرض وشاء ذلك، فإن القدرة كانت تقتضي أن يتم ذلك بالكلمة، قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ **[البقرة: ١١٧]، فهو سبحانه مبدع السموات والأرض وما فيهن، وموجدها من العدم، لا يستغرقه ذلك إلا أن يقول لها كن فتكون، في لحظة بل في غمضة عين بل في أقل من ذلك. قال تعالى مؤكدا هذه الحقيقة:** ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّ﴾ **[الأنعام: ٧٣]، فقوله سبحانه حق لا يعتريه باطل ولا يخالطه شك، فإنما هي أرادة، قال تعالى:** ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ **[النحل: ٤٠]، وإنما هو أمر ومشيئة قال سبحانه جلت قدرته:** ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ **[يس: ٨٢]، فأمره سبحانه ومشيئته وأرادته، لا تتعدى أن يقول سبحانه: كن، حتى تكون على مقتضى الأمر والإرادة والمشيئة، على أبدع ما أراد سبحانه وشاء.**

وقد يسأل سائل، لم خلق سبحانه الأرض والسموات في ستة أيام ولم يخلقها في يوم واحد ، أو لحظة، أو في أقل من ذلك بعظيم قدرته، بكلمة كن التي لا تتعدى المشيئة ولا تجاوز الأمر، والجواب على ذلك في ما بدا لي

درس من الله للبشر في التروي والأناة وإعطاء كل أمر ما يستحق منهما، حتى يتم الأمر على وجهه الصحيح دون خطأ أو تشويه، فالعجلة طبع في الإنسان منذ خّلق قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا﴾ **[الإسراء: ١١]، فآدم** عليه السلام **حاول القيام ولما تكتمل الروح في جسده، وموسى** عليه السلام **عجل إلى ربه فعاتبه سبحانه قال:** ﴿۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ **[طه: ٨٣]، أي لم عجلت إلي ولم تأت بقومك معك، فقال موسى معللا ذلك:** ﴿قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ **[طه: ٨٤]، قال هم آتون يا ربي على أثري أي دون تأخير ولكني سبقتهم إليك وعجلت طلبا لرضاك، فبين له سبحانه أن عجلته تلك لم تكن في محلها، وأنها قد سببت مصيبة لقومه فقد ضلوا بعده قال تعالى:** ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ **[طه: ٨٥].**

وزبدة القول، لا تعجل أيها الإنسان وتروّى في كل أمرك ففي ذلك السلامة كما قال حكيم العرب؛ في العجلة الندامة وفي التأني السلامة، وكما قيل أيضا؛ من تأنى نال ما تمنى، فالعجلة فيما لا خير فيه من الشيطان، كسرعة الغضب، وإيقاع الطلاق، وتصديق الواشي والنمام دون تثبت، أما الروية والتأني في مثل تلك الأمور فمن الرحمن، فيسكن الغضب ويكون الوفاق والصلاح بإذن الله. والعجلة مذمومة إلا فيما فيه خير أو صلاح، كالصلاة في وقتها، واغتنام الشباب قبل الهرم في أداء الطاعات وفعل الخيرات، وفي النفرة إلى الجهاد إذا آن أوانه، ورأس ذلك السعي إلى رضوان الله ومغفرته بالتقرب إليه وأداء حقوقه للفوز بجنته الموعودة قال تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ **[آل عمران: ١٣٣]. نسأل الله أن نعجل إلى كل أمر فيه طاعة ربنا وصلاح أمرنا، وأن نتأنى في كل أمر يحتاج الأناة لنؤديه على أتم وجه وأكمله آمين آمين.**

قصة خلق آدم عليه السلام

لما قضى الله سبحانه خلق آدم عليه السلام قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وهذا القول من الله سبحانه يستدعي الوقوف لنعرف معنى الخليفة. وفي قواميس اللغة، الخليفة من الخلف وهو نقيض قدام، كالقرن بعد القرن، أي يكونون خلفهم أي بعد ذهابهم. وفي (اللسان) اسْتَخْلَفَ فلاناً من فلان: جعله مكانه . وخَلَفَ فلان فلاناً إذا كان خليفته، يقال: خَلَفه في قومه خِلافةً. ويقال: خَلَّفْتُ فلاناً أُخَلِّفُه تخليفا، واسْتَخْلفْتُه أنا جَعَلتُه خليفتي. والخَلِيفةُ الذي يُسْتخْلَفُ ممن قبله، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ [الأعراف: ١٤٢] أي أن هرون سيكون في بني اسرائيل بعد ذهاب موسى أي حال غيابه. وعليه فلا معنى لأن يجعل أحد أحدا خلفا له وهو حاضر، ولا بد من غيابه حتى يستقيم الأمر. وجاء في معنى الخليفة، السلطان الأعظم (اللسان). ولا يستقيم أن يكون السلطان الأعظم حاضرا ثم يعين سلطانا أعظم خليفة له بحضوره. والخلافة على العموم تستدعي أن يغيب الأصل حتى يكون له خليفة ينوب عنه أو يقوم مقامه. ومما يوضح ذلك ويقربه للأذهان قول الله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [الفرقان: ٦٢] أي إذا ذهب النهار جاء الليل، وإذا ذهب الليل جاء النهار، فإنهما لا يجتمعان.

وقد ذهب البعض إلى أن آدم - والأئمة!! - هو خليفة الله في الأرض، وهذا - فيما أرى وأرجح - خطا فاحش وتعد على الله سبحانه جلت قدرته، وإن قال به بعض السلف، ولكنهم أخطأوا في ذلك خطأ شنيعا، وممن قال بذلك الزجاج فقد قال: جاز أن يقال للأئمة خُلفاء الله في أرضه بقوله عز وجل: (يا داودُ إنا جَعَلْناك خليفة في الأرض). (لسان العرب). ومما أراه أن الزجاج رحمه الله قد جانبه الصواب في ذلك، فإن داود عليه السلام إنما كان خليفة لطالوت بعد ذهاب ملكه.

كذلك فإن الخلافة بهذا المعنى تستدعي الغياب، والغياب لا يكون إلا لعلة، والله سبحانه منزه عن الغياب وعن العلل قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ **[الحديد: ٤] فهو سبحانه حاضر معنا على كل أحوالنا، بعلمه الأزلي اللدني الذي لا نهاية له ولا حد، وبالصورة والكيفية التي لا يعلمها إلا هو سبحانه، فهو سبحانه معنا أحياء أو أمواتا، في علم الغيب عنده أو في علم الشهادة الذي نحضره ونعيشه. في ظهور آبائنا أو في أرحام أمهاتنا، في كل أحوالنا التي ندركها ونفهمها، أو التي فوق الإدراك والفهم، ولا يغيب لعلة كالمرض أو العجز قال تعالى:** ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ **[البقرة: ٢٥٥] - أي لا يعجزه ولا يثقله ولا يشق عليه - أو الوسن أو النوم قال تعالى:** ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ **[البقرة: ٢٥٥] أو الانشغال بشيء عن شيء، فهو منزه عن العلل قال تعالى:** ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ **[البقرة: ٢٩]، وإنما معنى الخلافة، أن يخلف الإنس الجن في عمارة الأرض، على قول، و، أو، أن يخلف الإنس بعضهم بعضا على قول آخر، (تفسير الطبري)، وهذان القولان هما الأولى بالصواب والله أعلم. قلت: ومما أستدل به على الرأي الأول، قول الملائكة عندما أخبرهم سبحانه أنه جاعل في الأرض خليفة، قالوا:** ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ **[البقرة: ٣٠] قالت الملائكة ذلك لما سبق ورأته من الإفساد والقتل الذي ارتكبته الجن في الأرض من قبل. وفهموا بذلك أن الخليفة إنما هم خلق سيخلفون خلقا قبلهم، وأنهم - أي الخلق الجديد - سيفعلون كما فعل من سبقهم وهم الجن. واستعظموا أن يكون في الأرض خلق يفسدون ويقتلون، وهم - أي الملائكة - لا يفعلون إلا التسبيح والتقديس لله سبحانه قالوا:** ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ **[البقرة: ٣٠] قال العلماء: التسبيح هو الصلاة، والتقديس هو الثناء، أي نصلي لك سبحانك**

ونثني عليك بما أنت أهله. وخلاصة القول أن الله سبحانه أعلم بمراده.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق أن لا نترك لأنفسنا المجال لتسال ما لا حق لها بسؤاله ، خاصة فيما تبدو أنها أسئلة بريئة، ولكن الشيطان يدخل منها علينا لتصبح أسئلة غير بريئة، وأضرب هنا مثالا يناسب المقام، كقول بعضهم أين الله سبحانه؟ بمعنى: في أي مكان هو؟ ثم تأتي الإجابات المختلفة، فيكثر الجدل ويستفحل التناقض والتضاد، وفي رأيي أن أكثر تلك الإجابات أن يقول قائل: هو في كل مكان، فينبري من يعارض ويجادل، فيكثر اللغط ويدخل الشيطان اللعين بوسوسته وضلاله، والأولى أن نعتمد في ذلك ما جاء به الشرع، فقد قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه: ٥] وقال سبحانه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك: ١٦] وقال جل من قائل: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] وفي هذه الآيات وفي أمثالها الكفاية، لمن صدق إيمانه وصفت نيته، فهو سبحانه في المكان الذي هو فيه، والذي لا يحيط به إلا علمه، وليس لنا أن نسال كيف ولا أين، فذلك أحوط وأنسب لصدق الإيمان، والله من وراء القصد.

ولما قالت الملائكة وقد علمت أن الجن لما عمروا الأرض أكثروا فيها الفساد والقتل: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[البقرة: ٣٠] قالت الملائكة ذلك وقد استعظموا أن يوجد خلق يعصون الله ويقتل بعضهم بعضا كما فعلت الجن من قبل، وفي عرفهم أن الله سبحانه لا ينبغي له إلا أن يطاع فلا يعصى، وأن يعبد حق العبادة كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه سبحانه. فرد سبحانه بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] ذلك أنه سبحانه يعلم أن الملائكة قد اخفت في أنفسها ـ ظنا منها ـ أنها خير من الذي سيخلق، وأنها أعلم منه، فهي قد خلقت قبله. كذلك يعلم سبحانه ما أخفى إبليس ـ لعنه الله ـ من أمر غروره ومعصيته. كذلك يعلم سبحانه ما سيكون من أمر هذا الخلق الجديد، فسيكون فيهم الأنبياء والأولياء والشهداء والصالحون. فلما قضى الله سبحانه خلقه ـ أي آدم عليه السلام ـ

خلقه بيده وهو ـ أي آدم ـ أحد الأربعة الذين خلقهم سبحانه بيده تكريما لهم، وهم العرش والقلم وآدم وجنة عدن، كما روى الطبري من حديث عبد الله بن عمر في تفسيره للآية رقم ٧٥ من سورة (ص) والحديث أيضا في المستدرك للحاكم وفي التلخيص للذهبي، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] وكان سبحانه لما قضى ذلك أخذ من اديم الأرض قبضة فسواه منها، (روى الإمام أحمد في مسنده، (المجلد٤ برقم ١٨٨١٣) عن أبي موسى الاشعري عن النبي ﷺ قال: (أن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جعل منهم الاحمر والابيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن وبين ذلك والخبيث والطيب وبين ذلك). ثم خلط التراب بالماء فصار طينا لازبا قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴾ [الصافات: ١١] قال الطبري في التفسير: والتراب إذا خُلط بماء صار طينا لازبا، ومن اللازب قول نابغة بني ذُبيان:

ولا يحسبون الخير لا شر بعده   ولا يحسبون الشر ضربة لازب

قوله لازب أي لاصق. وروى عن ابن عباس في قوله (مِنْ طِينٍ لازِبٍ) قال: هو الطين الحر الجيد اللزج. وعنه في رواية اخرى قوله: (أنا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ) قال: من التراب والماء فيصير طينا يَلْزَق.

ثم ترك سبحانه ذلك الطين ما شاء حتى جف ويبس فصار صلصالا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾[الحجر: ٢٦] قال الطبري: وأما قوله (مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) فإن الحمأ: جمع حَمْأة، وهو الطين المتَغيِّر إلى السواد. وقوله (مَسْنُونٍ) يعني: المتغير. ثم قال: يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا آدم وهو الإنسان من صلصال. واختلف أهل التأويل في معنى الصلصال، فقال بعضهم: هو الطين اليابس لم تصبه نار، فإذا نقرتَه صَلَّ فسمعت له صلصلة.

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ﴾[الرحمن: ١٤] قال: وقوله: (خَلَقَ الإنسان مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) يقول تعالى ذكره: خلق الله الإنسان وهو آدم من صلصال: وهو الطين اليابس الذي لم يطبخ، فإنه من يبسه له صلصلة إذا حرّك ونقر كالفخار، يعني أنه من يُبسه وأن لم يكن

مطبوخا، كالذي قد طُبخ بالنار، فهو يصلصل كما يصلصل الفخار، والفخار: هو الذي قد طُبخ من الطين بالنار.

ثم لما شاء سبحانه سواه على أحسن صورة، وعلى أتمها وأجملها قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] قال الطبري: (حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عاصم، عن أبي رَزين، عن ابن عباس (فِي أحسن تَقْوِيمٍ) قال: في أعدل خلق). ثم نفخ فيه سبحانه من روحه، وأسجد له ملائكته قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحِجر: ٢٩] فامتثل الملائكة لأمر الله وسجدوا لآدم عليه السلام (سجود امتثال لأمر الله وتعظيم لآدم، لا سجود عبادة لآدم، فإن ذلك مما لا ينبغي إلا لله سبحانه). إلا أن إبليس لعنه الله أبى السجود، قال تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٣٠-٣١] فقال تعالى: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحِجر: ٣٢] فرد لعنه الله بغرور: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٦] فطرده الله من رحمته قال تعالى: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [ص: ٧٧-٧٨] فقال اللعين ربّ فإذ لعنتني، وأخرجتني من جنتك (فأنظِرْنِي) يقول: فأخرني في الأجل، ولا تهلكني (إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) يقول: إلى يوم تبعث خلقك من قبورهم. قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [ص: ٧٩] فأجابه سبحانه لما طلب: ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾ [ص: ٨٠-٨١] واستمر اللعين في صلفه وغروره وأقسم ليغوين بني آدم أجمعين ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٢] ولعلمه أن ذلك ليس بمقدوره استثنى فقال: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٣] فقال سبحانه متوعدا

إياه ومن تبعه من الغاوين: ﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ٨٤ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ **[ص: ٨٤-٨٥].**

ثم أن الله علم آدم الأسماء كلها، لعلمه سبحانه بما أخفوا في أنفسهم من أنهم أعلم منه ـ أي من آدم ـ ثم سألهم، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ **[البقرة: ٣١] سألهم أن يخبروه بأسماء ما سألهم عنه ـ أي أن كانوا صادقين في ظنهم من أنهم أعلم من آدم ـ فقالوا:** ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ **[البقرة: ٣٢] لم يعرفوا اسم شيء فقال سبحانه لآدم:** ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ **[البقرة: ٣٣] عند ذلك أعلمهم آدم بأسماء ما عرض عليهم، فقال تعالى:** ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ **[البقرة: ٣٣] أي أعلم ما أبديتم من سؤالكم عن الخلق الذي سأجعله خليفة في الأرض، وما اخفيتم في أنفسكم من أنكم أعلم منه.**

فلما انتهت المناظرة مع الملائكة، ومع إبليس، أمر سبحانه آدم بسكنى الجنة، قال تعالى: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ **[البقرة: ٣٥] أمره سبحانه أن يسكن في الجنة، وأن يذهب حيث شاء، ويأكل ما شاء، إلا من شجرة بعينها، أمره ألا يقربها، أي أن لا يأكل منها. وكان آدم لما خلقه الله وحيدا في المكان الذي خلقه فيه، فكان يمشي وحيدا قد استوحش من وحدته، فنام ولما استيقظ من نومه، وجد بجانبه خلقا من جنسه قال: ما أنت؟ قالت: امرأة. قال: ولم خلقت؟ قالت لتسكن إلي. قيل فأرادت الملائكة معرفة ما بلغ علمه فقالوا: ما اسمها يا آدم؟ قال حواء. قالوا: ولم كانت حواء؟ قال: لأنها خلقت من شيء حي. «وقد ذكر ابن كثير هذه الرواية في (البداية والنهاية ج١ باب خلق آدم) عن**

السدي عن أبي صالح وأبي مالك عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة». وقد ذكر محمد بن اسحق عن ابن عباس قوله: إنها خلقت من ضلعه الاقصر الأيسر وهو نائم، وروى البخاري في (الصحيح برقم ٣٣٦٦) عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال قال رسول الله ﷺ "استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وأن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وأن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء». وقال تعالى في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١].

ولما أمر الله آدم أن يسكن الجنة هو وزوجه حواء، جاءهما إبليس وأخذ يزين لهما الأكل من الشجرة المنهي عن الأكل منها، وبدأهما بالوسوسة، وهي كحديث النفس للنفس، قال لهما اللعين: إن ربكما لم ينهكما عن الأكل من هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين من الملائكة وإلا أن تكونا خالدين، فإن من أكل من الشجرة صار ملكا خالدا، قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠] وحتى يزيدهما اقتناعا بما يزعم أقسم لهما أنه إنما يريد لهما النصيحة، قال تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] ولم يزل بهما حتى خدعهما فصدقاه، قال تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢٢] فلما خدعا بقسمه ـ والمؤمن إذا حلف له بالله صدق ولربما خدع ـ فأكلا من الشجرة فبدت لهما سوءتاهما، ولم يكونا يريانهما من قبل، فأخذا يتراكضان في الجنة ويتناولان من ورق الشجر يستتران به، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢] فناداهما الله سبحانه وقال لهما: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ

وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [الأعراف: ٢٢] فاعتذرا إلى الله معترفين بالذنب، قال تعالى:﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

فلما كان ما كان من أمر إبليس وآدم وحواء، أمرهم سبحانه جميعا بالهبوط إلى الأرض، مقام العمل والكد والابتلاء، واخبرهم أن بعضهم لبعض عدو ـ هم وذرياتهم ـ، وأن مقامهم فيها إنما هو لأجل قدره سبحانه، ففيها حياتهم وفيها مماتهم، ومنها يكون خروجهم في اليوم الموعود، يوم الحساب والجزاء، ليوفى كل بما عمل، إن خيرا فخير وإن شرا فبما كسبت يداه. قال تعالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٤-٢٥]. فلما اهبط آدم عليه السلام إلى الأرض تملكه الندم وأخذ يبكي على خطيئته ويستغفر الله لذنبه، حتى تغمده الله برحمته فعلمه كلمات دعى الله بهن، فتاب عليه. قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، وقد تعددت الاقوال في تلك الكلمات ماهن، وما الذي قاله آدم لربه معتذرا إليه وتائبا، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] روى الطبري عن الضحاك في قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا﴾، الآية، قال: هي الكلمات التي تلقَّاها آدم من ربه. وقد رجح كثير من العلماء هذا القول وعليه فقد أخذت به والله أعلم.

ثم إن الله سبحانه الذي سبقت رحمته غضبه، (روى ابن حبان في (الصحيح برقم ٦١٤٤) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لما قضى الله الخلق كتب في كتاب عنده: غلبت أو قال: سبقت رحمتي غضبي قال: فهي عنده فوق العرش. أو كما قال»). كذلك وسعت كل شيء، قال تعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ

مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾[الأعراف: ١٥٦]. حذر خلقه من إبليس وذريته، قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧] فالشيطان كان سببا في خطيئة آدم عليه السلام، وتوعد ذريته بالغواية، مع قدرته على التخفي والوسوسة، فجاء تحذير الله سبحانه منه كما في الآية السابقة، وكما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦]. ولرحمة الله بخلقه بين لهم طريق النجاة، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨] والهدى الذي ذكره سبحانه هو الشرع والنور والإسلام الذي يأتي به رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، فمن صدقهم، وتبعهم، وامن بما جاءوا به فقد نجا وفاز، ومن كذب وتولى فقد هلك وخسر، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩] فإنه سبحانه لا يظلم أحدا، قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ [النحل: ١١٨] وقال تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥] فالله لا يعذب حتى يبين، ولا يحمل نفسا وزر اخرى، بل كل له ما كسب وعليه ما اكتسب، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾ [المدَّثر: ٣٨] وكل يجازى بما عمل قل أو كثر قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا

يَـرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧- ٨].

بقي أن نذكر أن آدم لما نفخ الله فيه الروح فوصلت إلى أنفه عطس، فألهمه الله أن يقول الحمد لله فقال له الله سبحانه: رحمك ربك. (رواه ابن حبان في صحيحه برقم ٦٢٦٥) عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «لما نفخ في آدم فبلغ الروح رأسه عطس فقال: الحمد لله رب العالمين. فقال له تبارك وتعالى: يرحمك الله»). ولما وصلت إلى عينيه نظر إلى ثمار الجنة فاشتهاها، فلما وصلت الروح حقويه، أراد أن يقوم فلم يقدر، فلذلك قال سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَـٰنُ عَجُولٗا﴾ [الإسراء: ١١] ولما تم خلقه قال له سبحانه اذهب إلى هؤلاء الملائكة الجلوس فسلم عليهم وأنظر ماذا يقولون، فتلك تحيتك وتحية ذريتك (روى البخاري في الصحيح باب بدء السلام رقم ٦٢٩٩) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك. فقال السلام عليكم. فقالوا السلام عليك ورحمة الله. فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن».

ثم أن الله أخذ من ظهر آدم ذريته، وأخذ عليهم العهد، لتكون له عليهم الحجة قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وعاش آدم على الأرض ما شاء الله له أن يعيش، وترك وراءه من ذريته خلقا كثيرا فلما توفاه الله قيل غسلته الملائكة وصلى عليه جبريل، وقيل دفن بابي قبيس والله أعلم.

فائدة في تسمية الإنسان

قيل سمي الإنسان إنسانا لأن من عادته النسيان، فإن الله سبحانه لما أخذ العهد على آدم أن لا يأكل من الشجرة، ولما وسوس له الشيطان، نسي عهده وأكل من الشجرة، فكان بعد ذلك ما كان قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]. أما لماذا رحم الله آدم، ولماذا غضب على إبليس، فذلك أن آدم لما نسي العهد وأكل من الشجرة، فإنه لما عاتبه الله سبحانه أقر بذنبه واستغفر وتاب، قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] فلذلك رحمه الله وتاب عليه. ولكن اللعين إبليس لما قال له الله: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] استكبر اللعين وأخذته العزة بالإثم قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[ص: ٧٦] فغضب الله عليه وطرده من رحمته. فآدم عليه السلام طلب المغفرة فغفر له، وإبليس استكبر وطلب النظرة، فاستحق الغضب وأعطي النظرة. (أي الامهال): ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [ص: ٧٩].

قصة ابني آدم قابيل وهابيل

تعددت الاقاويل في سبب قتل ابن آدم أخيه عند المحدثين والمفسرين، ولكن سياق الآيات الكريمة يرشد إلى سبب واضح لذلك، هو الحسد والغيرة، فقد قبل سبحانه قربان هابيل ولم يقبل قربان قابيل، فحقد على أخيه وقال: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [المائدة: ٢٧]، وأضمر في نفسه النية على قتله حتى واتته

الفرصة فقتله. وقد رأيت أن لا أخذ بتلك الأسباب التي قيلت، وسأكتفي بالقصة كما بينتها الآيات الكريمة، فإن ابني آدم قربا لله قربانين، فكان أحد هما من أهل الغنم فقرب خير ما عنده من الغنم، أما الآخر فكان من أهل الزرع فقدم ما وقع تحت يده، ولم يتخير لله في قربانه، وكان المعروف في زمانهم أن تأتي نار من السماء فتأخذ ما قبل الله ـ والله لا يقبل إلا الطيب ـ فأخذت النار قربان هابيل، وهو خير غنمه، وتركت قربان قابيل وهو شر زرعه، فحقد قابيل على أخيه وتوعده، وقال له ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ **[المائدة: ٢٧]، فرد هابيل** ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ **[المائدة: ٢٧]، فاضمر قابيل الشر، وسولت له نفسه قتل أخيه، وزين له الشيطان ذلك، وتحين الفرصة حتى واتته، قيل فأخذ يعالج أخاه كيف يقتله، قيل بالعض والخنق، وقيل تراءى له الشيطان يشدخ دابة بحجر على رأسها حتى ماتت، فأخذ حجرا فشدخ به رأس أخيه، وكان قابيل لما أراد قتل أخيه، ولما عرف هابيل أنه مقتول قال** ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ **[المائدة: ٢٨-٢٩]، أي تبوء بإثم قتلي وبآثامك السابقة، ولكنه مع ذلك لم يرتدع، فقتل أخاه** ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ **[المائدة: ٣٠]، قيل فلما قتله لم يدر ما يفعل به، حتى بعث الله له غرابين أحد هما ميت، فأخذ الحي يحفر حفرة في الأرض، ثم ألقى الميت فيها، ففعل قابيل كما فعل الغراب ووارى أخاه وقد أخذه الندم أن قتل أخاه وعجز عن فعل ما فعله الغراب،** ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ **[المائدة: ٣١].**

وقد ثبت في (الصحيحين) **عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، فكلاهما من أهل النار. قالوا يا رسول الله: هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إنه قد أراد قتل صاحبه».** (رواه مسلم برقم ٧٤٣٤ والبخاري

برقم٧١٧٠)، كما ثبت عن رسول الله أيضا (البخاري برقم ٦٩٥١) عن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال "لا تقتل نفس إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها».

قصة شيت عليه السلام

لم يرد في القرآن الكريم ذكر لشيت، ولكن بعض الأحاديث النبوية جاءت على ذكره، واغلب الظن أن ما ذكر من أمر شيت، إنما هو مأخوذ مما رواه بعض من أسلم من اليهود، ولما كانت أخباره مما لا يصدق ولا يكذب، رأيت أن أوجز قصته بما يقبله الشرع ولا ينكره لاحتمال وقوعه، والله من وراء القصد.

جاء في الحديث الذي رواه (ابن حبان في صحيحه ج٢ برقم ٣٦١) عن أبي ذر عن رسول الله أنه قال: (يا أبا ذر أربعة سريانيون ـ أي الأنبياء ـ: آدم وشيت وأخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بالقلم ونوح وأربعة من العرب: هود وشعيب وصالح ونبيك محمد ﷺ قلت: يا رسول الله كم كتابا أنزله الله؟ قال: مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيت خمسون صحيفة وأنزل على أخنوخ ثلاثون صحيفة). والحديث طويل اقتطعت منه ما يلزم الموضوع، وقد قال (ابن كثير في البداية والنهاية ج١): قال محمد بن إسحاق: ولما حضرت آدم الوفاة، عهد إلى ابنه شيت وعلمه ساعات الليل والنهار، وعلمه عبادات تلك الساعات، وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك. قال: ويقال أن أنساب بني آدم اليوم كلها تنتهي إلى شيت. وسائر أولاد آدم غيره انقرضوا وبادوا والله أعلم. (ج/ص: ١/ ١١٠) إلى أن قال: (فلما مات آدم عليه السلام، قام بأعباء الأمر بعده ولده شيت عليه السلام. وكان نبياً بنص الحديث الذي رواه ابن حبان في (صحيحه)، عن أبي ذر مرفوعا، أنه أنزل عليه خمسون صحيفة، فلما حانت وفاته، أوصى إلى ابنه أنوش)، فقام بالأمر بعده، ثم قام به ورثته إلى أن وصل إلى إدريس عليه السلام.

قصة نوح عليه السلام

قصة الطوفان

لما كثر بنو آدم عليه السلام انتشروا في الأرض، وصاروا أمما وأقواما، بدؤوا يبتعدون عن الشرع، وبدأت الانحرافات تظهر بينهم، وظهرت فيهم المعاصي وكثر الفساد، وكان مما ظهر عبادة الأصنام، وقد كان ذلك في عهد نوح عليه السلام، فقد كان لقومه خمسة أصنام يعبدونها، وقد ذكرنا في باب الأنبياء كيف أن إبليس لعنه الله، كان إذا مات أحد الصالحين أتى قومه فقال لهم: أني أرى جزعكم على هذا الرجل الصالح، فلو أني صورته لكم ـ أي صنعت له صنما ـ فإذا وافقوه صنعه لهم، فوضعوه في مجلسه الذي كان يجلس فيه، فاتخذوه مزارا، ثم يأتي اللعين إذا طال الأمد فيقول لهم: إني أرى ما تجدون من المشقة في زيارة صاحبكم، فلو أني صنعت لكل رجل منكم صورة ـ أي صنما ـ يضعه في بيته، فإن وافقوه صنع ذلك، فيضعونه في بيوتهم، ويعظمونه ويمجدونه، حتى إذا مات الآباء، سار الأبناء على نهج آباءهم من تعظيم الصنم، حتى يتخذه الأبناء من بعدهم إله يعبدونه. (البداية والنهاية ج١). **فلما كان ذلك أرسل الله سبحانه نوحا إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأصنام والطواغيت وما يعبدون من دون الله، فاجتهد بالدعوة بكل ما يستطيع من الجهد، فأسر وأعلن، ودعاهم ليلا ونهارا، وأخذهم بالترغيب والترهيب، قال تعالى:** ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ **[نوح: ٨-٩] ولكنهم ناصبوه العداء، وتنقصوه ووصفوه بالجنون، وتنقصوا من آمن به، وتوعدوهم بالرجم والإخراج وبالغوا في ذلك، قال تعالى:** ﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ **[الشعراء: ١١٦].**

وقد استمرعلى ذلك قرونا من الزمن، إلا أنهم كانوا كلما اشتد عليهم في الدعوة والهداية، ازدادوا تكبرا وكفرا، بل كان الرجل منهم إذا حضرته الوفاة أوصى بنيه بعدم طاعة نوح وبمحاربته، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ **[نوح: ٢٣]، فأوحى الله سبحانه إلى**

نوح عليه السلام، تسلية له وتعزية عما كان من قومه من الكبر والمعاندة، أن يا نوح لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦]، فلما تيقن عليه السلام ضلالهم وإصرارهم على ما هم فيه من الكفر، دعا الله أن يهلك من على الأرض من الكافرين، قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦-٢٧]، ودعا الله أن ينجيه ومن معه من المؤمنين، وأن ينصره على الكافرين قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١٧-١١٨] فاستجاب سبحانه لنبيه حين دعاه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الصافات: ٧٥-٧٦].

وهكذا استجاب سبحانه لدعوته، ووعده أن ينجي المؤمنين، من أهله، ومن قومه. وأمره أن يصنع سفينة يحمل عليها المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هود: ٣٧]. (وفي البداية والنهاية ج١) (قيل ولما استجاب الله له أمره أن يزرع شجرا ليعمل منه السفينة، فغرسه وأنتظر مائة سنة، ثم نجره في أربعين سنة، وقيل في مائة، قال محمد بن اسحق عن الثوري: كان من خشب الساج، وفي التوراة، من الصنوبر. وقد وقع اختلاف في عظم السفينة، فعن قتادة قال رأيته في التوراة: طولها ثلاثمائة ذراع في عرض خمسين ذراعا. وذكر عن سفيان الثوري والحسن البصري غير ذلك، وعن ابن عباس ألف ومائتا ذراع في ستمائة ذراع. وقالوا كلهم: كان ارتفاعها ثلاثين ذراعا وكانت ثلاث طبقات كل واحدة عشرة أذرع، السفلى للدواب والوحوش، والوسطى للناس، والعليا للطيور، وكان بابها في عرضها ولها غطاء من فوقها مطبق عليها). وقد قرأت في (التوراة - تكوين ٦ -١٤ موقع dahsha. com ٢٠١٢/١/١١): اصنع لك

تابوتا من خشب قطراني، واجعله مساكن واطله من داخل ومن خارج بالقار).

ولما قضى الله أمره بعذابهم وإغراقهم، ولأن أمره سبحانه لا يرد، ولأن القول لديه لا يتغير، قال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩] وحتى لا تأخذ نوح رقة بقومه، فيراجع الله فيهم بعد أن قضى سبحانه أمره قال تعالى: ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هود: ٣٧]. وقد صنع عليه السلام السفينة على الوجه الذي بينه الله له بوحيه ورعايته، كما في الآية الكريمة. أما إغراقهم في الدنيا وعذابهم في الآخرة فهو من أيديهم، وبسبب كفرهم، فحاشا لله أن يظلمهم، قال تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح: ٢٥] ولقد كانوا يمرون به وهو يصنع السفينة فيهزؤون به ويقولون: تصنع سفينة هنا وليس من بحر، ولكنه يعلم من الله ما لا يعلمون فيقول: ﴿إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨] أي أن كنتم تسخرون منا لبنائنا السفينة، فإننا نسخر منكم لتكذيبكم أمر الله سبحانه.

فلما أتم بناء السفينة، وجاء أمر الله، وبدأت الامطار والأعاصير، وتفجرت الينابيع، وبدأت الأرض بالغرق حمل فيها من آمن من قومه، وحمل أهله ـ قيل أبناءه الثلاثة وزوجاتهم ـ إلا من سبق عليه القول، أي من لم يؤمن ـ قيل زوجته ورابع أبناءه ـ وحمل من كل حي زوجين ـ أي ذكرا وأنثى ـ كذلك حمل من المؤونة ما يكفيه كما أمره الله. قال تعالى: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٧] أي ولا يركب معكم إلا مؤمن، فلما ركبوا السفينة قال: ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١] وأبى رابع أبناءه الركوب معهم فناداه: يا بني اركب معنا. ولكن ابنه كان ممن كفروا فقال: سأصعد إلى جبل عال أحتمي به من الغرق، فقال له: لن يحميك اليوم من أمر

الله إلا الله، ولكن ابنه أصر على عناده ولم يركب. ومن رحمته عليه السلام ابنه سأل الله أن ينجيه، فقال له سبحانه، أنه لكفره قد سبق عليه القول، وأنه ليس ابنك لاختياره الكفر على الإيمان، ولا ينبغي أن تدعوه ابنك وهو كافر، وارتفع الموج كالجبال، وغرقت الأرض بمن فيها من الكفرة، تحقيقا لأمر الله سبحانه.

فلما أنفذ الله أمره على ما أراد سبحانه وقدر، أمر السماء أن تقلع أي عن المطر، وأمر الأرض أن تبتلع ما أخرجت من الماء، وقضي الأمر واستقرت السفينة على الجودي (والجودي جبل اختلف في تحديد موقعه، ولكن الروايات أجمعت على أنه في شمال بلاد الرافدين)، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ **[هود: ٤٤] ولما جفت الأرض وعادت إلى طبيعتها، أذن سبحانه لنبيه ومن معه بالنزول من السفينة، لتعمر الأرض بمشيئة الله إلى اليوم الموعود، قال تعالى:** ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ **[هود: ٤٨]، عند ذلك نزل عليه السلام ومن معه من السفينة بأمان الله وبركته. ولقد اختلفت الروايات في كم عاش قبل البعثة وبعدها، ولكن القرآن الكريم ذكر أنه عاش في قومه ألف سنة إلا خمسين سنة يدعوهم، إلى أن حصل الطوفان ، والله أعلم كم عاش بعد ذلك، وكم كان مجمل عمره. وقد ثبت أنه لم يعش بعد الطوفان من المؤمنين من قومه أحد ، كذلك لم يعقب منهم أحد لقوله تعالى:** ﴿وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ﴾ **[الصافات: ٧٧] ومما تشير إليه الآية أن كل البشر بعد الطوفان هم من نسل نوح عليه السلام، والله أعلم.**

قصص إبراهيم عليه السلام

مولده وهدايته

ذكرنا في باب الرسل نبذة عن نسبه بما يغني عن الإعادة، أما عن ولادته فقد جاء في (الكامل لابن الأثير ج١) ما ملخصه: (قيل: ولد بالسوس من أرض الاهواز وقيل: ولد ببابل وقيل: بكوثى وقيل: بحرّان، قال كان مولده في عهد نمرود بن كوش، فلمّا تقارب زمان إبراهيم قال المنجمون للنمرود: يولد في قريتك غلام يفارق دينكم ويكسّر أصنامكم، فلمّا دخلت السنة التي ذكروا حبس نمرود الحبالى عنده إلا أم إبراهيم فإنه لم يعلم بحبلها، فذبح كلّ غلام ولد في ذلك الوقت، فلمّا وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت إلى مغارة فولدت إبراهيم ثم سدّت عليه المغارة، وكانت تطالعه حتى شبّ ونسي الملك ذكر ذلك فقال آزر: إن لي ابنًا قد خبأته أفتخافون عليه الملك أن أنا جئت به فقالوا: لا، فانطلق فأخرجه من السرب ولم يكن رأى قبل ذلك غير أبيه وأمه جعل يسأل أباه عما يراه فقال: ما لهؤلاء الخلق بدّ من أن يكون لهم ربّ وكان خروجه بعد غروب الشمس فرفع رأسه إلى السماء فإذا هو بالكوكب وهو المشتري فقال: هذا ربي فلم يلبث أن غاب فقال: لا أحب الآفلين وكان خروجه في آخر الشهر فلهذا رأى الكوكب قبل القمر. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٦-٧٧]، فلما جاء النهار وطلعت الشمس رأى نورًا أعظم من كلّ ما رأى فقال: ﴿هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨]). و(قيل بل كان تفكره في النجوم صغيرا (حين بدأ الكلام) سأل أمه أن ينظر خارج المغارة، فأخرجته فكان الذي ذكرناه والله أعلم)، أنتهى كلام ابن الأثير. وروى الطبري عن مجاهد قوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٥١] قال: هديناه صغيرا. وقد رجحت في باب الرسل أن الحديث عن

الكواكب كان في مناظرة أهل دمشق فقد كانوا عبدة كواكب، أما أهل بابل فعبدوا الأصنام ولم يعرفوا عبادة الكواكب وذلك على رواية ابن كثير في البداية والنهاية ج١ والله أعلم. قلت ولا ينافي ذلك أن يكون تفكر في الكواكب صغيرا، وناظر بها أهل حران كبيرا والله أعلم.

البدء بالدعوة

وفي (الكامل ج١): (ثم رجع إبراهيم إلى أبيه وقد عرف ربه وبرئ من دين قومه، وكان آزر صانع أصنام فكان يعطيها إبراهيم ليبيعها فكان إبراهيم يقول: من يشتري ما لا يضرّه ولا ينفعه فلا يشتريها منه أحد ، فيأخذها إلى النهر فيصوّب رؤوسها فيه ويقول: اشربي استهزاء بقومه حتى فشا ذلك عنه) أنتهى كلام ابن الأثير. فلمّا بدا له أن يدعو قومه إلى ترك ما هم عليه ويأمرهم بعبادة الله تعالى، بدأ بابيه الذي هو أحق الناس بإخلاص النصيحة له، فدعاه إلى التوحيد وإلى عبادة الله، وبين له أن هذه الأصنام مخلوقة لا تضر ولا تنفع، وبين أن عبادتها إنما هي من عبادة الشيطان، قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٤٢] وقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾ [مريم: ٤٤] وبين له أن طريق النجاة باتباعه قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾ [مريم: ٤٣] ولكن أباه أصر على الكفر قال: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾ [مريم: ٤٦] أي أن لم تترك دعواك وتعود إلى ديني، فارقني وإلا رجمتك، فقال عليه السلام، من بره بأبيه - وأن كان على غير دينه - ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ [مريم: ٤٧] وقد استغفر له عليه السلام كما وعده في أدعيته، فلما أصر على الكفر ومات على كفره تبين أنه عدو لله تبرأ منه قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ

لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

دعوة قومه ومناظرة النمرود

بعد أن دعا إبراهيم أباه إلى عبادة الله، أخذ يدعو قومه ويبين لهم ما هم فيه من الضلال والكفر فقالوا: من تعبد أنت قال: ربّ العالمين قالوا: نمرود قال: بل أعبد الذي خلقني وخلق نمرود، ثم وعظهم ونصحهم وبين لهم ضلالهم وضلال آبائهم، إلا أنهم استكبروا وأصروا على الكفر فرأى أن يدخل عليهم بالإقناع من باب أصنامهم، وأضمر في نفسه شيئا فقال: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ﴾ **[الأنبياء: ٥٧]، وكان لهم يوم عيد يخرجون فيه إلى ملاعبهم، فلما كان ذلك اليوم قال:** ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ **[الصافات: ٨٩] أي مريض مما أرى من إعراضكم عن الحق، فخرجوا إلى عيدهم ولم يخرج معهم، فلما تولوا ذهب إلى معبدهم الذي فيه آلهتهم، فوجدهم قد وضعوا عندها الاطعمة والقرابين، فنظر إليها والطعام بين أيديها قال:** ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٩١ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ **[الصافات: ٩١-٩٢] فلما لم يجبه أحد أخذ الفأس فكسرها جميعا إلا أعظمها، فربط الفأس بيده وتركها حطاما وخرج.**

فلما رجع القوم إلى معبدهم ورأوا ما حل بأصنامهم قالوا: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ **[الأنبياء: ٥٩] فقال بعضهم:** ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ **[الأنبياء: ٦٠] أي يسبها ويلعنها. ووصل الخبر إلى الملك نمرود، فأمر بإحضاره على ملأ من الناس، وكان هذا ما اضمر عليه السلام في نفسه، أي أن يقيم عليهم الحجة علانية علهم يرجعوا عن كفرهم ويؤمنوا بالله سبحانه. فلما حضر سألوه:** ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ **[الأنبياء:**

٦٢] فأشار إلى كبيرهم: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣] وقال: غضب أن يعبدوا معه فحطمهم، فرأودتهم أنفسهم أنهم ظلموه، ولكن غلب عليهم كفرهم فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٥] وكان هذا ما هدف إليه عليه السلام، أي إقرارهم بأن أصنامهم لا تضر ولا تنفع ولا تنطق ولا تملك دفاعا عن نفسها فقال: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٦-٦٧] فقال له الملك: أرأيت إلهك الذي تعبد وتدعو إلى عبادته ما هو؟ قال إبراهيم: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] فقال الملك: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] آخذ رجلين قد استوجبا القتل فأقتل أحدهما فأكون قد أمته وأعفو عن الآخر فأكون قد أحييته، قال إبراهيم: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨] فلم يجد الملك جوابا قال تعالى: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

إلقاؤه في النار

ولما أنكسر الملك أمام منطق إبراهيم وإقناعه، ورأى قوة حجته وتمسكه بربه، وكيف أنه سفه آلهتهم وسبها، أمر اللعين بإحراقه، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، قال ابن كثير: (ثم شرعوا يجمعون حطبا من جميع ما يمكنهم من الأماكن فمكثوا مدة يجمعون له، ثم عمدوا إلى جوبة عظيمة (والجوبة الحفرة الواسعة المستديرة، قيل كالتنور العظيم، والتنور بيت النار الذي يخبز فيه) فوضعوا فيها ذلك الحطب

وأطلقوا فيه النار فاضطربت وتأججت والتهبت وعلاها شرر لم ير مثله قط. ثم وضعوا إبراهيم عليه السلام في كفة منجنيق، ثم أخذوا يقيدونه ويكتفونه وهو يقول: لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك فلما وضع الخليل عليه السلام في كفة المنجنيق مقيدا مكتوفا ثم ألقوه منه إلى النار قال: حسبنا الله ونعم الوكيل. كما روى البخاري عن ابن عباس، وروي عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: (لما ألقي إبراهيم في النار قال: اللهم أنك في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك). وذكر بعض السلف أن جبريل عرض له في الهواء فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا. ويروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير أنه قال: جعل ملك المطر يقول: متى أؤمر فأرسل المطر؟ فكان أمر الله أسرع ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩]. وقال ابن عباس وأبو العالية: لولا أن الله قال: (وسلاما على إبراهيم) لآذى إبراهيم بردها. وقال كعب الأحبار لم ينتفع أهل الأرض يومئذ بنار ولم يحرق منه سوى وثاقه. وقال الضحاك: يروى أن جبريل عليه السلام كان معه يمسح العرق عن وجهه لم يصبه منها شيء غيره. وقال السدي: كان معه أيضا ملك الظل وصار إبراهيم عليه السلام في ميل الجوبة (أي وسطها) حوله النار وهو في روضة خضراء والناس ينظرون إليه لا يقدرون على الوصول إليه ولا هو يخرج إليهم فعن أبي هريرة أنه قال: أحسن كلمة قالها أبو إبراهيم إذ قال لما رأى ولده على تلك الحال: نعم الرب ربك يا إبراهيم). (البداية والنهاية ج١) وبذلك نصر الله نبيه، وباء من عاداه بالخزي والخسران قال تعالى: ﴿ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ [الصافات: ٩٨] قيل وقد طمع إبراهيم بإسلام أبيه لما قال كلمته تلك، ولكنه بقي على كفره، فلما مات تبرأ منه. (قال ابن الأثير في الكامل ج١): (وآمن مع إبراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله به على خوف من نمرود وملئه، وآمن له لوط بن هاران، وهو ابن أخ إبراهيم وكان لهم أخ ثالث يقال له ناخور بن تارَخ، وهو أبو بتويل، وبتويل أبو لابان وأبو ربقا امرأة إسحاق بن إبراهيم أمّ يعقوب، ولابان أبو ليا وراحي زوجتي يعقوب، وآمنت به سارة وهي ابنة عمّه وهي سارة ابنة هاران الاكبر عمّ إبراهيم وقيل: كانت ابنة ملك حرّان فآمنت بالله تعالى مع إبراهيم). والله أعلم.

هجرته إلى حران (الشام)

فلما كان ما كان من أمر النار، وخروج إبراهيم عليه السلام منها سالما، ولما لم يسلم معه إلا القليل من قومه، رأى أن يهاجر إلى أرض غير أرض قومه ليعبد الله فيها قال: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦] فخرج هو وأبوه ومن امن معه إلى بلاد الشام، (وكانت تسمى حران) وكان أهل الشام من عبدة الكواكب، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، وجرت بينه وبينهم المناظرة في أمر الكواكب، فبين لهم أنها لا تستحق العبادة، وأن منها الصغير والكبير، وأن بعضها يغلب نوره على بعض، وأنها متغيرة لا تثبت على حال، لكنهم أصروا على كفرهم ولم يؤمن به أحد ، فمكث فيهم زمنا يدعوهم إلى الله. وفيها؛ قيل مات أبوه. وفيها تزوج سارة، والله أعلم.

هجرته إلى بيت المقدس ومصر

بعد أن أقام عليه السلام في حران زمانا، أنتقل إلى أرض الكنعانيين فأقام فيها زمانا وضرب قبته شرقي بيت المقدس، (كما عند أهل الكتاب)، حتى صار جوع وقحط شديد، فارتحل بمن معه إلى مصر وأقام فيها زمنا، وكان فيها ملك إذا أعجبته امرأة قتل زوجها وتزوجها، (قال ابن الأثير: وبها فرعون من الفراعنة الأولى كان اسمه سنان بن علون (الكامل ج١ ص٢) فلما سمع بإبراهيم أرسل إليه فسأله عن سارة وقد وصفت له (قيل كانت من أجمل نساء عصرها) فقال: من هذه؟ قال: أختي. فأتى إبراهيم سارة فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك (أي زوجين مؤمنين) وأن هذا سألني فأخبرته أنك أختي (في الإسلام) فلا تكذبيني، فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ أخذا شديدا فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت الله (أن لا يموت فتأخذ به) فأطلق ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال: ادعي الله لي ولا أضرك. ثم لما كان في الثالثة أو الرابعة دعا بعض حجبته فقال: أنك لم تأتني بإنسان وإنما أتيتني بشيطان. فأطلقها وأخدمها هاجر (أي وهبها هاجر تخدمها) فأتت إبراهيم وهو قائم يصلي فأومأ بيده مهيم (أي ما الخبر) فقالت: رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر. (البداية والنهاية ج١). (وقد وردت قصة سارة مع الفاجر مطولة في الحديث الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ كما في صحيح البخاري (برقم ٣٣٩٣).



مصر وفرعون والقبط

تعددت الآراء في أصل كلمة قبط، أشهرها فرضيتان، الأولى أن الكلمة مأخوذة من الاسم اللاتيني اجبتوس (Aegyptus) المشتق من اللفظ اليوناني أيجيبتوس (Aiyutitoc). والثانية أنها ترجع إلى قبط أو قفط بن مصرأيم بن حام بن نوح، وتقضي هذه الفرضية أن قبط أو قفط هو أول من سكن مصر، ومن نسله ولد شعبها وشعب البلاد المجاورة لها كالنوبة وبعض بلاد المغرب. ويسمون بالعربية، القبط. والدراسات الحديثة تشير إلى أن الاقباط هم احفاد المصريين القدماء، وهم شعب من شعوب البحر الابيض المتوسط استوطنت مصر منذ آلاف السنين لأكثرمن ٦٠٠٠ عام. (اقباط http: //ar. wikipedia. org/wiki) وقد قال القاضي أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي في كتاب طبقات الأمم صفحة ٧ في حديثه عن اختلاف الأمم وطبقاتها: (والأمة الرابعة، القبط وهم أهل مصر وأهل الجنوب وهم اصناف السودان من الحبشة والنوبة والزنج وغيرهم من أهل الغرب وهم البرابر ومن اتصل بهم إلى بحر أقنابس الغربي المحيط لغتهم واحدة ومملكتهم واحدة)، قلت والأرجح أنه قصد بحر اقيانوس الغربي فقد عرف قديما بهذا الاسم. (كتاب: طبقات الأمم لابي صاعد الأندلسي).

أما كلمة فرعون فقيل أنها لقب لكل ملك، ملك مصر من غير أهلها وكان ظالما، لقبه المصريون الاقباط بذلك نسبة إلى (فرعان بن مسور أو مشور) الملك المصري الظالم الذي حكم مصر قبل الطوفان . (ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم في قصة يوسف عليه السلام سمى حاكم مصر بالملك، بينما سماه في قصة موسى عليه السلام بفرعون). أما كلمة مصر فقيل أنها جاءت من اسم مصرأيم بن حام. والله سبحانه أعلم بما كان.

العودة إلى بيت المقدس وإسكان هاجر مكة

قال ابن الأثير: (فلما قهر الله فرعون وسلم نبيه من طغيانه، عاد بأهله إلى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين، ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع مسيرة يوم وليلة فبعثه الله نبيًّا، وكان إبراهيم قد اتخذ بالسبع بئرًا ومسجدًا، فأذاه أهل السبع فانتقل عنهم فنضب الماء فاتبعوه يسألونه العودة إليهم فلم يفعل وأعطاهم سبعة أعنز وقال: إذا أوردتموها الماء ظهر حتى يكون معينًا طاهرًا فاشربوا منه، (قيل ولذلك سميت بئر سبع والله أعلم)،

وأقام إبراهيم بين الرملة وإيليا ببلد يقال له قطّ أو قطّ). (هكذا وردت).

وفي (البداية والنهاية ج١بتصرف) **(قيل فلما كان ذلك، أخرجهم الملك، فرجع عليه السلام إلى بيت المقدس ومعه دواب وعبيد وأموال فأقام بها، ولما كانت سارة عاقرا رأت أن تهبه هاجر فتزوجها فولدت له إسماعيل. فاشتدت غيرة سارة منها وطلبت من الخليل أن يغيب وجهها عنها، ـ قلت: وذلك سبب كان لأمر أراده الله سبحانه وهو بناء البيت الحرام وإعماره كما سابين لاحقا ـ فذهب بها وبولدها فسار بهما حتى وضعهما حيث مكة اليوم (كما أوحى الله إليه). ويقال كان إسماعيل رضيعا فلما تركهما هناك وولى ظهره عنهما، وترك جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء، قامت إليه هاجر وتعلقت بثيابه وقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتدعنا ههنا وليس معنا ما يكفينا، فلم يجبها، فلما ألحت عليه وهو لا يجيبها قالت له: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: فإذا لا يضيعنا. وأنطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال** ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ **[إبراهيم: ٣٧] ودعا لهم بالأمان والهداية فقال:** ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ **[إبراهيم: ٣٥].**

وجعلت أم إسماعيل عليها السلام ترضع إسماعيل وتشرب من السقاء، حتى إذا نفذ عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يلتوي، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه. ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا، فهبطت حتى إذا بلغت الوادي سعت سعي الإنسان المجهود حتى أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا. ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ:(فلذلك سعى الناس بينهما) (البخاري برقم ٣٣٩٩، وفي الحديث شواهد للرواية). **فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت: صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت: قد أسمعت أن كان عندك غواث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه ـ أو قال بجناحه ـ حتى ظهر الماء فجعلت تخوضه وتقول بيدها**

هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهي تفور بعد ما تغرف. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «يرحم الله أم إسماعيل لولا أنها عجلت لكان زمزم عينا معينا» (البخاري برقم ٣٣٩٧). فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك: لا تخافي الضيعة فإن ههنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه وأن الله لا يضيع أهله. وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كذا فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا. (قلت: عافَتِ الطيرُ: اسْتَدارتْ على الشيءِ أو الماءِ أو الجِيَفِ، إذا حامتْ عليه تَتَرَدَّدُ ولا تَمْضي، تُريدُ الوُقوعَ. (القاموس المحيط) فقالوا: أن هذا الطائر ليدور على الماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء (أي لم نعهد به ماء) فأرسلوا جريا (أي رسولا يستطلع) فرجع فأخبرهم بالماء فأقبلوا قال: وأم إسماعيل عند الماء. فقالوا: تأذنين لنا أن ننزل عندك؟ قالت: نعم ولكن لا حق لكم في الماء. قالوا: نعم. فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم، حتى شب الغلام وتعلم العربية منهم وأعجبهم، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته فقالت: خرج يبتغي لنا. (أي (للصيد) يطلب لنا الرزق، وكان عليه السلام راميا) فقال: فكيف عيشكم، فقالت: نحن بشر وضيق وشدة وشكت إليه قال: فإذا جاء زوجك أقرئي عليه السلام وقولي له: يغير عتبة بابه فلما جاء إسماعيل أخبرته بما كان فقال هذا أبي يأمرني أن أطلقك، فلحقت بأهلها وتزوج أخرى.

ولبث عنهم إبراهيم زمانا ثم أتاهم بعد فلم يجد اسماعيل، فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت: خرج يبتغي لنا. قال: كيف أنتم، وسألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخير وسعة، واثنت على الله خيرا، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد ؟ قالت: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة ـ وأثنت عليه ـ فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير. قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبي وأمرني أن أمسكك. (البخاري برقم ٣٣٩٩).

بناء الكعبة المشرفة

وفي البداية والنهاية أيضا، ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء فقام إليه إسماعيل فصنعا كما يصنع الولد بالوالد والوالد بالولد. ثم قال: أن الله أمرني

بأمر قال: فاصنع ما أمرك به ربك قال: وتعينني قال: وأعينك قال: فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتا وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ **[الحج: ٢٦] فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر (الذي فيه أثر قدمي إبراهيم عليه السلام) فوضعه له فقام عليه حتى تم البناء، وهما يدوران حول البيت يبنيانه يقولان:** ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ **[البقرة: ١٢٧] قيل فلما بلغ مكان الحجر الاسود نودي من أبي قبيس أن لك أمانة، فجاءه جبريل عليه السلام بالحجر فوضعه مكانه . (أنتهى كلام ابن كثير (بتصرف))، ولما تم البناء توجها إلى الله بالدعاء قالا:** ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ **[البقرة: ١٢٨] سألا الله أن يثبتهما على الإسلام والإيمان وأن يديما الخضوع له وحده وليس لأحد غيره، وأن يجعله في نسلهما، وأن يعلمهما الدين ويريهما المناسك ويتوب عليهم ثم قالا:** ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ **[البقرة: ١٢٩] فاستجاب سبحانه لهما، فأرسل من نسلهما خير خلقه محمد عليه وعليهما أفضل الصلاة وأتم التسليم** (روى الإمام أحمد برقم ٢١٢٣١) **عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قلت يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك قال «دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منها قصور الشام».**

فلما فرغا من بناء البيت أمر الله إبراهيم أن يؤذّن في الناس بالحج فقال إبراهيم: يا ربّ وما يبلغ صوتي قال: أذّنْ وعليّ البلاغ قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي

ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴾ [الحج: ٢٧]
فنادى عليه السلام بالحج فاسمع الله كل من آمن وكتب له الحج فأجيب: لبيك لبيك، وروى (الطيالسي عن ابن عباس برقم ٢٨٢٠) أن جبريل علم إبراهيم عليهما السلام مناسك الحج ودله على المشاعر، وبقي البيت على بناء إبراهيم حتى هدمته قريش سنة خمس وثلاثين من مولد النبي عليه الصلاة والسلام وجددت بناءه.

قصة الذبيح

كثر الجدل قديما وحديثا بين أصحاب الديانات السماوية، في أي ولدي إبراهيم هو الذبيح، فاليهود والنصارى من جهة، قالوا: هو اسحق، ومن جهة أخرى قال المسلمون: هو إسماعيل، وكذب بعضهم بعضا، وأورد كل فريق حججه استنادا إلى كتابه، وإلى روايات أهل العلم من أشياخه، فاليهود والنصارى (مع الأخذ بعين الاعتبار إنكار اليهود نبوة عيسى وتكذيبهم له، والكيد له عند الوالي الروماني حتى تم قتله على الصليب كما يدعون، ((فلما رآه رؤساء الكهنة والخدام صرخوا قائلين اصلبه اصلبه. قال لهم بيلاطس خذوه أنتم واصلبوه لأني لست أجد فيه علة. ٧أجابه اليهود لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله. (يوحنا ٧: ١٩ -٨ موقع. enjeel. com ٢٠١٢/١/٢٢)) أقول مع أن اليهود يعتبرون عيسى مجدفا ومهرطقا (خرافي تسمع صوتي وأنا اعرفها فتتبعني. ٢٨ وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الابد ولا يخطفها أحد من يدي. ٢٩ أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي. ٣٠ أنا والأب واحد ٣١ فتناول اليهود أيضا حجارة ليرجموه ٣٢) (يوحنا ١٠: ٢٨ - ٣٢) موقع. enjeel. com ٢٠١٢/١/٢٢)، ولا يعترفون بالنصرانية كدين متمم لدينهم وشريعتهم، ومع أن النصارى يعتبرون اليهود ضالين، قد انحرفوا عن الدين، ويعتبرونهم قتلة المسيح حسب ادعائهم أيضا (لاعتقاد الطرفين بأنه قتل)، وذلك بعد أن تمت محاكمته وأصدر عليه الحكم بالقتل، أقول مع كل ما بينهم من العداء إلا أنهم وقفوا في صف واحد ، ما دام الأمر يتعلق بالمسلمين. فقالوا الذبيح هو اسحق. ومن الجهة الآخرى نجد المسلمين (على الغالب)، واعتمادا على القرآن الكريم وأقوال العلماء والمشايخ، قالوا هو إسماعيل. ولكن! نحن المسلمين أيضا لنا قولان، فقد اختلف السلف في أيهما الذبيح، فذهبت فئة إلى أنه اسحق، ورأت أخرى أنه إسماعيل، جاء في تفسير البغوي



للآية ١٠٢ من سورة الصافات (واختلف العلماء من المسلمين في هذا الغلام الذي أمر إبراهيم بذبحه بعد اتفاق أهل الكتابين على أنه إسحاق، فقال قوم: هو إسحاق وإليه ذهب من الصحابة: عمر، وعلي، وابن مسعود، وابن عباس، ومن التابعين وأتباعهم: كعب الاحبار، وسعيد بن جبير، وقتادة، ومسروق، وعكرمة، وعطاء، ومقاتل، والزهري، والسدي، وهي رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس، وقالوا: كانت هذه القصة بالشام

وقال آخرون: هو إسماعيل، وإليه ذهب عبد الله بن عمر، وهو قول سعيد بن المسيب، والشعبي، والحسن البصري، ومجاهد، والربيع بن أنس، ومحمد بن كعب القرظي، والكلبي، وهي رواية عطاء بن أبي رباح، ويوسف بن ماهك عن ابن عباس، قال: المفدى إسماعيل). وبمثل ما قال البغوي قالت اغلب كتب التفسير، فروت وجهتي النظر، قلت: ومما أخذه على كثير منها قول المفسر في آخر حديثه عبارة (والصواب أن، أو عبارة والصحيح من القولين) وأرى الأصوب أن يقال (والراجح عندي). فإني أرى أن الأمر لا يكون قاطعا إلا بأحد شرطين: الأول دليل دامغ من القرآن الكريم بأية ذكر فيها اسم الذبيح صريحا، وهذا مالم نجده في كتاب الله. والشرط الثاني حديث صحيح عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، متفق على سنده ولفظه أو متنه، وهذا أيضا لم نجده عند رواة الحديث على كثرتهم. ولم أجد أحدا رفع حديثه إلى رسول الله إلا الاحنف بن قيس فيما رواه عنه أبو سعيد عن علي بن زيد، (في الحديث رقم ١٣٠٧ الذي رواه البزار في مسنده) وقال البزار معلقا على الحديث: (وَأَبُو سَعِيدٍ هَذَا هُوَ الْحَسَنُ بْنُ دِينَارٍ، وَهُوَ لَيْسَ بِالْقَوِيِّ فِي الْحَدِيثِ وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنِ الاحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلا، وَلَمْ يَقُلْ عَنِ الْعَبَّاسِ، وإنما ذَكَرْنَا هَذَا الْحَدِيثَ، وَإِنْ كان الْحَسَنُ لَيِّنَ الْحَدِيثِ، لِنُبَيِّنَ أنهُ رَفَعَهُ، وَأَنَ الْحَدِيثَ لَهُ أَصْلٌ مِنْ حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ). ونص الحديث عن العباس عن النبي قال: (قَالَ داود (وفي حديث آخر مشابه في المعنى ذكر موسى) ﷺ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ، فَقَالَ: أما إِبْرَاهِيمُ فَأُلْقِيَ فِي النَّارِ فَصَبَرَ مِنْ أَجْلِي وَتِلْكَ بَلِيَّةٌ لَمْ تَنَلْكَ، وَأما إِسْحَاقُ فَبَذَلَ نَفْسَهُ لِلذَّبْحِ فَصَبَرَ مِنْ أَجْلِي، وَتِلْكَ بَلِيَّةٌ لَمْ تَنَلْكَ، وَأما يَعْقُوبُ فَغَابَ يُوسُفُ عَنْهُ، وَتِلْكَ بَلِيَّةٌ لَمْ تَنَلْكَ). ومما يتبادر للذهن من نص هذا الحديث أن الله سبحانه لم يستجب للسائل داود كان ام موسى. يقول قد ابتليت هؤلاء، أي ابراهيم واسحق ويعقوب، فصبروا فاستجبت لهم، أما أنت فلم تبتلى لتظهر الصبر فاستجيب لك. ومما يدعو للعجب والتوقف عند

هذا الحديث، أن الله سبحانه لم يكن ليرد دعوة نبي من أنبياءه أولي العزم. وذلك ما يضع علامة استفهام وتعجب على متن الحديث. قلت: وعليه فالحديث لا يخدم الفكرة ولا يرجحها، ولا يسيغ الاستدلال به على اثبات واقعة الذبح لإسحق. والله أعلم. وفي الحديث الثاني الذي رواه برقم ١٣٠٨ وفيه قول النبي (الذَّبِيحُ إِسْحَاقُ) علق بقوله: وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ رَوَاهُ جَمَاعَةٌ، عَنِ الْمُبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنِ الاحْنَفِ، عَنِ الْعَبَّاسِ مَوْقُوفًا). أقول هذا ما وجدته فيمن رجح إسحق.

أما فيمن رجح إسماعيل، فلم أجد مرفوعا إلى رسول الله إلا ما روي عن معاوية رضي الله عنه في الحديث (رقم ٤٠٩٠) الذي رواه الحاكم في المستدرك وفيه عن معاوية بن أبى سفيان قال: كنا عند رسول الله ﷺ فأتاه أعرابي فقال: يا رسول الله، خلفت البلاد يابسة والماء يابسا (وفي رواية الكلأ)، هلك المال وضاع العيال، فعد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين. قال: فتبسم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه. ثم ذكر قصة ذبح عبد الله أبي رسول الله إلى أن قال: فهو الذبيح وإسماعيل الثاني. فمن أخذ بهذا الحديث استدل بإقرار النبي عليه الصلاة والسلام، وبتوضيح معاوية، أن الذبيح إسماعيل. ومما تجدر ملاحظته كثرة طرق الاسناد في كلا القولين، وما أخذ على بعض الرواة في السند من ضعف أو اختلاط، كذلك الاختلافات في نصوص الروايات مما يجعل القولين يضعف أحدهما الآخر. فقد وردت في روايات عن ابن عباس أنه قال اسحق، وفي أخرى أنه قال إسماعيل.

قلت: (والذي أرجحه ولا أقول أنه الصواب، فالصواب لا يعلمه إلا الله سبحانه)، أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، فظاهر الآيات الكريمة (من الآية ٩٨-١١٢) في سورة الصافات يدل على ذلك كما سأبينه أن شاء الله. قال تعالى:

﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴾ [الصافات: ٩٨] يقول تعالى أن قوم إبراهيم لما كذبوه ورأوا إحراقه، رد سبحانه كيدهم واخزاهم، فمع عظم نارهم وشدتها جعلها الله بردا وسلاما، فنجا عليه السلام وباءوا بالذل والخسران. فهو الأعلى بدينه وإيمانه، وهم الأسفلون بكفرهم. فلما خرج من النار قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩]فقد يأس من صلاحهم ورأى أن يتركهم ويهاجر إلى بلد آخر، يعبد فيه الله ويدعو إليه، ثم توجه إلى الله يدعوه قال:

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٠] دعا الله أن يرزقه ولدا صالحا يكون عونا له في الدعوة إلى الله، وفي هجرته التي فارق فيها قومه، مع علمنا بأنه لم يؤمن به إلى ذلك الحين إلا القليل كما أسلفنا في قصة إلقائه في النار كما قال (ابن الأثير في الكامل ج١).

فلما دعا الله جاءته أولى البشارات قال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠١] قيل: غلام في صغره، حليم في كبره، ففيه بشارة أنه ابن وأنه يعيش فينتهي في السن حتى يوصف بالحلم. وسياق الأحداث بعد ذلك يدل على أن المبشر به في هذه الآية إسماعيل، إذ أنه لما سال الله أن يهبه ولدا لم يكن له ولد، فأول ولد له سيكون هو المبشر به في هذه الآية، منطقا وعقلا. فليس من المنطق أن يسأل الله الولد، وهو حينئذ ليس له ولد، فيبشره الله بالولد الثاني ولم يعطيه بعد الأول، والبشرى هنا لإبراهيم بولد يبلغ الحلم، ثم ماذا يكون بعد ذلك؟ الله أعلم به. ولم يبين سبحانه ذلك وابلغ ابراهيم أن ابنه سيبلغ الحلم. ثم قال سبحانه بعد ذلك: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ [الصافات: ١٠٢] والمتبادر إلى الذهن عند قوله ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ [الصافات: ١٠٢] أن يكون ذلك اسماعيل لأنها جاءت بعد قوله ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠١] والسياق يقتضي فهم ذلك، وليس أن ينصرف الفهم إلى الحديث عن اخر لم يولد بعد، بل إنه سيولد بعد عدة اعوام من ولادة الأول، والبشرى بالولد الثاني هي في الأصل لسارة زوجته وأن كان قد بشر به، قال تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود: ٧١] فلما سمعت سارة ذلك تعجبت وقالت: ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [هود: ٧٢] ثم أن الله سبحانه قد بشرها بولد ومن بعده بولد ولد، فلا معنى لأن يأمر سبحانه ابراهيم بذبح ولده إذا بلغ معه السعي (أي

وهو طفل لم يبلغ الحلم وهو مبلغ الرجال) ولم يتزوج بعد ولم يكن له ولد.

كذلك لم تنكر التوراة أن الله أعطاه إسماعيل لأنه سمع دعاءه (ولدت هاجر ابنها ودعته «إسمعيل» كقول ملاك الرب، ويعني «الله سمع» ودعاه إبرام بذات الاسم إذ حسب أن الله سمع له وأعطاه ابنا يرثه (١٧: ١٨)... إذ لم يكن يظن أن سارة تلد له ابنًا). (تفسير سفر التكوين ١٦ - ابرام وهاجر ٤) (http: //st-takla. org/pub ٢٠١٢/١/٢٢) والتوراة لم تنكر أن إسماعيل هو بكر إبراهيم، (ففي (تكوين ١٦ - ١٦) (١٦كان أَبْرَامُ ابْنَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ لأَبْرَامَ.) وفي (تكوين ٢١ - ٥) (٥ وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ حِينَ وُلِدَ لَهُ إِسْحَاقُ ابْنُهُ.) وأبرام المذكور في الفقرة الأولى هو إبراهيم الذي ذُكِرَ في الفقرة التي تليها، فقد غَيَّرَ الله سبحانه وتعالى اسمه قائلاً: ففي (تكوين ١٧ - ٥) (٥ فَلاَ يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدُ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ لأَنِّي أَجْعَلُكَ أَباً لِجُمْهُورٍ مِنَ الامَمِ.)) من موقع (**http:** //www. ebnmaryam. com/althabee٧. htm ٢٠١٢/١/٢٠).

فلما رزق الله إبراهيم الغلام، وكبر وبلغ مبلغ السعي مع أبيه (ولا أرى أن يبلغ الولد ذلك في كنف أبيه وتحت جناحه فقط، فإنما يبلغه وأن كان كل منهما في بلد كما هي حال إبراهيم وإسماعيل)، أقول فلما بلغ ذلك وارتجى أبوه نفعه، وتعلقت به نفسه، أراد سبحانه أن يمتحنه فيه قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ [الصافات: ١٠٢]، رأى إبراهيم ورؤيا الأنبياء حق، رأى أنه يذبح ولده، ولما كان نبيا لم يكن ليخفي عن ولده رؤياه، ولم يكن ليذبحه غيلة، فأعلمه بما رأى وسأله رأيه، فما كان من الغلام إلا أن قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢]، لم يتردد الغلام ولم يفكر، بل بادر إلى طاعة أمر ربه، وبر والده، ووعد بالصبر لما امتحن فيه، وذلك غاية الحلم الذي وصفه به الله سبحانه في قوله ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠١] كذلك هو مثال الصبر الذي وصف به في قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ

﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥] فالموقف يقتضي الحلم والصبر، والحِلْمُ، بالكسر: الأناة والعقل، وهو نقيضُ السَّفَه؛ والحليم: مُحْتَمِل الأذى الصابر عليه وفي اللسان (والحَلِيمُ في صفة الله عز وجل: معناه الصَّبور، وقال: معناه أنه الذي لا يسْتَخِفُّهُ عصيان العُصاة ولا يستفِزّه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيءٍ مِقْداراً، فهو مُنْتَهٍ إليه). (وفي الحديث: لا حَلِيم إلا ذُو عَثْرةٍ؛ أي لا يحصل له الحِلم ويوصف به حتى يركب الأمور وتَنْخَرِقَ عليه ويَعْثُر فيها فيعتبر بها ويَسْتَبين مواضع الخطأ فيجتنبها، ويدل عليه قوله بعده: لا حليمَ إلا ذو تَجْربة). (لسان العرب، بتصرف). قلت: وعليه فلا يقال للرجل حليم إلا عن تجربةَ قاسية تدل على أناته وتعقله وصبره. وأي تجربة اكبر من تلك التي تعرض لها اسماعيل عليه السلام، فاظهر فيها تأنيه وتعقله وصبره. وذلك هو الحلم بعينه.

وقول الله جل ذكره ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾[الصافات: ١٠٣]، أي فلما استسلما وانقادا لأمر الله؛ إبراهيم امتثل أمر الله، وإسماعيل طاعة الله وأبيه. قاله مجاهد، وعكرمة والسدي، وقتادة، وابن إسحاق، وغيرهم. تشهد إبراهيم وذكر الله للذبح، وتشهد إسماعيل للموت، (وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) قال ابن عباس وغير واحد من التابعين: (أكبه على وجهه، صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه، ولا يشاهد وجهه عند ذبحه، ليكون أهون عليه)، (تفسير ابن كثير).

شرع إبراهيم بذبح ابنه، ولكن سكينه لم تقطع، فإن الله سبحانه لأكثر رحمة بإسماعيل من أبيه، وإنما ذلك ابتلاء من الله لصبرهما وحلمهما، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ﴾[الصافات: ١٠٦]، فإسماعيل وصفه سبحانه ﴿بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١] وإبراهيم قال فيه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥] ولم يكن الله ليسمح بقتل نفس مؤمنة ظلما ودون ذنب، قال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]. ولما تم الأمر على ما أراد الله، ونفذ إبراهيم الأمر

كمــــا ينبغــــي، نــــاداه الله: ﴿أَن يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ **[الصافات: ١٠٤-١٠٥].**

فما هو الجزاء الذي أعطاه الله لإبراهيم على إخلاص الطاعة له، والانقياد لأمره؟ الجزاء الأول: ترك له ولده فلذة كبده، وافتداه بذبح عظيم، وعظمه أنه ذبح فداء لنبي حليم صابر منقاد لله مخلص له الطاعة والانقياد دون تردد. قال تعالى: ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾ **[الصافات: ١٠٧]، والجزاء الثاني: مباركته إياه وتخليد ذكره في العالمين، وذلك من وجهين، الأول: أن يقال: سلام على إبراهيم. قال الطبري: أبقى الله عليه الثناء الحسن فيمن بعده إلى يوم القيامة. قلت: ونحن المسلمين نذكره بخير في كل صلاة، كذلك أهل الكتابين فليس فيهم من ذمه (مع افترائهم على كثير من الأنبياء)، وهم جميعا يذكرونه بخير. والوجه الآخر أن كثر الله نسله، فهم على ما نرى أكثر أهل الأرض وكان في نسله الكثير من الأنبياء، ختمهم الله بخير خلقه ومصطفاه وحبيبه محمد عليه وعلى جميع رسل الله وأنبيائه أفضل صلاة وأتم تسليم. قال تعالى:** ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ **[الصافات: ١٠٨-١١٠]، أما الجزاء الثالث: فقد أثنى سبحانه عليه فوصفه بالإيمان وأضافه لجلاله فهو عبد الله المؤمن، قال تعالى:** ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ **[الصافات: ١١١].**

قلت ومن الملاحظ في سرد القصة أن الله سبحانه قد كرر قوله ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ **مرتين، الأولى بعد قوله:** ﴿أَن يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ﴾ **[الصافات: ١٠٤- ١٠٥] فقد أعطاه الجزاءات الثلاث التي ذكرنا، وهي الابقاء على حياة ولده، وتخليد ذكره، والثناء عليه بإعطائه السلام ووصفه بالإيمان والإحسان. كل ذلك لما كان منه من طاعة في قصة الذبح. أما المرة الثانية فهي لما سيأتي من الجزاء، وهو ما ادخره سبحانه عنده ليظهره في حينه**



عندما يشاء الله إظهاره، ذلك أنه أن كنت يا إبراهيم قد سقت ولدك للذبح من اجلي، فإني سأعطيك ولدك ومثله معه قال تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات: ١١٢] يقول سبحانه، سأعطيك ولدا آخر نبيا من الصالحين تسميه اسحق. وقد قيل أن شعائر الحج تتطابق مع أحداث قصة الذبح، ولكني آثرت عدم سردها لعدم وجود ما يؤيدها من الكتاب الكريم أو السنة المطهرة، وحتى لا تكون مثار جدل، فاكتفيت بالإشارة إليها هنا، هذا وقد وجدت ما يوافق بعض ما ذهبت إليه في أقوال بعض السلف، منهم الإمام ابن تيمية رحمه الله (مجموع الفتاوى ـ المجلد٤ ص٧٠)، والله أعلم. ومما يؤيد ما ذهبت إليه والله أعلم هو ترتيب الآيات، فالله سبحانه بشره بالغلام أولا، ثم ابلغه معه السعي ثانيا، ثم أمره بذبحه ثالثا، ثم نفذا الأمر رابعا، ثم فداه بالذبح العظيم خامسا، ثم باركه لصدقه وامتثاله سادسا، ثم وعده بالجزاء سابعا، ثم بشره بإسحق ثامنا. وذلك هو ترتيب الآيات من ١٠١ إلى ١١١ من سورة الصافات.

وقد وجدت من يقول: (أما الذين يجزمون بقول استنادا إلى هذه الآيات فتنقصهم المنهجية السوية في الاستدلال) (www. islamnoon. com/ismail. Htm ٢٠١٢/١/٢٥) وهذا القول فيما أرى يستلزم استبعاد هذه الآيات عند البحث في قصة الذبيح، ويوهم بإمكانية الاستدلال على القصة في مكان آخر، وبآيات أخرى من القرآن الكريم (مع العلم أن لا أحد استدل بهذه الآيات للجزم، وإنما الاستدلال كان للترجيح عند القدامى والمحدثين؛ والآيات المقصودة هي ٩٩ ـ ١١٢ من سورة الصافات). مع العلم أنه لا يوجد في القرآن الكريم موضع آخر ذكرت فيه القصة، بحيث يكون موضع بحث للاستلال جزما أو ترجيحا. ومن غريب ما يقول أيضا (وهناك احتمال نراه الاقرب إلى ظاهر النص، وهو أن يكون إبراهيم عليه السلام قد قام بعملية الذبح كاملة ثم اكتشف أن الله تعالى قد افتدى إسماعيل بذِبْح قام هو بذبحه وهو يظن أنه يَذبح ابنه. فالفداء هنا كان يُقصد منه درء الذبح عن إسماعيل في الوقت الذي ظهر الصدق الكامل من إبراهيم، عليهما السلام). وهذا اغرب من قوله الأول وابعد منطقا وعقلا عن الوقوع. قال تعالى: ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى

ﭐلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٤-١٠٥]، فالنداء جاء بعد ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣]، أي بعد أن أخذا وضعية الذابح والمذبوح، ولم يبق إلا أن تمر السكين بعنق إسماعيل لتقطعه وينتهي الأمر، ولكن الله سبحانه لما أراد الابتلاء، وليس حقيقة الذبح، ناداه أن توقف يا إبراهيم ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ﴾[الصافات: ١٠٥]، وعقب سبحانه بالقول: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦] أي الاختبار الواضح الجلي الذي يبين صدق الاثنين بالانقياد لأمر الله، والإخلاص بالمسارعة لتنفيذ أمره. ثم قال تعالى: ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾ [الصافات: ١٠٧] أي إن الله سبحانه أعطاه هذا الذبح ليكون فداء لولده، ليس فداء كفارة لذنب ارتكبه أحدهما أو كلاهما، ولكن ليتم به الذبح الذي سيكون نسكا من مناسك الشرع الذي هو قربى لله، وتوسعة على الفقير، قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ﴾ [الحج: ٣٧] والله أعلم وعليه قصد السبيل.

مولد اسحق، ولماذا ليس هو الذبيح

مما سبق في تفسير الآيات الكريمة من سورة الصافات (٩٨ - ١١٢) رأيت ومن وجهة نظري أن الذبيح إسماعيل، يؤيد ذلك أن البشرى بإسحق جاءت متأخرة، وذلك حين أرسل سبحانه ملائكته لعذاب قوم لوط، قال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٥] كان إبراهيم عليه السلام إذا جاءه ضيف، (وهو أبو الضيفان) أول ما يبدأ به تقديم الضيافة، فلما استقبلهم، ولم يكن عرفهم، سلموا عليه ورد عليهم السلام، انصرف إلى أهله ولم يبطئ ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ﴾ [هود: ٦٩] (أي مشوي) فلما قدمه إليهم، لم يتقدموا ليأكلوا منه، توجس منهم خيفة، ذلك أن الضيف إذا قدم له الطعام فلم يأكل منه، دل

ذلك عرفا على أنه يضمر شرا، أو في نفسه شيء يكره أو يخشاه، فلما رأوا خوفه طمأنوه أنهم لا يضمرون له إلا الخير، ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨] بشروه بغلام عليم، أقول عالما بشرع الله عاملا به، دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات: ١١٢] قلت ومن يكون أكثر علما بشرع الله والتزاما به من نبي صالح!

فلما دعاهم للطعام، وجاءته البشرى منهم ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ﴾ [هود: ٧١] بالباب، فلما سمعت ذلك أقبلت عليهم ﴿فِي صَرَّةٖ﴾ [الذاريات: ٢٩] أي مع صيحة تعجب عظيمة، (قال ذلك اغلب المفسرين، ولكني أرى والله أعلم أنها أقبلت عليهم بضحكة لها صوت مسموع لشدة عجبها، يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ﴾ [هود: ٧١] ﴿فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا﴾ [الذاريات: ٢٩] ضربت وجهها على عادة النساء، عند التعجب أو الدهشة وقالت: ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٞ﴾ [الذاريات: ٢٩] (أي أنقضى عهدها بالولادة، إذ لم تلد في صباها) ثم ﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴾ [هود: ٧٢] (تعجبت أن تلد وقد تخطت هي وزوجها سن الإنجاب لكبر سنهما) فقالت الملائكة: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾ [هود: ٧٣] قالوا: إن كنت عجبت أن ترزقي بإسحق، وهو رحمة من الله لك على كبر سنك، فلك زيادة على ذلك من بعده، أي ولدا له، يعقوب، فبشروها بولد وولد ولد، قال تعالى: ﴿ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [هود: ٧٣] ومن معاني البركة لغة النماء والزيادة في الشيء وإكثاره عن مألوفه.

مما سبق وكما ذكرنا في قصة الذبح، بعد أن أعطى الله سبحانه إبراهيم

عليه السلام أعطياته الثلاث وهي: الإبقاء على حياة ولده، وتخليد ذكره، والثناء عليه بإعطائه السلام ووصفه بالإيمان. كرر سبحانه القول: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾

[الصافات: ١١٠] قلت والله أعلم أن الحكمة من التكرار هي أن تلك بشرى أخرى خبأها الله له، وها هو سبحانه يعطيه إياها الآن ممثلة بإسحق ومن وراءه يعقوب، والبشرى هنا تخص امرأة إبراهيم أكثر مما تخصه، فقد يئست من الولادة لكبر السن، أما هو فله ولد من غيرها هو اسماعيل. نستشف ذلك من قوله تعالى: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [هود: ٧٣] وقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ [هود: ٧١] أقول أن ذلك ينفي أن يكون اسحق الذبيح، فلا معنى للأمر بذبح اسحق، وقد وعد الله بأن يكون له نسل من بعده، إلا أن يكون الأمر بالذبح جاء بعد ميلاد يعقوب بن اسحق، وذلك أمر مستبعد.

هذا ما أراه والله أعلم، من فهمي للآيات الكريمة، يؤيد ذلك ما ورد في التوراة من تناقض في قصة الذبيح، ففي العهد القديم (تكوين ٢٢ - ٢) (فقال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه اسحق واذهب إلى أرض المريا واصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك) فعلى زعم التوراة، أمر الله إبراهيم أن يأخذ ابنه وحيده إلى الجبل ويذبحه (واصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك (وكما نعلم مما رأينا في العهد القديم (تكوين ١٦ - ١٦) (١٦كان أَبْرَامُ ابْنَ سِتٍّ وثمانين سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ لأَبْرَامَ.) وفي (تكوين ٢١ - ٥) (٥ وَكان إِبْرَاهِيمُ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ حِينَ وُلِدَ لَهُ إِسْحَاقُ ابْنُهُ.). نرى من هذه الآيات أن اسحق لم يكن وحيد إبراهيم، ونرى بوضوح أيضا أن كلمة (اسحق) مقحمة على النص حسب (تكوين ٢٢ - ٢) ونرى اعتراف التوراة بأن أمر الذبح كان للولد البكر، وكما هو واضح هو إسماعيل لأنه هو البكر. كذلك نرى أن الذبح سيكون على جبل، أو على مرتفع من الأرض، وهو على الارجح (منى)، وليس فيما نعلم في فلسطين كلها، فضلا عن بيت المقدس، أي مذبح لليهود يخلد القصة أو يشير إليها.

كذلك نجد في التوراة، أقسم الله بذاته قائلاً: العهد القديم (تكوين٢٢ من

١٦ إلى ١٨) (في٢٠١٢/١/٢٢) (١٦وَقَالَ: «بِذَاتِي أقسمتُ يَقُولُ الرَّبُّ أني مِنْ أَجْلِ أنكَ فَعَلْتَ هَذَا الأمر وَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ ١٧أُبَارِكُكَ مُبَارَكَةً وَأكثر نَسْلَكَ تَكْثِيراً كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ وَيَرِثُ نَسْلُكَ بَابَ أَعْدَائِهِ ١٨وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأرض مِنْ أَجْلِ أنكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي»). (ونلاحظ هنا أيضا التأكيد على أن الذبيح هو الابن الوحيد) قلت ومن العجيب أن تفسير آيات التوراة هذه ليس بعيدا في معناه من قول الله سبحانه: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٣-١١٠].

وأخيرا؛ ومع عظم قصة الذبح، وعظم منزلة إبراهيم واسحق في نفوس اليهود والنصارى، فإننا لا نجد، لا عند القدامى، ولا المحدثين منهم، من يزعم أن هناك أثرا واحدا لا في بيت المقدس، ولا في فلسطين، بل ولا في الشام كلها، أقول لا نجد من يزعم أن هنالك أثرا يدل على مذبح، أو كنيس أقاموه لتخليد القصة، مع اهتمامهم الزائد بمثل هذه الأمور. ولو كان إسحاق هو الذبيح، لاتخذ بنو إسرائيل من الفداء سنة لهم، ولذكروها في مناسبات مختلفة، إضافة إلى أن الفداء عندهم يرتبط بالخروج من مصر، وليس بقصة الذبح والفداء، ففي العهد القديم (خروج ١٣ من ١١ إلى ١٦) (في ٢٠١٢/١/٢٢) (١١ ويكون متى أدخلك الرب أرض الكنعانيين، كما حلف لك ولآبائك وأعطاك إياها ١٢ أنك تقدم للرب كل فاتح رحم وكل بكر من نتاج البهائم التي تكون لك، الذكور للرب ١٣ ولكن كل بكر حمار تفديه بشاه، وأن لم تفده فتكسر عنقه، وكل بكر إنسان من أولادك تفديه ١٤ ويكون متى سالك ابنك غدا قائلا: ما هذا تقول له: بيد قوية أخرجنا الرب من مصر من بيت العبودية ١٥ وكان لما تقسى فرعون عن إطلاقنا، أن الرب قتل كل بكر في أرض مصر من بكر الناس إلى بكر البهائم، لذلك أنا اذبح للرب الذكور من كل فاتح رحم، وافدي كل بكر من أولادي ١٦ فيكون علامة على يدك وعصابة بين عينيك، لأنه بيد قوية أخرجنا الرب من مصر). فليس في قصة الفداء هذه ما يشير إلى اسحق من بعيد ولا من قريب. بل تشير إلى الخروج من مصر



زمن موسى عليه السلام، ودخول بيت المقدس.

قصة الطيور الأربعة

اختلف المفسرون في سبب سؤال إبراهيم عليه السلام ربه جل جلالة، كيف يحيي الموتى، وقد اخترت قولين أرى أنهما الاقرب للعقل، والله أعلم، الأول: أن ذلك كان بعد المناظرة بينه وبين النمرود، والثاني: أن ذلك كان لما رأى جيفة قد أكلت منها السباع والطيور والديدان ما أكلت، ثم ذرت الريح ما يبس منها، فعجب لذلك وسال الله (سؤال استفهام عن كيفية حدوث الأمر وليس استنكارا لحدوثه، فهو مؤمن متيقن من القدرة على الإحياء، ولكنه يسال من جهل عن كيفية الحدوث، كمن يسال الخباز، كيف يصنع الخبز؟، فهو يعلم أنه يصنعه ولكنه لا يعلم كيف يصنعه، فهو لما سئل أشككت؟ قال لا لم اشك، ولكني متيقن وأردت المعاينة) سأل أن يريه كيف يكون الإحياء قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ **[البقرة: ٢٦٠] قال سبحانه:**

﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ **[البقرة: ٢٦٠] قال إبراهيم:** ﴿بَلَىٰ﴾ **[البقرة: ٢٦٠] أسرع بالإجابة: بلى يا رب آمنت، ولكن سألتك أن أرى ذلك عيانا، حتى لا يدخل علي الشيطان بالوسوسة، ولأزداد أيمانا مع إيماني، وعلل سبب سؤاله قال:**

﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ **[البقرة: ٢٦٠] روى الطبري في التفسير، عن عطاء بن أبي رباح قال: دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس. يعني من وسوسة الشيطان وما شك) وروي عن أبي هريرة قوله: أن رسول الله ﷺ قال: «نحنُ أحق بالشك من إبراهيم، قال: رب أرني كيف تحيي الموتى، قال أولم تؤمن؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي». (وقد فهم البعض أن إبراهيم عليه السلام شك فسأل، ولكن حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام يدحض ذلك، قال ابن الجوزي رحمه الله: (لأن قوما ظنوا في قوله تعالى: (رب أرني كيف تحيي الموتى) أنه شك، فنفى ذلك عنه، وإنما المعنى: إذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على أحياء الموتى، فإبراهيم أولى ألا يشك، فكأنه رفعه على نفسه) فالحديث لا يثبت شكاً، لا لإبراهيم عليه السلام، ولا لنبينا محمد عليه الصلاةُ والسلام، بل ينفي عنهما مظنة الشك، فقال تعالى يجيبه إلى مسألته:** ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ

﴿ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠] وقد تعددت أقوال أهل التفسير والعربية في معنى (صرهن)، والظاهر أن يأخذهن فيذبحهن ويخلط أجزاءهن، ثم يوزعهن على أربعة جبال، أو على جبال عدة في جهات مختلفة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا﴾ [البقرة: ٢٦٠] ثم يدعوهن إليه قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗا﴾ [البقرة: ٢٦٠] فإذا دعاهن أتينه سعيا، أي يمشين على أرجلهن بعد أن يجتمع كل جزء إلى صاحبه، وهو ينظر إلى ذلك عيانا، ثم يقول سبحانه: ﴿وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٦٠] قال الطبري: يعني تعالى ذكره بذلك: (وأعلم) يا إبراهيم، أن الذي أحيا هذه الاطيار بعد تمزيقك إياهن، وتفريقك أجزاءهن على الجبال، فجمعهن وردّ إليهن الروح، حتى أعادهن كهيئتهنّ قبل تفريقكَهُنّ = (عزيز)، في بطشه إذا بطش بمن بطش به من الجبابرة والمتكبرة، الذين خالفوا أمره، وعصوا رُسله، وعبدوا غيره، وفي نقمته حتى ينتقم منهم = (حكيم) في أمره.

زيجاته وأبناؤه ووفاته

(قيل ولما ماتت سارة دفنها في حبرون (المعروفة الآن بالخليل)، وتزوج بعدها عدة مرات وأنجب، وقيل ثم مرض إبراهيم عليه السلام ومات عن مائة وخمس وسبعين وقيل: وتسعين سنة ودفن في المغارة المذكورة التي كانت بحبرون عند امرأته سارة التي في مزرعة عفرون الحيثي وتولى دفنه إسماعيل وإسحاق صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين). والله أعلم.

فرية أرض الميعاد

تشدق اليهود كثيرا ورددوا أن فلسطين أرض الميعاد، وأن الله سبحانه قد وعدها ابراهيم، وأعطاه إياها ملكا ابديا، وأنهم مهما ابعدوا عنها فإن هم سيعودون إليها وسيملكونها ملكا ابديا حسب زعمهم. وقد اعتمدوا في ذلك على كتابهم المقدس التوراة، وأخذوا منه نصوصا محددة لتأييد حجتهم، ولننظر إلى تلك النصوص كما جاءت في التوراة، أو فيما يعرف بالعهد القديم.

أمر الله سبحانه ابراهيم عليه السلام أن يخرج من الأرض التي ولد فيها بسبب اصرار أهلها على الكفر، فخرج منها متوجها إلى حران، وأقام فيها زمنا ثم توجه إلى أرض الكنعانين فلسطين، فلما وصلها بنى مذبحا في شكيم (وهي ما تعرف الآن بـ ـ بلاطة ـ بالقرب من مدينة نابلس)، وهناك وكما تقول التوراة وعد الله ابراهيم أن يعطي تلك الأرض لنسله كما في (تكوين ١٢ ـ ٧) (وظهر الرب لأبرام وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض. فبنى هناك مذبحا للرب الذي ظهر له). ولو تمعنا في هذا العدد ـ ومن المعروف أن التوراة تنقسم إلى اسفار كالتكوين والخروج والتثنية، والأسفار تنقسم إلى اصحاحات أو فصول، والإصحاحات تنقسم إلى اعداد ـ نجدها تصرح بأن الرب قد ظهر لإبراهيم. أي أن ابراهيم رآه عيانا وكلمه، ومع ذلك بقي حيا ليكمل رسالته، ولكننا في سفر الخروج فصل ٣٣ العدد ١٨يقول موسى (١٨ فقال أرني مجدك). فبماذا اجاب الرب؟ الجواب في (خروج ٣٣: ٢٠) (٢٠ وقال لا تقدر أن ترى وجهي. لأن الإنسان لا يراني ويعيش). قال الرب لموسى: الإنسان إذا راني لا يعيش، أي أنه سيموت، ويؤكد ذلك (خروج ٣٣-٢٣) (٢٣ ثم ارفع يدي فتنظر ورائي. وأما وجهي فلا يرى). والسؤال، كيف بقي ابراهيم حيا؟ ونحن، هل نصدق العدد (تكوين ١٢-٧) ام نصدق العددان (خروج ٣٣-٢٠-٢٣). في الحقيقة، لا يمكن لحي أن يرى الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] أن موسى عليه السلام قد صعق من نظره إلى الجبل يندك ويسحق ويندثر لما تجلى له الله سبحانه، فكيف به إذا رأى الله، بالقطع لم يكن ليحيا بعدها، ذلك أن الله سبحانه لم يقدر لحي أن يراه في حياته الدنيا.

ونعود الآن إلى قصة الوعد، فنجد أن ـ التوراة ـ تؤكد ذلك في (تكوين ١٣ ـ ١٥) (١٥ لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الابد) وفي (تكوين ١٣ ـ ١٧) (١٧ قم امش في الأرض طولها وعرضها، لأني لك أعطيها). ثم بعد ذلك نجد أن الله ـ حسب التوراة ـ بعد أن اعطى

ابراهيم الأرض التي يرى (تكوين ١٥ - ١٨) (١٨ في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا: لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات) نجد هنا الرب اعطاه الأرض من النيل إلى الفرات، فهل كان ابراهيم يرى من النيل إلى الفرات؟، لا شك أن تلك فرية توراتية ابتدعتها الأيدي الخبيثة التي زورت التوراة. ومن الغريب أننا نجد أن الله قد اعطى ابراهيم أرض غربته ففي (تكوين ١٧ - ٨) (٨ وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان ملكا أبديا. وأكون إلههم). ونلاحظ هنا أن التوراة تصرح بأن هذه الأرض أي فلسطين، أرض غربة لليهود - كشعب - وليست أرض اصل، والمنطق يقول أن الغريب في غربته إنما هو ضيف غير مقيم، ولا بد من يوم يغادر فيه تلك الأرض مهما طالت اقامته فيها. وأن ملك وحكم واستبد. فالأرض ملك دائم لأصحابها الشرعيين، كانوا سادة وحكاما فيها، أو كانوا رعايا - بقوة القهر - لمحتل أو غاصب.

ولننظر الآن إلى هذا الرب المتخبط الذي لا يستقر على رأي. اعطاه أولا الأرض التي ترى عيناه (تكوين ١٣ - ١٥)، ثم اعطاه من الفرات إلى النيل (تكوين ١٥ - ١٨)، أي أرض مولده وأرض غربته، ثم عاد ليعطيه فقط أرض غربته (تكوين ١٧ - ٨). فأي رب هذا. حاشا لله سبحانه أن يكون كذلك، قال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٩]، أي أن الله سبحانه إذا قضى أمرا امضاه كما أمر به وقدره فلا يتغير ولا يتبدل. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦]، أي على الحق، الثابت الواضح، الذي لا يشوبه العوج ولا الاضطراب ولا التخبط ولا التغيير.

وأخيرا، وبعد كل هذا نجد التوراة تقول عند موت سارة امرأة ابراهيم، (تكوين ٢٣ - ٢) وماتت سارة في قرية أربع، التي هي حبرون، في أرض كنعان. فأتى إبراهيم ليندب سارة ويبكي عليها)، (٣ وقام إبراهيم من أمام ميته وكلم بني حث قائلا)، (٤ أنا غريب ونزيل عندكم. أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي من أمامي)، (٥ فأجاب بنو حث إبراهيم قائلين له)، (٦ اسمعنا يا سيدي. أنت رئيس من الله بيننا. في أفضل قبورنا ادفن ميتك، لا يمنع أحد منا قبره عنك حتى لا تدفن ميتك)، (٧ فقام إبراهيم وسجد لشعب الأرض، لبني حث)، (٨ وكلمهم قائلا: أن كان في نفوسكم أن أدفن ميتي من أمامي،

فاسمعوني والتمسوا لي من عفرون بن صوحر)، (٩ أن يعطيني مغارة المكفيلة التي له، التي في طرف حقله. بثمن كامل يعطيني إياها في وسطكم ملك قبر)، (١٠ وكان عفرون جالسا بين بني حث، فأجاب عفرون الحثي إبراهيم في مسامع بني حث، لدى جميع الداخلين باب مدينته قائلا)، (١١ لا يا سيدي، اسمعني. الحقل وهبتك إياه، والمغارة التي فيه لك وهبتها. لدى عيون بني شعبي وهبتك إياها. ادفن ميتك)، (١٢ فسجد إبراهيم أمام شعب الأرض)، (١٣ وكلم عفرون في مسامع شعب الأرض قائلا: بل أن كنت أنت إياه فليتك تسمعني. أعطيك ثمن الحقل. خذ مني فأدفن ميتي هناك)، (١٤ فأجاب عفرون إبراهيم قائلا له)، (١٥ يا سيدي، اسمعني. أرض بأربع مئة شاقل فضة، ما هي بيني وبينك؟ فادفن ميتك)، (١٦ فسمع إبراهيم لعفرون، ووزن إبراهيم لعفرون الفضة التي ذكرها في مسامع بني حث. أربع مئة شاقل فضة جائزة عند التجار)، (١٧ فوجب حقل عفرون الذي في المكفيلة التي أمام ممرا، الحقل والمغارة التي فيه، وجميع الشجر الذي في الحقل الذي في جميع حدوده حواليه)، (١٨ لإبراهيم ملكا لدى عيون بني حث، بين جميع الداخلين باب مدينته)، (١٩ وبعد ذلك دفن إبراهيم سارة امرأته في مغارة حقل المكفيلة أمام ممرا، التي هي حبرون، في أرض كنعان)، (٢٠ فوجب الحقل والمغارة التي فيه لإبراهيم ملك قبر من عند بني حث).

(قلت: كيف تكون الأرض لإبراهيم حسب عطاء الرب، ثم يقول: الأرض، أرض كنعان، أي أنها ليست أرضه. ثم يسأل الحيثيين أن يعطوه فقط موضع قبر يدفن فيه زوجته، فلما اعطاه عفرون بن صوحر موضع القبر، نجده يسجد لهم شكرا (على عادة أهل ذلك الزمان)، ثم يأبى أن يأخذ الأرض بلا ثمن، ولا يأخذها حتى يسلم لعفرون ثمنها، اربع مائة شاقل فضة، وعند ذلك وجبت له الأرض، أي صارت ملكه فدفن فيها زوجته. والآن، لو كانت الأرض له ولنسله كما تدعي التوراة، فلماذا يشتري موضع قبر؟. ولماذا يسجد لهم بعد أن باعوه؟ أما كان بإمكانه أن يأخذ أي أرض يريد فيجعلها مدفنا لزوجته رغم أنف الحيثيين، ولكنه لم يفعل ذلك لأن الأرض ليست له، بل هي لأصحابها أن أرادوا اعطوه وإلا منعوه.

مما سبق نرى أن الأرض ليست لإبراهيم. ثم لما مات ابراهيم، ماذا فعل بنوه؟ وأين دفنوه؟ نجد في (تكوين ٢٥) (٨ وأسلم إبراهيم روحه ومات بشيبة صالحة، شيخا وشبعان أياما، وأنضم إلى قومه)، (٩ ودفنه إسحاق وإسماعيل ابناه في مغارة المكفيلة في حقل عفرون بن صوحر الحثي الذي

أمام ممرا)، (١٠ الحقل الذي اشتراه إبراهيم من بني حث. هناك دفن إبراهيم وسارة امرأته). والحاصل هنا أيضا؛ نجد أن التوراة تعود لتأكد أن نسله أيضا قد عرفوا أن الأرض ليست أرضهم، بل هي أرض اصحابها، فاسحق وإسماعيل وهما نسله لم يعتديا على أرض الحيثيين، بل دفناه في الحقل الذي اشتراه من بني حث.

وآخرا، اختم فأقول: أن أرض الميعاد ـ بالمفهوم الصهيوني ـ ما هي إلا فرية ابتدعها من كتب هذه التوراة المزيفة المحرفة، والتي لا تمت لكتاب الله الذي نزل على موسى بشيء. أما وعد الله لإبراهيم عليه السلام، بأنه اعطاه هذه الأرض له ولبنيه، كما في ((تكوين ١٢ - ٧) (وظهر الرب لأبرام وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض). لا شك أنها حقيقة،! ولكن، ماهي ماهية هذا العطاء؟ أقول: إن هذه الأرض أرض مقدسة طاهرة، اعطاها الله لعباده من نسل ابراهيم ليقيموا فيها شرع الله، وليعبدوه فيها حق عبادته، فهي لنسل ابراهيم ممن قام بدين ابراهيم، هي لليهود ما كانوا يهودا على شرع الله، وهم من نسل ابراهيم، فلما نسخ الله اليهودية ـ لما كانت اليهودية دين الله في الأرض ـ أقول اعطاها للنصارى يعبدون الله فيها ما كانوا نصارى على شرع الله ـ لما كانت النصرانية دين الله في الأرض ـ وهم أيضا من نسل ابراهيم. (مع العلم أن اليهودية والنصرانية هما في اصلهما ليسا دينان مختلفان ، بل هما دين واحد لا يختلف، وهو الإسلام). فلما جاء الإسلام ونسخ الله به بعض شرائع اليهودية والنصرانية، وطهرهما من الشرك والضلال الذي اعتراهما، اقره الله سبحانه دينا قيما إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧] وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩] ثم صارت بعد ذلك للمسلمين ما كانوا مسلمين، فكلهم ـ يهودا ونصارى ومسلمين ـ نسل ابراهيم، ولهم حق في الأرض ما بقوا فيها وتجذروا وامتزجوا بسكانها الأصليين، وحافظوا على اسمهم، (الفلسطينيون) عربا كانوا من نسل اسماعيل، نصارى أو مسلمين، أو يهودا من نسل اسحق، نصارى أو يهودا، أما الاشكناز والفلاشا وغيرهم ممن لا صلة لهم بفلسطين، فما علاقتهم بفلسطين، وما هو الحق الذي لهم فيها، وأي وعد زائف باطل هذا الذي



ينادون، ويتمسكون به؟؟

الدين هو الإسلام أولا وآخرا، وعليه فالأرض لأصحابها الأصليين التاريخيين وهم الكنعانيون الذين عرفوا فيما بعد بالفلسطينيين ـ مع من امتزج بهم وصار منهم، بالنسب والتزاوج والإقامة واعتمار الأرض ـ لا ينازعهم فيها منازع، وليس لأحد غيرهم حق فيها، يسكنونها ويعمرونها، والعطاء إنما هو هذا الدين الذي ينشره نسل ابراهيم فيها إلى يوم القيامة، أمره الله سبحانه أن ينشر فيها هو ونسله شرع الله، ويقيموا فيها دينه، لا أن يستولوا عليها ويسرقوها من أهلها، وذلك منكر حاشا لله أن يأمر به أو يرضاه. وقصة شراء ابراهيم لحقل عفرون تؤيد ذلك وتدل عليه. والخلاصة أن ما يسمى بأرض الميعاد، فرية توراتية صهيونية لا سند لها ولا اساس ولا دليل. ولو كانت وعدا إلاهيا حقا ـ بالمفهوم الصهيوني الذي يقول بيهودية الدولة وإقصاء من لم يكن يهوديا ـ لتحقق هذا الوعد، ولما وقف في طريق تحقيقه صغير ولا كبير، لأن الله سبحانه إذا وعد أنجز، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٥] وقال أيضا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١] وقد تبينت حقيقة أنجاز الله وعده بصورة جلية في قصة ام موسى عليه السلام، فلما أوحى سبحانه إليها أن تلقيه في اليم، اعاده إليها بعد ذلك وبأسرع مما توقعت، اعاده سليما معافى، قال تعالى: ﴿فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [القصص: ١٣].

ومما لا بد منه احقاقا للحق أن اذكر هنا أن الداعية الإسلامي الكبير، أحمد ديدات رحمة الله عليه، قد فند هذه الفرية أيضا في أحدى محاضراته معتمدا على نصوص الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، من خلال عرض الاعداد المتعلقة بالموضوع في بعض اصحاحات اسفار، التكوين والتثنية، ومن خلال الرسالة المعروفة بالعبرانيين اصحاح ١١ ـ عدد ١٣، وهي أحدى رسائل بولس الرسول في العهد الجديد. (المصدر بتاريخ ١٥/ ٨ /٢٠١٢ - youtube.com/watch?v=1ucbMMupctk)

قصة بني اسرائيل

قصة يوسف عليه السلام

هو يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم الخليل عليهم صلوات الله وسلامه، وهو أحد الاثني عشر ولدا أبناء يعقوب (اسرائيل) الذكور الذين هم آباء الأسباط. (وهو ابن آخر زوجات يعقوب التي ماتت بعد أن وضعت أخاه بنيامين، وقيل تربى في حضن عمته) (البداية والنهاية ج ١ ص ١١)**، وكان هو وبنيامين أحب أبناء يعقوب إليه لصغرهما ويتمهما، ولذلك حسده إخوته واضمروا له شرا، وكان في صغره قد رأى فيما يرى النائم، أحد عشر كوكبا والشمس والقمر يسجدون له، وكان السجود في زمانهم من علامات الإجلال والتقدير، كما سجدت الملائكة لآدم** عليه السلام**، فقص رؤياه على والده فقال له:**

﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا﴾ **[يوسف: ٥] أمره أن يكتم رؤياه عن إخوته، حتى لا يزدادوا حسدا له وبغضا. وقوله تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ **[يوسف: ٦] أي يختارك ويصطفيك لما يحبه برحمته ولطفه،** ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾**[يوسف: ٦] يعطيك علم تعبير رؤى المنام** ﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ **[يوسف: ٦] أي بأن يعطيك شرف النبوة** ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ **[يوسف: ٦] أي على الأسباط الذين سيولدون من إخوتك والذين سيكون منهم أنبياء وملوك** ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ **[يوسف: ٦] بأن جعلهما نبيين عظيمين مع ما لهما من الكرامات فهذا أنجاه من النار واتخذه خليلا وجعله أبا الأنبياء، وذاك بشر به في كتابه وجعل منه الأسباط بما فيهم من الأنبياء والملوك** ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ **[يوسف: ٦]، أي بعلمه وحكمته يصطفي من يشاء ويضع رسالته مع من يشاء سبحانه.**

(قيل وكانت زوجة أبيه سمعت ما قال، فلمّا أقبل أولاد يعقوب من الرعي

أخبرتهم بالرّؤيا، فازدادوا حسدًا وكراهةً له وقالوا: ما عنى بالشمس غير أبينا، ولا بالقمر غيرك، ولا بالكواكب غيرنا، أن ابن راحيل يريد أن يتملك علينا ويقول أنا سيدّكم ((الكامل ج ١ ص ٢) وقالوا: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ [يوسف: ٨] أي نحن جماعة وأحق بحب أبينا منهما ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٨]أي بتفضيلهما علينا بحبه. وتأمروا بينهم أن يفرّقوا بينه وبين أبيه وقالوا: ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضًا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ [يوسف: ٩] منهم من قال اقتلوه ومنهم من قال أبعدوه إلى أرض لا يرجع منها فلا يراه أبوه، فتصبح محبة أبيه خالصة لكم، ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمًا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ٩] أي توبوا بعد ذلك وأصلحوا يغفر الله لكم، وقيل يصلح ما بينكم وبين أبيكم.

لما أجمع إخوة يوسف على اتخاذ أمر بشأنه ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ [يوسف: ١٠] ولم يكن الله سبحانه ليسمح بقتله، مع ما ادخر له من الكرامة، وهي إرساله نبيا وهاديا، فقال أحد إخوته: أما وقد عزمتم على الكيد له فلا تقتلوه، ولكن ألقوه في قعر البئر (قيل وكان في أرضهم بئر عميقة جفت ولا ماء فيها)، قال فإن مرت قافلة وأرادت أن تستقي، وجدته فأخذته معها وغربته فتخلصكم منه، فلا تتحملوا وزر قتله. فلما اجتمعوا على هذا الرأي واستقروا عليه، ذهبوا إلى أبيهم وطلبوا منه أن يرسل يوسف معهم إلى المرعى، يلعب فيفرح ويسر بخروجه معهم وفي رعايتهم، قالوا: ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[يوسف: ١٢] ولكن يعقوب عليه السلام بما يحس من كراهة إخوته له، ولشدة تعلقه به قال: ﴿إِنِّى لَيَحۡزُنُنِىٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ

عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ [يوسف: ١٣] قال يشق علي أن أفارقه، ولا أطيق بعده، وأخاف أن تنشغلوا عنه بما أنتم فيه من أمركم، فيهاجمه ذئب فلا يستطيع دفعه لصغره وضعفه، فيأكله الذئب، ﴿قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [يوسف: ١٤] أي أن أكله الذئب ونحن جماعة من حوله، فلا خير فينا ونحن إذن هالكون خاسرون. ولم يزالوا بابيهم حتى أرسله معهم.

خرج إخوة يوسف به معهم، فأذوه ثم نزعوا قميصه والقوه في البئر، فأوحى الله إليه ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥] أي سوف تخبرهم بفعلتهم هذه بعد حين وهم لا يعرفونك، حين يفرج الله كربك وينجيك من محنتك. ثم أخذوا قميصه ولطخوه بدم شاة ذبحوها، قال تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖ﴾ [يوسف: ١٨] وعادوا في المساء إلى أبيهم يتصنعون البكاء قالوا: ﴿يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧] أي ذهبنا نتسابق وتركنا يوسف يحرس حوائجنا وثيابنا، فلما رجعنا وجدنا ذئبا عدا عليه فأكله، ونعلم أنك ستكذبنا لسوء ظنك بنا، فهذا قميصه عليه دمه ليدل على صدقنا. قيل فلما أخذه لم يجد فيه خرقا ولا تمزيقا فقال: (تالله ما رأيتُ ذئبًا أحلم من هذا أكل ابني ولم يشقّ قميصه ثم بكى بكاء طويلاً) (الكامل ج ١ ص ٢) **وقال: ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] قال بل أمرتكم أنفسكم بسوء ففعلتموه، وإنما اصبر صبرا لا شكوى فيه واستعين بالله على ما جئتم به من القول الذي لا يصدق.**

مكث يوسف في البئر أياما، قال تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ﴾ [يوسف: ١٩]

أي مرت بالبئر قافلة مسافرة ﴿فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ﴾ [يوسف: ١٩] أي أرسلوا أحدهم إلى البئر يستقى لهم الماء ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ [يوسف: ١٩] فألقى دلوه في البئر ليستخرج الماء، فتعلق يوسف بالدلو، فلما رآه الوارد ﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ [يوسف: ١٩]صاح بصحبه أبشروا فإن بالبئر غلاما (والغلام: الطار الشارب ـ قاموس المحيط ـ وهو الصبي من حين يولد إلى أن يقارب البلوغ) فأخرجوه ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾ [يوسف: ١٩] أي أخفاه الذين وجدوه عن باقي التجار بضاعة كي لا يشاركوهم بثمنه، وهذا ظاهر ما يفهم من الآية، وأرى أن ما ورد في كثير من كتب التفسير والتاريخ من التفصيلات، ففيه كثير من التناقض والغرابة مما يدل على أنه من الاسرائيليات، والله أعلم. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ١٩] أي الله أعلم بما جرى مع يوسف من إخوته ومن التجار. (وفي التفاسير قريب من ذلك، والله أعلم).

حملت القافلة يوسف إلى مصر ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠] أي باعوه بثمن قليل، ولم يغالوا في ثمنه فقد كان صغيرا لا يطمع فيه لعمل، (وفي الكتب أن الذين باعوه إخوته والله أعلم). ثم أن الذي اشتراه، (قيل هو عزيز مصر أي وزيرها) أخذه إلى بيته وأمر امرأته أن تحسن إليه وترعاه، قيل ولم يكن له ولد قال: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [يوسف: ٢١] أي إما أن ينفعنا بالخدمة أو باتخاذنا إياه ولدا، يقول جل ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٢١] أي وبتسخيرنا ليوسف هذا الرجل لرعايته، وبتعليمنا إياه تعبير الرؤيا، فذلك تهيئة لما نعده له من التمكين الاكبر بالنبوة، وتمكينه من الحكم عندما يقربه الملك ويتخذه أكبر وزرائه. ﴿

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ أي القادر على فعل ما يريد لا ينازع في ذلك سبحانه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١] أي من عرفوا يوسف منذ ولادته لا يعلمون ما قدره الله له من كرامة النبوة والتمكين في الأرض. وأرى والله أعلم أن الآية تعرض بإخوته حيث أرادوا به السوء﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢] اختلف المفسرون في معنى بلغ أشده، فمنهم من قال بلغ الحلم، ومنهم من قال ثماني عشرة أو عشرين سنة، وغيرهم قال ثلاثين، أو ثلاثا وثلاثين وقيل أربعين، وأرى الارجح أن لا يحد ذلك، ولكنها السن التي بلغ فيها حد القدرة على تحمل أعباء الرسالة والنبوة والله أعلم.

قصة امرأة العزيز

لما بلغ ﷺ مبلغ الرجولة، ولما كان يتمتع به من جمال خارق ووسامة نادرة، شغفت امرأة العزيز به حبا، وعشقته وعملت على استمالته إليها، وهيأت الأسباب للإيقاع به، فأبعدت الخدم وأغلقت الأبواب وزينت له الوقوع عليها، قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣] ولكنه استعصم بالله واستعاذ به ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣] وقال: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾ [يوسف: ٢٣] يقول هذا الذي دعوتني لخيانته بالوقوع عليك، هو سيدي الذي هو زوجك، أكرمني وأواني وأحسن إلي، فإن أجبتك إلى ما سألتني، فإنني أكون ظلمته، و﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣] ولكنها لم تكف عن المحاولة وعن تزيين الأمر له، حتى وسوس الشيطان له فعل ذلك، وهو ما هو عليه من الشباب والرجولة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤] ولكن الله

سبحانه عصمه من الوقوع فيما يكره فرأى ﴿بُرۡهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤] وقد تعددت أقوال المفسرين في البرهان الذي رآه، ولكن القرآن الكريم والسنة المطهرة، لم يوضحا ذلك، فإن العبرة فيما جرى أهم من التفصيل، والأولى أن نأخذ الأمر على ما جاء به كتاب الله سبحانه قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

لما رأى عليه السلام البرهان من ربه، وصرف الله عنه السوء وعصمه من الفحش، أسرع إلى الباب هاربا منها، ولكنها لحقت به تحاول منعه من الخروج، فأمسكت بقميصه تجذبه إليها، فتمزق من الخلف من جهة ظهره، وفتح الباب فإذا العزيز زوجها فبادرت بالكلام تتهمه: ﴿مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا﴾ [يوسف: ٢٥] أي فاحشة ثم أردفت: ﴿إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٢٥] أي ليس جزاؤه إلا أن يسجن ويعذب، قال ما أردتها بسوء ولكنها ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِي﴾ [يوسف: ٢٦] ودعتني إليها فهربت منها، قيل وكان ابن عمها مع زوجها لما قدم فقال: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ٢٦-٢٧] أي إن كان تمزق من أمام، فلأنها دفعته عن نفسها فصدقت وكذب، وأن تمزق من خلف فلأنه هرب فجذبته إليها فصدق وكذبت. وقد اختلف المفسرون في الشاهد، فمنهم من قال كان طفلا في المهد، ومنهم من قال كان من أمر الله ولم يكن أنسيا، ومنهم من قال كان رجلا ذا رأي، والأرجح عندي قول من قال كان ابن عمها أو أحد خاصتها لقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ [يوسف: ٢٦] فلو كان طفلا في المهد فإن تلك معجزة لا تستلزم أن يكون من أهلها، وهذا لا يمنع أن يكون والله أعلم.

أخذ زوجها القميص يتفحصه فوجده تمزق من جهة ظهره قال: ﴿إِنَّهُۥ مِن

﴿كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ﴾ [يوسف: ٢٨] أي إن ما فعلتيه وقلتيه هو من مكر النساء الذي لا يقدر عليه إلا هن، فكم من رجل اتهمته امرأة فظلمته وهو بريء. ثم قال: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا﴾ [يوسف: ٢٩] أي لا تذكره فتفضحها. والتفت إليها كأنه يعفو عنها قال: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٢٩] فإن ما فعلته هو ذنب عظيم يستوجب الاستغفار والتوبة.

أنتشر خبر امرأة العزيز مع يوسف، فتحدثت به النساء وعبن عليها مراودتها أحد خدمها عن نفسه، واستعظمن ذلك منها وقلن: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [يوسف: ٣٠] أي بفعلها هذا الذي لا يليق بمثلها وهي (زوجة العزيز وقيل بنت أخت الملك الريان بن الوليد صاحب مصر، (البداية والنهاية ج ١ ص ١١). فلما سمعت بمكر النساء وبما قلن فيها، رأت أن تبين عذرها فيما فعلت، ورأت أن تبين لهن أن من عشقته ليس كباقي الرجال، وأن كان أحد مواليها، فدعتهن وهيأت لهن مكانا يجلسن فيه، وقدمت لهن من أصناف الفاكهة ما يحتاج إلى سكين لقطعه، وأعطت كل واحدة منهن سكينا، فلما تناولن الفاكهة ورحن يقطعنها بالسكاكين قالت: ﴿ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ﴾ [يوسف: ٣١]، فلما خرج عليهن ورأينه ذهلن عما في أيديهن، وقطعن الفاكهة حتى خرجت منها السكاكين إلى أيديهن فقطعتها وهن لا يشعرن فقلن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾ [يوسف: ٣١] أعظمنه وأجللنه مما رأين من حسنه وجماله وقلن ما يكون هذا في بشر، إنما هذا ملك من الملائكة فقالت: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ﴾ [يوسف: ٣٢] و كأنها تقول أنظرن إليه، أفلا يعشق ويحب، ثم اعترفت بما فعلت وقالت: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾ [يوسف:

٣٢] ثم مدحته بما يستحق من المدح قالت: ﴿فَٱسۡتَعۡصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢] أي امتنع، ثم توعدته بالسجن إن لم يفعل قالت: ﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢] ثم إن النسوة أخذن يزين له طاعتها فيما أمرته به، فدعا الله أن يصرف عنه كيدهن قال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾ [يوسف: ٣٣] أي رب إني أختار السجن على أن افعل ما يأمرنني به من المعصية، فإن لم تصرف كيدهن عني ﴿أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣] فإني أخاف الغواية ووسوسة الشيطان. ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤] أي الله سبحانه أعلم بعفته وصدق دعوته فسمع له وأجابه لما سأل.

سجن يوسف عليه السلام

لما يئست امرأة العزيز من إغوائه، وتيقنت أن لا سبيل إليه لعفته، شكته إلى زوجها ولم تزل به حتى أمر بسجنه، وذلك بعدما رأى من علامات براءته وهي شق القميص، وتقطيع النساء أيديهن، وذلك حتى يبعده عنهن وعن الناس إلى أن تنسى القصة وتندثر ودليل ذلك قول الله سبحانه: ﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ [يوسف: ٣٥] وقد قال بعض المفسرين لو لم يطلب السجن ما سجن، وأرجح أنه طلبه لأن المرأة عرضت به وليس لأنه أراده. قالت: ﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ﴾ [يوسف: ٣٢] ولما أدخل عليه السلام السجن، أدخل معه فتيان اثنان، (قيل أحدهما ساقي الملك وهو المسئول عن شرابه، والآخر المسئول عن طعامه، (الكامل ج١ص٢) وكذلك في (البداية والنهاية ج١ص١١)).

وحدث أن كلا منهما رأى رؤيا منام، فلما سمعا بأمر يوسف وما هو

عليه من العقل والحكمة، ولما كان يدعو السجناء إليه من عبادة الله، ولما هو عليه من حسن السيرة والخلق، تقربا منه فدعاهما إلى الله قال: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ **[يوسف: ٣٩]، أي أن فراعنة مصر أي ملوكها الذين يدعون الألوهية ويشيعون ذلك بين شعوبهم، فما هم بآلهة، وما هناك إلا إله واحد هو الله سبحانه القاهر فوق عباده القادر عليهم، وقال:** ﴿لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾ **[يوسف: ٣٧] قال إن من فضل الله علي أن بعثني نبيا على ملة آبائي، نعبده وندعو إليه وعلمني تأويل الأحلام، فلما علما ذلك قال الساقي:** ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ **[يوسف: ٣٦] وقال الآخر:** ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾ **[يوسف: ٣٦] ثم قالا:** ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ **[يوسف: ٣٦] قال البغوي في التفسير: (سئل الضحاك ما كان إحسان يوسف؟ قال: كان إذا مرض إنسان في السجن عاده وقام عليه، وإذا ضاق [عليه المجلس] وسع له، وإذا احتاج جمع له شيئا، وكان مع هذا يجتهد في العبادة، ويقوم الليل كله للصلاة). فقال للساقي: يعفو عنك الملك وتعود إلى خدمته، أما صاحب الطعام فقال له: تصلب فتأكل الطير من رأسك، وقال** ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ **[يوسف: ٤١] أي هو واقع بإذن الله كما أعلمتكما، ثم قال للساقي** ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ **[يوسف: ٤٢] أي أعلم الملك بأمري وبأني سجنت ظلما. فلما خرج أنساه الشيطان ذلك، فلبث عليه السلام في السجن بضع سنين (والبضع مابين الثلاث إلى التسع).**

قصة رؤيا الملك

لبث عليه السلام في السجن ما شاء الله أن يلبث، فلما شاء سبحانه إخراجه، رأى الملك رؤيا أفزعته فجمع الكهنة ومفسري الأحلام، وقص عليهم رؤياه

قال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ﴾ [يوسف: ٤٣] سألهم أن يفسروا دلالة البقرات السبع الهزيلات الضعيفات، وكيف أنهن يأكلن السبع السمينات القويات، وما دلالة السنابل السبع الخضر، وما دلالة اليابسات وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣] أي أن كان عندكم تفسير لما رأيت فأعلموني قالوا: ﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [يوسف: ٤٤] أي هذا مما يأتي النائم من الأحلام مما لا معنى له ولا تفسير عندنا. وسمع الساقي فتذكر يوسف عليه السلام، وكيف عبر رؤياه ورؤيا صاحبه في السجن، وكيف وقعت على مثل ما قال، فقال للملك: أنا أعلم بمن يفسر رؤياك فأرسلني إليه آتيك بخبرها، فأرسله الملك فقص الرؤيا على يوسف فقال: قل لهم يزرعوا سبع سنين على عادتهم في الزرع فتلك سنين خصب، وما حصدوا من زرعهم ليتركوه في سنابله أحفظ له من التلف، ولا يأكلوا إلا حاجتهم، ثم تأتي عليهم سبع سنين من القحط، فليقتصدوا فيما يأخذون، ثم يعود الخصب والغوث فيعصرون ما يعصر من زروعهم.

رجع الساقي إلى الملك بتفسير رؤياه، فأعجبه ذلك وطلبه إليه فلما جاءه الداعي قال: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٠] أراد عليه السلام أن يخرج من السجن بريئا، لا بعفو الملك، فرجع الرسول إلى الملك، فلما علم بالأمر أرسل إلى النسوة وسألهن الخبر فقلن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖ﴾ [يوسف: ٥١] وقالت امرأة العزيز: آن للحق أن يظهر ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١] أي أنا راودته فاستعصم وهو بريء مما نسب إليه وصادق في براءته. وقالت: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [يوسف: ٥٢] أي ليعلم زوجها أنها لم ترتكب الفاحشة. وقال بعض المفسرين بل قاله يوسف ليتأكد العزيز أنه لم يخنه،

وأنه كان صادقا في كل ما قال، والله أعلم.

فلما علم الملك براءته قال آتوني به أجعله من خاصتي فلما جاء قال له: ﴿إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤] أي لك المكانة العالية، وأنت مؤتمن صادق فاطلب، قال: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] فأجابه الملك إلى طلبه وأوكل إليه ﷺ أمر خزائن الغلال، وجعله من كبار خاصته وأكبر نوابه، فصار عزيز مصر، وصارت له المكانة العالية والدرجة الرفيعة، وبذلك تحقق وعد الله سبحانه قال جل من قائل: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦] لقد مكن له سبحانه في الأرض وآتاه الملك، فصار ثاني رجل في الدولة بعد الملك، كما ادخر له سبحانه من الأجر ما يستحق قال تعالى: ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يوسف: ٥٧] ومن أكثر منه ﷺ أيمانا وتقوى في زمانه، إلا هو أو نبي مثله. قلنا أن الملك كلفه إدارة اقتصاد الدولة في تلك السنين، فأخذ ﷺ بها إلى بر الأمان، بحسن إدارته وبتوفيق الله له، وبما آتاه من الدراية والعلم والحفظ والأمانة في رعاية مصالح العامة.

أخوة يوسف في مصر

لما انتهت سني الرخاء وجاءت بعدها سني القحط، عم الجوع سائر البلاد إلا مصر، فقد كانت في رخاء بفضل إدارة يوسف ﷺ، فكان فيها من الطعام ما يكفيها ويكفي غيرها من البلاد، فصارت القوافل تأتيها للميرة، وكان ممن جاء إخوة يوسف، فلما دخلوا عليه عرفهم ولم يعرفوه. ذلك أنه قابلهم بهيئة الملك، ولم يكن ليخطر ببالهم أن يصير إلى ما صار إليه من العز والتمكين. قيل (فاحتال ليعرف أخبار أبيه وأخيه لما لم يجده معهم، قال أنتم عيون أي جواسيس وحبسهم واستعلمهم حتى عرف الأخبار التي يريد فأطلقهم ((الكامل ج١ ص٢) وفي (البداية والنهاية ج١ص١١) مثله)، ثم زودهم بالميرة، بعيرا من الحنطة والطعام لكل رجل منهم، وقال لفتيانه أي لمن

يقومون على تجهيز الأحمال: ﴿ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ **[يوسف: ٦٢] أمر بوضع الأموال التي قدموا بها ثمنا للحنطة، أمر بأن يوضع مال كل رجل منهم في رحله، دون علمه، حتى إذا رجعوا إلى أهلهم ووجدوا الأموال ردت إليهم، كان ذلك ادعى أن يعودوا في العام القادم، لأنه يعرف أن أباه لن يقبل أن يأخذوا الحنطة بغير ثمن. وقال لهم (أي لإخوته) لا تعودوا في العام القادم إلا أن تأتوني بأخيكم، فإن لم تأتوا به فلا ميرة لكم عندي، قالوا:** ﴿سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ **[يوسف: ٦١] أي سنجتهد أن نأتي به معنا ولا بد أن نفعل.**

فلما رجعوا إلى أهلهم وفتحوا رحالهم وجدوا الأموال قد ردت إليهم، فأعلموا أباهم بما كان وقالوا: ﴿يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ **[يوسف: ٦٣] أي أن لم يأت معنا فلن يكون لنا كيل (أي في عامنا القادم) فذكرهم بما كان منهم مع يوسف قال:** ﴿هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ﴾ **[يوسف: ٦٤] أي كيف آمنكم عليه وقد سبق منكم ما كان مع أخيه، ولكنهم لم يزالوا به حتى أقنعوه فقال:** ﴿لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡ﴾ **[يوسف: ٦٦] أي لا أرسله معكم حتى تعطوني عهدا بإرجاعه إلي، إلا أن يقضي الله أمرا فوق طاقتكم، فأعطوه العهد واشهدوا الله على ما اتفقوا عليه. فلما كان ذلك أوصاهم قال:** ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ﴾ **[يوسف: ٦٧] أمرهم أن لا يدخلوا من باب واحد ، ولكن ليتفرقوا ولتدخل كل جماعة من باب، وقال:** ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ **[يوسف: ٦٧] أي لن يغني ذلك عن أمر الله فيكم، فهو المقدر وعليه الاتكال سبحانه. دخل الأخوة من أبواب متفرقة كما أمرهم أبوهم، وما كان دخولهم بتلك**

الطريقة ليغني من أمر الله ولكنها ﴿حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ [يوسف: ٦٨]، قيل حتى يتحسسوا من يوسف خبرا، وقيل حتى لا يحسدوا (البداية والنهاية ج١ص١١).

لما رجع أبناء يعقوب ﷺ إلى مصر، ودخلوا على يوسف ﷺ استقبلهم وأكرمهم ودعا لهم بطعام وشراب، واجلس كل اثنين منهم على خوان، ثم قال: أخوكم هذا (يعني أخاه بنيامين) ليس له من يجلس معه فليجلس معي. واجلس أخاه معه على خوانه، ثم لما كان وقت النوم فعل مثل ذلك، وأخذ أخاه لينام معه (الكامل ج١ ص٢ بتصرف) ولما خلا بأخيه أعلمه أنه أخاه يوسف، وأنه سيحتال ليبقيه عنده، ولما كان الغد أمر غلمانه بأن يجهزوا ميرة إخوته، وأمرهم أن يجعلوا سقاءه (صاعه الذي يكيل به، وقيل الذي يشرب به، وذلك أنسب والله أعلم) في رحل بنيامين، فلما انطلقوا أرسل الجند وراءهم، فاعترضوهم وقالوا: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠] قالوا: ماذا سرق. قالوا: صاع الملك، ومن دل عليه له حمل بعير، قالوا: أنكم تعلمون أنا جئنا للميرة، لا لنفسد في دياركم، قالوا: فما جزاء من نجده عنده، قالوا: يؤخذ به، وكانت تلك سنتهم أن من سرق شيئا، أخذ رقيقا جزاء سرقته، فبدأ يفتش أوعيتهم قبل وعاء أخيه، ليكون ابعد للتهمة واثبت للحيلة، حتى إذا وصل وعاء أخيه اخرج الصاع منه فقالوا: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ٧٧] يعنون يوسف قالوا ذلك لأنه (قيل: كان قد سرق صنم جده أبي أمه فكسره. وقيل: كانت عمته قد علقت عليه بين ثيابه وهو صغير منطقة كانت لإسحاق، ثم قالت سرقت منطقة اسحق، ثم استخرجوها من بين ثيابه وهو لا يشعر بما صنعت وإنما أرادت أن يكون عندها وفي حضانتها لمحبتها له. وقيل: كان يأخذ الطعام من البيت فيطعمه الفقراء. وقيل غير ذلك والله أعلم، (البداية والنهاية ج١ص١١)). لما أخذ يوسف أخاه على حكم إخوته قالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾ [يوسف: ٧٨] خافوا أن يعودوا بدونه وقد أعطوا والدهم العهد، وسألوه أن يأخذ أحدهم مكانه ، فأبى وقال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا

لَظَٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٧٩] أي إنا نكون من الظالمين إذا أخذنا أحدا بجريرة غيره، بل نأخذ خصمنا وليس غيره.

لما يئسوا من إقناع يوسف برد بنيامين وهم لا يعرفونه، تشاوروا بينهم فيما هم صانعون، فقال أكبرهم مذكرا إياهم بالعهد، قال أنا لن ارجع إلى أبي حتى يحكم الله بما هو حاكم، وأمرهم أن يعودوا فيخبروا أباهم بما كان، فرجعوا واخبروه واستشهدوا على صدقهم بمن كان معهم من التجار، فقال:

﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ٨٣] قال ما سرق ابني ولكنه مكر مكرتموه، ومالي إلا الصبر الجميل، ودعا الله أن يعود عليه بثلاثتهم، وأسف على فقد يوسف وأخويه من بعده، وعميت عيناه من شدة حزنه وبكائه، فقالوا له على وجه الرحمة له والرأفة به والحرص عليه:

﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾

[يوسف: ٨٥] أي لا تزال تذكر يوسف حتى تهلك نفسك قال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦] قال شكواي همي ليست إليكم ولكنها لله سبحانه، وقوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦] أي أن الله سيفرج همي ويعيد أبنائي، ويجعل حلم يوسف حقيقة، وطمع في لقائه قال:

﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] أمرهم أن يعودوا ليتحسسوا خبر يوسف وأخيه وأن لا ييأسوا من فرج الله ورحمته بلم شملهم وجمعهم بعد تفرقهم.

عاد إخوة يوسف إلى مصر فدخلوا عليه قالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨] أي ساءت حالنا وأصابنا الضرر وجئنا بمال

قليل، فأعطنا بما معنا وتصدق علينا، بزيادتنا من الطعام والحنطة، كما كنت تعطينا من قبل، وبرد أخينا إلينا (كما عند بعض المفسرين)، فإنا نراك من المحسنين، وسيجزيك الله بتصدقك علينا. قيل فلما رأى عليه السلام سوء حالهم ولهفتهم على رد أخيهم، رق لحالهم وقال لهم: ﴿هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾ **[يوسف: ٨٩] عند ذلك عرفوه وقالوا:** ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ **[يوسف: ٩٠] قيل فكشف عن علامة في وجهه عرفوه بها** (البداية والنهاية ج١ص١١) **وقال:** ﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآ﴾ **[يوسف: ٩٠] أي باجتماع شملنا بعد فراقنا، وقال:** ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ **[يوسف: ٩٠] أي أن الله لا يضيع عمل من يتقي ويصبر، فإن ذلك من الإحسان الذي يكافئ الله عليه. ثم قالوا أن الله قد فضلك علينا، وأعطاك ما لم يعطنا، بما قدمنا لك من سوء واعتذروا له فطمأن نفوسهم وقال: لا تخشوا مني شرا، واستغفر لهم قال:** ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ **[يوسف: ٩٢] أي رحمة الله واسعة، ثم أمرهم أن يأخذوا قميصه ويعودوا إلى أهلهم، فيضعوا القميص على وجه أبيهم فيرتد بصيرا بإذن الله،**

ولما خرجت القافلة من أرض مصر وتوجهت تلقاء أرض كنعان، قال يعقوب عليه السلام لمن عنده: لولا أخاف أن تقولوا أنني قد خرفت لقلت أني أشم ريح يوسف قادما إلي. فقالوا: أنك لا زلت على وهمك وتخريفك. (قيل وجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام وقيل من مسيرة ثمانين فرسخا (البداية والنهاية ج١ص١١)**). وما هي إلا أيام حتى جاء البشير بالثوب، فالقاه على وجهه فارتد إليه بصره بإذن الله. قال:** ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ **[يوسف: ٩٦] أي مترجيا للقاء يوسف، مترقبا لزوال الهم والغم والحزن. فاقروا بذنبهم وسألوه أن يستغفر لهم فقال:** ﴿سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ

﴿ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٨] استغفر لهم وسأل الله أن يتغمدهم برحمته سبحانه فهو الغفور الرحيم.

قصة اللقاء ولم الشمل

حمل إخوة يوسف أباهم وأهلهم، وتوجهوا إلى مصر كما أمرهم عليه السلام، فلما قدموا عليه تلقاهم بما يليق من المحبة وإلا كرام، فسجد له أبواه (مع اختلاف في أمه قيل هي راحيل وكانت لا زالت على قيد الحياة، وقيل بل خالته التي ربته وهي بمنزلة أمه، وقيل بل عمته وهي بمنزلة أمه أيضا، والله أعلم)، وسجد إخوته إكبارا له وإجلالا، فقال لهم ادخلوا مصر آمنين وقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا﴾ [يوسف: ١٠٠] أي هذا تفسير حلمي الذي حلمت من قبل في صغري قد جعله الله حقيقة وقال: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓ﴾ [يوسف: ١٠٠] أي أن الله سبحانه قد تفضل علي فبرأني من التهمة التي ألصقت بي، وأخرجني من السجن، وجمعني بكم بعد أن فرق الشيطان بيني وبين إخوتي، وقال: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠] أي أن الله سبحانه لطيف حكيم في أمره، عليم بخلقه، فقد من علي بالبراءة وأخرجني من السجن، واتاني الملك والتمكين في الأرض وعلمني التأويل، ومن على أبي برد بصره وبعودتي إليه، ومن على إخوتي بأن نزع الحقد من صدري فلم أعاقبهم على إساءتهم لي فعفوت عنهم، ومن علينا جميعا بأن رد بعضنا إلى بعض وجمع شملنا، ونقلنا من البداوة والرعي إلى التحضر والاستقرار.

عاش بنو إسرائيل في مصر مع يوسف عليه السلام، وقيل توفي فيها يعقوب عليه السلام، فحمله بنوه إلى الخليل كما أوصى، ودفن مع أبويه إبراهيم واسحق عليهما السلام. ولما توفى الله يوسف عليه السلام، قيل حنطوه ووضعوه في تابوت حتى أخرجه موسى عليه السلام فدفنه مع آبائه والله أعلم (البداية والنهاية ج١ص١١).

قصة موسى عليه السلام

لما استقر بنو إسرائيل في مصر مع يوسف عليه السلام، عاشوا بين أهلها زمانا في عز وتكريم لما كان ليوسف عند المصريين من مكانة وعزة، فلما توفي عليه السلام استمروا فيها بعده على حالهم مع أهلها، وتكاثروا حتى صاروا شعبا كثير العدد. منهم من بقي على دينه ومنهم من غير وبدل. وتغيرت أحوالهم مع تتابع الفراعنة، حتى كان زمان فرعون الذي ولد في عهده موسى عليه السلام، فاستعملهم القبط بأمر فرعون في شتى الاعمال وجاروا عليهم، قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ ﴾ **[القصص: ٤] أي طوائف وهم القبط سادة، وبنو إسرائيل خدما وبناة وزراعا، وأخذ منهم الجزية والمكوس، فضاقت أحوالهم إلى أن شاء سبحانه أن يرفع عنهم ذلك، قال تعالى:** ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ **[القصص: ٥] فكان مولد موسى عليه السلام، (وهو موسى بن عمران قيل من سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام والله أعلم) ثم بعثته نبيا إليهم وإلى المصريين، كما سنبين إن شاء الله.**

قال علماء السير: ((الكامل ج١ ص٣) (المنتظم ج١ ص٩) (البداية والنهاية ج١ص١٣) بتصرف) رأى فرعون في منامه كان نارًا أقبلت من بيت المقدس فأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل، فدعا الكهنة والمنجمين فسألهم عن رؤياه فقالوا: يخرج من بني إسرائيل رجل يخرب ملكك، وقيل: قالوا: أن مولودًا منهم قد أظلّك زمانه يولد يسلبك ملكك ويبدل دينك، وقيل بل تذاكر فرعون وخاصته أمر بني إسرائيل فقالوا: يزعمون أنه يخرج فيهم رجل يكون فيه هلاكك، فازداد فرعون على بني اسرائيل شدة وجورا، فأمر بذبح كل مولود ذكر يولد لهم. قال تعالى: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ **[القصص: ٤] ثم إن القبط لما رأوا موت شيوخ بني إسرائيل، واكتهال شبابهم وقلة رجالهم مع تقدم الزمان، قالوا لفرعون: نخاف أن لا يبقى في بني إسرائيل رجال، فتلزم الخدمة أبناءنا فقال: اقتلوا أبناءهم عاما**

واستحيوهم عاما. قيل فولد في عام الإحياء هارون، وولد موسى في عام القتل، فخافت أمه عليه القتل وأخفته ولم تدر ما تفعل به، فصنعت تابوتا من خشب فكانت ترضعه ثم تضعه فيه، وتربطه بحبل وتلقيه في النيل فتخفيه عن الأعين، فلما كثر طلب فرعون للمواليد من بني اسرائيل، خشيت أن يكشف أمره، فأوحى الله إليها: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧] أي أشبعيه ثم القيه في النيل ولا تخافي، فسنرده إليك ونجعله نبيا. فأرضعته ووضعته في التابوت وقطعت الحبل وألقته في النهر، وكادت تفضح أمرها من جزعها عليه قال تعالى: ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ١٠] أي لولا أن صبرها الله وثبتها، ثم قالت لأخته: ﴿قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١] أي اتبعيه فانظري أين يذهب به النهر ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ١١] تبعته وهي لا تشعر أحدا أنها تتبعه.

حمل التيار التابوت إلى قصر فرعون على جانب النهر، وكان بعض جواري امرأته يغتسلن فالتقطنه وأخذنه إليها، فلما فتحته وجدت موسى فيه ولم يكن لها ولد، فوقع حبه في قلبها، وحملته إلى فرعون تريه إياه، فقال: لا بد أنه من بني إسرائيل وأمر بقتله فقالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩] سالت فرعون أن لا يقتله وقالت له: اتركه حتى ننتفع به إذا كبر فيخدمنا، أو نتبناه حيث ليس لنا ولد فتقر به أعيننا، فتركه لها فطلبت له مرضعات القصر يرضعنه، فلم يقبل أثداءهن، فأرسلت تطلب المرضعات من خارج القصر، وكانت أخته تراقبه من لحظة القي في النهر حتى وصل إلى القصر، فلما دخلت المرضعات دخلت معهن، ولكنه لم يقبل أثداءهن أيضا ولم يرضع منهن قال تعالى: ﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢] فقالت أخته: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ

لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾[القصص: ١٢] فلما قالت ذلك شكوا فيها فقالوا: وما يدريك نصحهم له، هل يعرفونه فقالت: لا يعرفونه، ولكن خدمة للملك، ورجاء نفعه. فأرسلوا معها فجاءت بأمها فأخذ ثديها فرضع، فقالت امرأة فرعون تبقين معي في القصر ترضعينه، فقالت لي زوج وأولاد، ولكن أخذه فاكفله وأرضعه. فردته إليها وأرسلته معها، وأكرمتها وأجرت عليها الأرزاق، فتحقق وعد الله الذي وعدها، وذلك قول الحق سبحانه: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ١٣].

عاش موسى في حضن أمه، وبرعاية امرأة فرعون، فعاش عيش الملوك، ولبس ملابس فرعون وركب مراكبه، وعادت لبني إسرائيل هيبتهم لدى القبط بسبب رعاية موسى. والقبط لا يعلمون أنه من بني إسرائيل، وإنما كانوا يحسبونهم اخواله بالرضاع، ويدعونه ابن فرعون، لرعاية امرأته له وحبها له حيث اتخذته ولدا. وكبر موسى، فخرج يوما إلى السوق في وقت قيلولة الناس وليس في السوق أحد ، قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥] استنصره الاسرائيلي فضرب القبطي فقتله، فلما رأى ذلك ندم وقال: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٥] وقال: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ [القصص: ١٦] أوحى الله إليه أن قد غفرت لك فقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧] ثم اختبأ خائفا يترقب لا يدري ما يفعل، فلما كان الغد خرج لعله يجد طريقا للهروب من المدينة، فإذا الاسرائيلي يقاتل قبطيا، فلما رأى موسى سأله أن ينصره على القبطي فقال

له موسى: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٨] قال إنك بين الغواية قاتلت بالأمس رجلا واليوم تقاتل آخر، ثم توجه إليه ينصره، فظن الاسرائيلي أنه يقصده بشر فقال: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ [القصص: ١٩] فلما سمع المصري ذلك أنطلق يخبر بما سمع، فجمع فرعون أكابر القوم واتفقوا على قتل موسى، وكان بين الحاضرين رجل يحب موسى، إما مؤمن من آل فرعون أو من شيعة موسى، فأسرع إليه قال: ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾[القصص: ٢٠] أي سمعت القوم قرروا قتلك، وأنصحك بالخروج من المدينة والهرب قبل أن يصلوا إليك.

الخروج إلى مدين

خرج موسى من المدينة خائفا لا يدري أين يذهب قال ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١]: فألهمه الله المسير إلى مدين، فلما وصلها رأى رعاة يجتمعون على بئر لسقاية أغنامهم، ووجد امرأتين (قيل ابنتا شعيب النبي) تبعدان غنمهما فسألهما لماذا تفعلان ذلك قالتا: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣] أي أبونا شيخ كبير عاجز، ونحن فتاتين نستحي أن نزاحم الرجال على الماء، فننتظر حتى يذهبوا فنسقي غنمنا مما بقي في الاحواض من ماء، فرحمهما فقام إلى البئر فأخذ بالحجر الذي على بابه فرفعه (قيل وكان لا يرفعه إلا العصبة من الرجال)، فسقى لهما ثم رجع فاستلقى في ظل شجرة وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤] قيل سال الله الطعام وما سأله غيره، وقيل قصد أن يسمع المرأتين تعريضا بجوعه (الطبري وابن كثير) والله أعلم.

رجعت الفتاتان إلى أبيهما في غير الوقت الذي ترجعان فيه على العادة، فاستنكر ذلك وقال: كيف عدتما بهذه السرعة، فقصتا عليه الخبر، فأرسل أحداهما إليه تدعوه، فجاءته تمشي على استحياء فقالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥] قالت ذلك حتى لا يقع في نفسه شيء من السوء أو من وسوسة الشيطان. قيل فقام معها يتبعها، فهبت ريح فالتصق ثوبها بجسدها، فتبين تفاصيل جسمها فقال لها: امشي خلفي والقي حصاة عن يميني أو يساري دليني على الطريق. فلما وصل إلى أبيها قص عليه قصته في مصر فقال: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥] أي من ظلم فرعون فليس له سلطان على هذه البلاد. وقالت البنت التي دعته: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦] أي استأجره يرعى غنمنا فإنه قوي أمين، فقال لها أبوها: أما قوته فعرفناها من رفع الحجر، فكيف عرفت أنه أمين، فأخبرته كيف أمرها أن تمشي خلفه حتى لا ينظر إليها فقال: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧] أي أريد أن أزوجك أحدى ابنتي على أن تعمل في خدمتي ثماني سنوات، فإن جعلتها عشرا فزيادة من عندك، وستجدني رحيما بك لا أتعبك، قال موسى: ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ [القصص: ٢٨] أي أنا بالخيار بين المدتين، ثم اتفقا على ذلك واشهدا الله قالا: ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٨].

نبوءة موسى عليه السلام

تزوج موسى وأقام عند شعيب يخدمه، فلما أتم عشرة سنين أخذ زوجته وغنمه وتوجه تلقاء مصر، وكان الفصل شتاء والجو بارد، فلما كانت الليلة

التي أراد الله فيها إكرامه بالرسالة، ضل الطريق وكان قريبا من جبل الطور، فاخرج زنده ليشعل نارا فلم يقدح الزند، فاحتار ما يفعل وأخذ ينظر في الجهات عله يهتدي إلى حل (البداية والنهاية ج١ص١٣)، فرأى على البعد نارا فقال لأهله: ﴿ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾ [القصص: ٢٩] أي انتظروني اذهب إلى النار فآتي بشعلة منها، نشعل لنا نارا نستدفئ، وقد أجد عندها من يرشدنا إلى الطريق الصحيح.

توجه موسى إلى النار فلما وصلها، إذ هو بشجرة تضطرم فيها النار ولا تحترق، وكلما ازدادت النار اضطراما ازدادت الشجرة خضرة، وبينما هو في تعجبه وتفكره في أمر الشجرة، نودي بصوت يكلمه من الشجرة، يسمعه ولا يرى المتكلم: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [النمل: ٩] أي العزيز في قوتي الحكيم في أفعالي، فلما ذهب عن موسى العجب وعرف أن الله ربه سبحانه يكلمه قال لبيك ربي فقال تعالى: ﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٨] أي أنا الله الذي يكلمك، تباركت وتقدست، وتباركت هذه البقعة من الأرض وتبارك ما حولها ببركتي وقدسيتي، وقال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ [طه: ١٢] أي اخلع نعليك فإنك في أرض مباركة طاهرة لا ينبغي أن تدوس عليها بغير طاهر، قيل وكان نعله من جلد حمار ميت، وقيل بل ليكون حافيا لطهارة البقعة كما يدخل إلى الكعبة بدون نعل، والله أعلم (تفسير ابن كثير). وليذهب سبحانه الروع عن موسى قال تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣] أي قد اخترتك يا موسى رسولا ونبيا تبلغ رسالتي، فاستمع لما سأوحي إليك حتى تبلغه عني كما أمرك.

قال تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ إِنَّ

ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ **[طه: ١٤-١٦] أمره سبحانه أن يعبد الله وحده وأن يجتهد في الدعوة إليه، وأن يقيم الصلاة، وأن يكون حازما في الدعوة لأن مصير كل عبد أن يلقى الله فيوفى حسابه حسب ما قدم. وأمره أن يذهب إلى فرعون يدعوه لعبادة الله، فقال موسى:** ﴿رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ **[القصص: ٣٣] قال يا رب قد قتلت من آل فرعون رجلا فإن عدت إليهم أخاف أن يقتلوني وقال:** ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي﴾ **[طه: ٢٥-٢٨] دعا الله أن يشرح صدره لحمل الرسالة، وأن يعينه على أدائها، وأن يذهب ما بلسانه من عي، (قيل لما كان غلاما أخذه فرعون يلاعبه، فأخذ بلحيته ينتفها فغضب فرعون وأمر بذبحه فقالت امرأته: هو صغير لا يعلم ما يفعل، وقالت اختبره، قال كيف، قالت نضع له أنائين، تمر وجمر، فإن أخذ التمر فهو يعقل فاذبحه، وأن أخذ الجمر فهو لا يعقل فاتركه فقال نعم، فلما وضع الإناءان، أخذ جمرة فوضعها في فيه فأحرقت لسانه فتركه، وذلك قوله:** ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي﴾ **[طه: ٢٧-٢٨]** (الكامل ج ١ ص ٣)**). ثم سال الله أن يرسل معه أخاه هارون يشد به أزره أي يعينه على الدعوة وعلى توضيح المقصد قال:** ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي﴾ **[طه: ٢٩-٣١] وقال:** ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ﴾ **[القصص: ٣٤] أي يوضح دعوتي ويصدقني فيما اقول، فلسانه صحيح ليس به علة كلساني فقال تعالى:** ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ **[طه: ٣٦] أي لك ما سالت:** ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ **[القصص: ٣٥] أي**

هذا هارون معك رسول يؤازرك، ولك وله ولمن تبعكما الغلبة والنصر، فإني معكما أنصركما فلا يصل عدوكما لكم بشر.

ثم أنه سبحانه سأله : ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ **[طه: ١٧] قال:** ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ **[طه: ١٨] قال وما تصنع بها، قال:** ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ **[طه: ١٨] أي هي عصا اتكئ عليها إذا مشيت، وأهش بها على الغنم إذا شردت، وأضرب بها ورق الشجر فيسقط طعاما للغنم. واحمل عليها السقاء والمزودة** (التفاسير). ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾ **[طه: ١٩] فلما ألقاها انقلبت حية عظيمة كأنها جان (وهو نوع من الحيات سريع الحركة)، فلما رآها تهتز هرب منها خوفا فقال تعالى:** ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ﴾ **[القصص: ٣١] أي ارجع يا موسى فإن الرسل لدي في أمان لا يخافون، فرجع** ؏ **فأمره سبحانه أن يأخذها قال:** ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ **[طه: ٢١] أي إذا أخذتها عادت عصاك التي تعرفها فأخذها فعادت عصا فقال له سبحانه:** ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ **[القصص: ٣٢] أي ادخل يدك في جيب رداءك وأخرجها تخرج بيضاء ناصعة متلألأة كالقمر من غير مرض كبرص أو غيره، وردها تعود كما كانت، وضعها على فؤادك يذهب ما بنفسك من روع وخوف. وذلك بأمر الله سبحانه. وقال جل ذكره:** ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ **[القصص: ٣٢] أي العصا واليد برهانان لفرعون وقومه على صدق رسالتك. فإنهم فاسقون سوف يكذبوك في دعوتك إياهم إلى عبادة الله سبحانه. ثم أنه سبحانه ذكره بما أعطاه من كرامات، فقد حفظه صغيرا من القتل، ورباه في بيت عز،**

وأنقذه من القتل كبيرا عندما قتل القبطي، فتاب عليه ونجاه من فرعون، ثم ساقه إلى رجل صالح في مدين، فرعاه وزوجه ابنته، ثم هاهو يختاره نبيا ويصطفيه بالرسالة، ثم أمره بالمسير إلى فرعون وقال: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ **[طه: ٤٦] أي اذهب أنت وأخوك فبلغا الرسالة، وأنا معكما وأنتما في حفظي ورعايتي.**

العودة إلى مصر

سار موسى عليه السلام إلى مصر، وهنالك التقى أخاه هارون عليه السلام، وكان سبحانه قد أوحى إليه وأعلمه بمقدم موسى، فلما التقيا ذهبا إلى فرعون فدخلا عليه فقالا: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ **[الشعراء: ١٦] اخبراه أنهما رسولان إليه من الله سبحانه، وبدآه بالوعظ والإرشاد والقول اللين عله يهتدي، وسألاه أن يرفع ظلمه عن بني إسرائيل، وذلك قول الله سبحانه:** ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ **[طه: ٤٤]، ولما تكلم عليه السلام عرفه فرعون فأخذه الغرور والكبر، فقال له كأنه يزدريه وينقص من شأنه: الست أنت موسى الذي ربيتك في بيتي، ثم قتلت رجلا من رعيتي وهربت، تأتي الآن وتسألني أن أكون تابعا لك، قال عليه السلام:** ﴿قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٢٠ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ **[الشعراء: ٢٠-٢١] أي لما فعلت فعلتي تلك كنت جاهلا فهربت منكم، فتبت إلى الله فنجاني واختارني رسولا واتاني علما وحكمة. فقال فرعون أن كنت صادقا فهل معك آية تدل على صدقك، قال نعم** ﴿فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ﴾ **[الشعراء: ٣٢] صارت ثعبانا عظيما اتجه إلى فرعون كأنه سيبطش به، فارتعب وسأله أن يعيدها عصا كما كانت، فأخذ عليه السلام الثعبان فعاد عصا، ثم ادخل يده في جيبه وأخرجها فخرجت بيضاء تتلألأ من غير سوء، ثم أعادها فرجعت كما كانت، ولكن فرعون لم يرتدع وأمر بقتلهما، وقال لمن عنده من اكابر قومه وخاصته: هذا ساحر يريد أن يبدل**

دينكم، فقال رجل مؤمن من آل فرعون يخفي إيمانه: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ **[غافر: ٢٨] قال تريدون قتله وقد جاءكم بالآيات تدل على صدقه، اتركوه فإن كان كاذبا لقي جزاء كذبه، وأن كان صادقا أخاف أن يصيبكم بما وعدكم من العذاب، ثم ذكرهم بما أصاب الاقوام السابقة ممن كذبوا الرسل. فقال الاكابر من قوم فرعون:** ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ **[الشعراء: ٣٦-٣٧] أي دعهما واجمع السحرة يحاجوهما أمام الناس حتى يظهر كذبهما ثم اقتلهما. وقالوا أن كنت جئت بسحر** ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾ **[طه: ٥٨] أي ليكن بيننا وبينك موعد نلتقي فيه قال:** ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ **[طه: ٥٩] أي موعدنا ضحى يوم الزينة، وهو يوم عيد عظيم عندهم يجتمعون فيه من كل مكان للعب والفرح والاحتفال.**

(قيل وقد آمنت بموسى ماشطة ابنة فرعون، فكان أن سقط المشط من يدها فقالت بسم الله الرحمن الرحيم، فقالت ابنة فرعون، أبي، فقالت الماشطة بل رب العالمين ربي وربك ورب فرعون، فوشت بها إلى أبيها، فعذبها وقتلها، فلامته امرأته فقال أظنك آمنت بموسى، قالت آمنت، فعذبها ثم قتلها فذلك قولها: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ **[التحريم: ١١]، ثم أن فرعون لما خاف أن يؤمن الناس بإله موسى، ويتركوا عبادته وقد كان اشاع بينهم أنه الإله الأوحد وأنه ربهم، قال لهم:** ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ **[القصص: ٣٨] فقال لهامان وزيره:** ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨] أي ابن لي بناء عاليا من الاجر، اطلع عليه فأنظر في السماء هل فيها إله كما يدعي موسى، ولا أظنه إلا كاذبا فليس من إله غيري. فلما بني الصرح قيل هدمته الملائكة، فعلم فرعون أن لن يقدر على موسى فأعاد سنة القتل في بني إسرائيل حتى لا يكثروا فيحاربوه (البداية والنهاية ج١ص١٣)) فقال بنو إسرائيل لموسى: ﴿أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَا﴾ [الأعراف: ١٢٩] فقال لهم: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩] أي اصبروا فلعل الله يهلك عدوكم ويجعلكم خلفاء تحكمون في الأرض بعد ضعفكم،

لقاء السحرة

لما كان يوم الزينة اجتمع الناس ليروا ما يكون من أمر موسى مع السحرة، واجتمع السحرة وقد سألوا فرعون هل لنا من اجر أن غلبنا موسى فقال: ﴿نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٤] وعدهم ومناهم، ثم أن موسى عليه السلام وعظهم وزجرهم وخوفهم عقاب الله ومناهم ثوابه، إلا أنهم طمعوا بالأجر العاجل فقالوا لموسى: ﴿إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ﴾ [الأعراف: ١١٥] فقال القوا فقالوا: ﴿بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤] ثم القوا حبالهم وعصيهم، فإذا هي في رأي العين، يخيل لمن رآها أنها حيات عظيمة يدافع بعضها بعضا، فاستعظم الناس ما رأوا، وخاف موسى عليه السلام أن يفتن الناس فأوحى الله إليه: ﴿لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٦٨ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٨-٦٩] أي هذا الذي تراه من فعلهم هو سحر كاذب وأوهام فلا تخف، والق عصاك فإنها الحق سوف تأخذ ما صنعوا من السحر فتهلكه وتفنيه فلا غلبة لساحر على الحق. فلما ألقى العصا انقلبت حية عظيمة ابتلعت عصيهم وحبالهم وهم

ينظرون، فعرفوا أن الذي يرونه حقيقة وليس سحرا، فخروا سجدا وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢١-١٢٢] فقال فرعون لعنه الله: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [طه: ٧١] قال كيف تؤمنون به ولم اسمح لكم بذلك، ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ [طه: ٧١] وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾ [الأعراف: ١٢٣] أي هو اكبر السحرة ـ يقصد موسى ـ وهذا الذي فعلتموه هو مكر ومؤامرة اتفقتم عليها، لتفسدوا علي أهل مديني كي يعصوني ويخرجوا عن طاعتي، ثم توعدهم وهددهم فقال: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ٧١] أي ستعلون أينا اشد عذابا، أنا أم إله موسى الذي أمنتم به. فقالوا: قد رأينا من آيات ربنا ما لن نطيعك على تركه، فافعل بنا ما شئت ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٥] أي راجعون إلى الله سبحانه فيوفينا حسابنا ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ٧٣] ثم قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦] قالوا ربنا ثبتنا على ما ابتلينا به من عقوبة هذا الجبار وتوفنا على الإسلام، (قال عبد الله بن عباس وعبيد بن عمير: كانوا من أول النهار سحرة فصاروا من آخره شهداء بررة (البداية والنهاية ج١ ص١٣)).

الآيات التسع

قلنا إن فرعون أعاد سنة القتل في بني إسرائيل، واشتد في أذاهم وتعذيبهم، فامتحنه الله بالآيات (أي الابتلاءات) عله يرتدع عن غيه وكبره، فيؤمن بما جاء به موسى وهارون عليهما السلام، ويرفع أذاه عن بني إسرائيل، إلا انه لم يزدد إلا عتوا واستكبارا، فأرسل الله عليهم الطوفان وهو المطر الغزير والفيضان، فاغرق زروعهم وبلدانهم، فقال فرعون لموسى: اسأل ربك يرفع عنا، نؤمن بربك ونرسل معك بني إسرائيل وأرفع عذابي

عنهم، فدعا الله فرفع عنهم، ثم جفت الأرض ونبتت الزروع، ولكن فرعون نكث بوعده، فأرسل الله عليهم الجراد فأكل معظم زروعهم، فقال فرعون مثل قوله الأول فلما رفع عنهم نكث، فأرسل الله عليهم القمل، قيل دواب انتشرت في زرعهم فأكلت ما بقي منه (قيل السوس وقيل البراغيث، وقد يكون كلاهما، وقيل هو القمل المعروف والله اعلم)، وانتشرت في بيوتهم فآذتهم، فقال فرعون كما قال سابقا، فدعا موسى الله فرفع عنهم، فنكث فرعون فأرسل الله عليهم الضفادع، فملئت الطرقات والبيوت وكثر أذاها، فعاد فرعون لمثل ما كان منه، فلما رفع الله ذلك عنهم نكث فرعون على عادته، فأرسل الله عليهم الدم، فكانوا لا يرفعون غطاء إلا وجدوا ما تحته دما، ولا يأخذوا ماء إلا صار دما، (وقال بعضهم الدم، الرعاف والله اعلم) فسال فرعون موسى كما سال من قبل، فلما رفع عنهم نكث على عادته، قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، ثم أخذهم سبحانه بالسنين وهي سنوات من القحط والمحل، وأخذهم كذلك بنقص الثمرات وهي قلة المال وقلة الثمار في أشجارهم (أي الفقر)، إلا أنهم مع ذلك لم يؤمنوا واستمروا على كفرهم وعصيانهم. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٠] (التفاسير وكتب التاريخ بتصرف). فهذه سبع آيات أضف إليها العصا واليد فتلك تسع آيات أرسل الله بها موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه تصديقا له، إلا أنهم لسوء طويتهم لم يؤمنوا فانزل بهم سبحانه ما يستحقون من العذاب. قال تعالى: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [النمل: ١٢].

غرق فرعون

لما طال الزمان على موسى عليه السلام وهو يدعو أهل مصر إلى الله، وهم على ما هم عليه من الكفر والضلال والمعاندة، ولم يؤمن به إلا القليل منهم، مع

من آمن معه من قومه، فلما يئس من إيمانهم دعا الله قال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمۡوَٰلًا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ **[يونس: ٨٨] أي ربنا إنك آتيت فرعون وقومه ملكا وسلطانا وأموالا وزينة، ولكنهم استعملوا ذلك في الضلال والإفساد في الأرض، فجردهم اللهم مما أعطيتهم فإنهم لا يستحقون ذلك، ولن يؤمنوا حتى يقع عليهم العذاب، وذلك حين لن ينفعهم الإيمان، فاستجاب الله له وأوحى إليه وإلى أخيه عليهما السلام، أن يتأهبوا وقومهم للرحيل من مصر، وان يكثروا من الصلاة والاستغفار وبشرهم بالنجاة قال تعالى:** ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتًا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ **[يونس: ٨٧] ثم أوحى الله إلى موسى أن يسير بقومه ليلا وأن فرعون سيتبعهم، فاحتال بنو إسرائيل على فرعون فقالوا: إن لنا عيدا سنخرج فيه حتى لا يشك في خروجهم، فأذن لهم بذلك، (قيل ثم إن بني إسرائيل استعاروا من الأقباط حليهم وجواهرهم، على أن يعيدوها بعد العيد)، فلما كان الموعد استخرج موسى تابوت يوسف** عليه السلام**، وخرجوا ليلا متوجهين إلى الشام على غفلة من الأقباط،**

ولما كشف فرعون هروب بني إسرائيل، أرسل إلى جنوده فجمعهم من المدن، ثم سار بجيش عظيم في أثر بني إسرائيل فلحق بهم، فلما أدركهم وكان البحر أمامهم قالوا لموسى عليه السلام**:** ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾ **[الشعراء: ٦١] أي هذا فرعون خلفنا بجنوده وهذا البحر أمامنا بمائه فقال:** ﴿قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ **[الشعراء: ٦٢] أي لن يدركونا فإن الله سبحانه سيهدينا إلى ما يخلصنا، فأوحى الله إليه أن يضرب البحر بعصاه، فضربه فانفلق البحر عن طرق جافة للسير، ووقف الماء كالجدار بأمر الله. قال تعالى:** ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ **[الشعراء: ٦٣]**

(قيل انفلق عن اثني عشر طريقا لكل سبط طريق والله أعلم (الكامل ج١ ص٣) (المنتظم ج١ ص١٠) (البداية والنهاية ج١ ص١٤)). ولما انفلق البحر دفع عليه السلام الأسباط كل في طريق، فساروا برعاية الله وحفظه، قال تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٤] فاجتازوا ولما وصلوا بسلام إلى الجانب الآخر من اليابسة، ولم يبق منهم أحد في البحر، أراد عليه السلام أن يضرب البحر ليعود إلى حاله، حتى لا يلحق بهم فرعون وجنوده، فأوحى الله إليه أن يترك البحر على حاله، فان لله معهم شانا قال تعالى: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ [الدخان: ٢٤] أي دع البحر على ما هو عليه فله مهمة أخرى غير نجاتك، وهي إغراق هؤلاء الكفرة المجرمين. وقيل في رهوا: اي ساكنا على حاله الذي هو عليه.

لما وصل فرعون وجنوده إلى البحر، وأراد أن يجتاز خلف بني إسرائيل، أجفل حصانه من الماء فوقف لا يتحرك ولا يقتحم، فأرسل الله سبحانه جبريل عليه السلام على فرس حايل (أي مستعدة للتزاوج) فمرت أمام الحصان فحمحم إليها فاقتحمت البحر فاقتحم خلفها، فلما راى الجند ذلك اقتحموا خلفه، واخذ ميكائيل عليه السلام في آخر الجيش يحثهم على اقتحام البحر ويشجعهم على اتباع فرعون واللحاق ببني اسرائيل. (الكامل ج١ ص٣) (المنتظم ج١ ص١٠) (البداية والنهاية ج١ ص١٤))، فلما تكاملوا داخله أمر الله سبحانه البحر أن يعود إلى حاله، فتلاطم الموج وغمرتهم المياه فاغرقوا جميعا، فلما رأى فرعون ما صار إليه، ورأى الموج يتقاذفه وأدركه الغرق، وعرف ان لا سبيل له للخروج مما هو فيه من الشدة والبلاء قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠] ولكن ذلك جاء متأخرا وفي غير أوانه، وفي وقت لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل. قيل فجعل جبريل عليه السلام يأخذ من حمأ البحر فيضعه في فيه، وميكائيل يقول له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١] أي كان لك من قبل فسحة لتؤمن ولكنك عصيت. فلما غرق أمر الله البحر أن يلفظ جيفته إلى الشاطئ، بهيئته

وسلاحه، قيل ليكون ذلك أشفى لصدور بني إسرائيل لما سبق وعمل معهم من الأذى والنكال، وليكون لمن خلفه من المكذبين الضالين عظة وعبرة. قال تعالى: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٢].

اصرار فرعون على اقتحام البحر

في قصة انفلاق البحر قد يقول قائل: عندما رأى فرعون المعجزة، لماذا عاند فدخل البحر فغرق مع كل جنده؟ والإجابة على ذلك بسيطة واضحة تقدمها لنا سيرة فرعون نفسه، ففي أول لقاء لموسى عليه السلام مع فرعون بعد أن كذبه، سأله ان يثبت صدقه بمعجزة، فكانت العصا التي اوشكت ان تبتلع فرعون وعرشه ومن في مجلسة عندما تحولت ثعبانا، فكذب ولم يؤمن. ثم كانت معجزة اليد البيضاء المشرقة الناصعة ـ من غير مرض او علة ـ التي غمرت مجلس فرعون بنور باهر كاد ان يخطف أبصارهم، فكذب أيضا ولم يؤمن، ثم توالت الآيات والمعجزات، بدءا بقصة السحرة، ثم الآيات السبع الاخرى ـ وهي، الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين (المحل والجدب) ونقص الثمرات (الفقر ونقص الأموال) ـ ومع ذلك كذب ايضا ولم يؤمن. فمن مر بتسع تجارب مبهرة، عدا عن قصة السحرة، لا شك أنه بعدها لن يؤمن ولن يرتدع ولو بلغت المعجزات والمبهرات ما بلغت. فغروره وكبره قد بلغا به مبلغا لا يمكنه التراجع بعدهما. فلما كانت معجزة انفلاق البحر، تعامل فرعون معها بنفس أسلوبه السابق وهو الكبر والغرور، فمضي لما هو مصمم عليه وهو القضاء على موسى ومن معه، ولكن؛ كان لله سبحانه أمرا آخر، فكانت نهاية هذا الكافر المعاند. هذا رأيي في سبب اصرار فرعون على العناد رغم إبهار المعجزة وعظمتها، مع احترامي لرأي اكابرنا وشيوخنا الاقدمين فيما ذهبوا اليه من تعليل، والله من وراء القصد.

قصة عبادة العجل

لما أهلك الله فرعون ونجا موسى عليه السلام وقومه، سار بهم فمروا على قوم يعبدون الأصنام فقالوا: ﴿يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [الأعراف: ١٣٨]

قالوا من جهلهم وعدم تمكن الإيمان من قلوبهم، اجعل لنا إله أي صنما نتعبد عنده كما لهؤلاء أصنام يعبدونها، فزجرهم عليه السلام ونهاهم عن قول ذلك، وبين لهم أن ما يفعل هؤلاء باطل، وان العبادة لا تكون إلا لله سبحانه، وذكرهم بما قدم لهم الله من فضل، إذ بعثه إليهم رسولا لهدايتهم، ونجاهم من ظلم فرعون وآله، فرجعوا عن ذلك، وسار بهم حتى إذا عطشوا سألوه الماء، فأمره الله أن يضرب حجرا بعصاه، فانبثقت منه اثنتا عشرة عينا، فجعل لكل سبط عينا يشربون منها، وأنزل لهم المن (نوع من الصمغ الذي يكون على بعض الشجر له طعم كالعسل) والسلوى (هو طائر السمن) طعاما، ثم إنهم قالوا لموسى أين الكتاب الذي وعدتنا إذا خرجنا من مصر، وكان الله وعده به فسال الله أن يعطيه الكتاب، (قيل هي الصحف التي فيها الشرع وهي المعروفة بصحف موسى، وقيل هو التوراة) فأمره الله أن يصوم ثلاثين يوما ويتطهر ويأتي بقومه إلى الطور حتى يكلمه ويعطيه الكتاب، ففعل وصام شهر ذي القعدة واستخلف هارون على قومه وسبق قومه إلى الموعد على أن يكونوا في أثره (قيل فلما وصل الجبل تسوك ليذهب ريح فمه، فأمره الله بصيام عشرة أيام أخرى وهي عشر ذي الحجة، وذلك قول الله سبحانه: ﴿فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢] (الكامل ج١ ص٣)).

لما ذهب موسى لموعده قال هارون لقومه: إن ما معكم من غنائم وحلي القبط لا تحل لكم، فاحفروا حفرة فاجعلوها فيها، حتى يأتي موسى فيرى فيها رأيه ففعلوا، فأتى السامري (هو منافق قيل من بني إسرائيل وقيل من غيرهم ولكنه سار معهم وكان ممن يعبدون العجل) فصنع منها على هيئة العجل، ونثر عليها قبضة من تراب أخذها من اثر فرس جبريل عليه السلام، فلما أراد الله فتنتهم، قام العجل وله خوار، فقال لهم السامري: ﴿هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمۡ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه: ٨٨] أي نسي موسى مكان إلهه الذي هو هذا العجل، وذهب يطلبه في غير مكان، فأقاموا عنده يعبدونه، فنهاهم هارون عليه السلام وقال لهم: إنكم قد فتنتم وأمرهم بالتوبة والرجوع إلى الله، فلم يطعه إلا القليل منهم، أما أكثرهم فقالوا: بل نعبده حتى يأتي موسى فنرى رأيه.

ولما وصل موسى الطور قال له سبحانه، لم سبقت قومك ولم تأت بهم

معك قال: هم آتون على اثري يتبعونني وعجلت إليك يا رب لأرضيك، فقال تعالى: ﴿فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٥] أي ما كان لك أن تتركهم فإن السامري قد فتنهم وأضلهم بعدك، ثم كلمه الله سبحانه وأعطاه الألواح فيها الوصايا العشر، فقال عليه السلام: رب أحب أن أراك فقال لن تستطيع رؤيتي، لأنه سبحانه لم يأذن لأحد أن يراه في الدنيا، وقال انظر إلى الجبل فاني سأتجلى له، فان بقي مكانه على حاله فسوف تراني، ثم تجلى سبحانه للجبل فانهار واندك كأن لم يكن، وصعق موسى من عظم ما رأى، فلما أفاق قال: ﴿سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي تبت إليك من سؤالي إياك الرؤيا وأنا أول المؤمنين يقصد من قومه. والله اعلم.

رجع موسى إلى قومه ومعه الألواح فيها وصايا الله سبحانه، فوجدهم عاكفين على العجل فاشتد غضبه، فألقى الألواح واخذ بلحية أخيه هارون يشدها، ويلومه ويزجره عما كان من عبادة العجل، وانه لم يلحق به يخبره عن أمرهم، فقال: استخلفتني عليهم وخفت أن اتركهم فتقول فرقت بني إسرائيل بعدي، أي كفرة ومؤمنين، كذلك استضعفني القوم وكادوا يقتلونني، فتركه وسألهم لم فعلوا ذلك، فاخبروه بما كان من السامري، ولما تبينوا خطأهم وضلالهم تابوا وقالوا: ﴿لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٩] فدعا السامري فسأله عما فعل فاخبره بما حصل، فوبخه وطرده، ولما هدأ وسكن غضبه قال: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١] استغفر لنفسه ولأخيه ولقومه، ثم اخذ العجل فقطعه بالمبارد وأحرقه ثم ذراه في البحر. وقال لقومه: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة: ٥٤] أي قد ظلمتم أنفسكم بعبادة العجل، فاقتلوا من كفر منكم كي يتوب الله عليكم، (قيل فاستعظموا ذلك فغشيتهم ظلمة، ووقع بينهم القتال فجعل بعضهم يقتل بعضا ولا يدرون من يقتلون، فلما انقشعت إذا كل من عبد العجل قتل، مع ما قتل ممن لم يعبد، قال قتادة: فكان القتل لمن قتل شهادة ولمن حيي توبة، وقيل غير ذلك والله اعلم

(المنتظم ج١ ص١٠)).

تنويه حول السامري

ذكرت بعض الروايات أن السامري هو المسيح الدجال الذي سيظهر في آخر الزمان ليدعي الالوهية ويغوي البشر، واستدلوا على ذلك بان موسى ﷺ لم يعنفه - كما فعل مع هارون ﷺ - ولم يأمر بقتله، ولكنه اكتفى من عقوبته ان قال له: اذهب واعتزل الناس ولا تخالطهم. فلم يقتله مع عظم جرمه وهو اضلال بني اسرائيل وصناعة العجل وحثهم على عبادته، وادعائه بأن هذا العجل هو إله موسى. فللدجال قصته في آخر الزمان، وسيقتل بإذن الله على يد سيدنا عيسى ﷺ في أخر الزمان عند عودته إلى الارض بأمر الله سبحانه وتقديره. قال تعالى: ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾ **[طه: ٩٧]، فالسامري (الدجال) سيعيش في الدنيا وحيدا - بهيئة وصفة لا يعلمها إلا الله سبحانه - ليخرج في آخر الزمان بالفتن في موعده الذي قدره الله، ليقتل على يد عيسى ﷺ. والله اعلم.**

قصة الصاعقة ونتق الجبل

لما انقشعت الظلمة وتوقف القتل في بني إسرائيل، اختار موسى ﷺ سبعين رجلا من أشراف قومه وعلمائهم، ليذهب بهم إلى الله، ليتوبوا عما بدر منهم من عبادة العجل، فأمرهم أن يتطهروا ويصوموا، فقالوا: اسأل الله أن نسمع كلامه، فسار بهم إلى حيث أمره الله إلى الطور. فلما وصلوا غشي الجبل الغمام فأمرهم موسى بالسجود، ورقي الجبل فكلمه الله سبحانه وأوحى إليه التوراة، ثم انقشع الغمام وعاد موسى إلى جماعته فقالوا: لا نصدقك حتى نرى الله جهرة أي عيانا، فزلزلت الأرض تحت أقدامهم، وأخذتهم صاعقة عظيمة فماتوا جميعا فقال ﷺ: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ﴾ **[الأعراف: ١٥٥] قام يتضرع قال رب لو شئت أهلكتنا من قبل جميعا، وإنما هي فتنة فارحمنا واغفر لنا، فأحياهم الله، (فعرض ﷺ عليهم التوراة وقال:**

خذوها واحرصوا على اتباعها بكل جهدكم، فقالوا: انشرها فما وافقنا أخذناه، فقال: بل تأخذوها كما هي فأبوا، فرفع الله فوقهم الجبل كالظلة وقيل لهم إن لم تأخذوها اسقط الجبل عليكم، فاقروا بها فرفع عنهم (البداية والنهاية ج١ ص١٥)**).**

قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ **[الأعراف: ١٧١]. وقيل إن هذه الأحداث وقعت قبل أن يأمروا بقتل أنفسهم والله اعلم.**

المسير إلى بيت المقدس

بعد هذه الأحداث، سار موسى عليه السلام **ببني إسرائيل إلى بيت المقدس، كما أمره الله، فلما وصل أريحا على مشارف بيت المقدس، (قيل أرسل اثني عشر نقيبا من كل سبط نقيب ينظروا من فيها قبل القدوم عليهم، فرأوا قوما جبارين، فتعاهدوا أن لا يخبروا قومهم حتى يأتوا موسى فيخبروه، فنكث عشرة منهم العهد فاخبروا قومهم** (الكامل ج١ ص٣)**). فلما أمرهم رسول الله بالمسير إليهم لقتالهم، امتنعوا فقال:** ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ **[المائدة: ٢١] أي قد وعدكم الله هذه الأرض ولا بد أن تدخلوها مقاتلين وإلا فإنكم خاسرون مهزومون فقالوا:** ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ **[المائدة: ٢٢] جبنوا وأصروا على عدم الدخول، فقال رجلان انعم الله عليهما بالإيمان والشجاعة والحكمة: لا تغتروا بقوتهم فإنكم إن توكلتم على الله واستعنتم به ودخلتم عليهم في أرضهم فسوف تغلبوهم بإذن الله، فقالوا:** ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ **[المائدة: ٢٤] عزموا على عدم الدخول او القتال، فغضب** عليه السلام **فقال:** ﴿رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ **[المائدة: ٢٥] فاستجاب الله له وحكم عليهم بالتيه أربعين سنة، تكون خلالها**

محرمة عليهم. قال تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ **[المائدة: ٢٦].**

سنوات التيه

لما حكم الله على بني إسرائيل بالتيه، قيل كانوا يسيرون أياما لا يدرون أين يتجهون، حتى إذا استقروا وجدوا أنفسهم في المكان الذي كانوا فيه، فيرتحلون أياما حتى إذا استقروا وجدوا أنفسهم في مكانهم، ولم يكن لهم زرع بسبب دوام ارتحالهم، فكان من رحمة الله بهم أن أرسل إليهم المن (نوع من الصمغ الذي يكون على بعض الشجر له طعم كالعسل) والسلوى (هو طائر السمن) طعاما، (والحجر الذي ضربه رسول الله بعصاه ـ قيل كانوا يحملونه معهم ـ فإذا وضعوه استقوا منه الماء (البداية والنهاية ج١ ص١٥)**، والله اعلم، كما ظلل عليهم سبحانه الغمام يتقون بظله حر شمس الصحراء.**

استمر بنو إسرائيل في تيههم لا يستقرون على حال، يرتحلون من مكان إلى آخر لا يهتدون، ليس لهم طعام إلا المن والسلوى. فلما انقضت المدة وأراد سبحانه إخراجهم منه، (جيش موسى عليه السلام **الجيوش من كل سبط جيش، وجعل على كل جيش نقيبا منهم** (البداية والنهاية ج١ ص١٦)**، واخذ الله سبحانه عليهم العهود والمواثيق ووعدهم بالنصر والمغفرة إن استقاموا ووفوا، وحذرهم غضبه وسخطه إن هم كفروا، ونقضوا عهودهم. قال تعالى:** ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ **[المائدة: ١٢] الآية، وكانوا قد سألوا موسى** عليه السلام**، أن يسال الله لهم طعاما غير طعامهم الذي هو المن والسلوى كما ذكرنا، فقالوا:** ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ **[البقرة: ٦١] وذكروا أنواعا من البقول والخضر طلبوها فقال** عليه السلام**:** ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ **[البقرة: ٦١] أي تطلبون طعاما مما يأكل الناس والله رزقكم أطيب منه، ففي هذه القرية ما تطلبون فادخلوها تجدوا ما تطلبون. ثم سار بهم إلى أريحا (قيل ولم**

يكن فيهم أحد من الذين قالوا ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ [المائدة: ٢٤] فقد ماتوا جميعا في التيه. فدخلوها وقتل عليه السلام ملكها. وبقي فيها إلى أن توفاه الله سبحانه عليه من الله أفضل صلاة وأتم تسليم (البداية والنهاية ج١ ص١٦). وقد ذكر غير واحد من أهل التفاسير أن هارون عليه السلام مات في التيه، قبل موسى بسنتين أو ثلاث ودفنه موسى عليه السلام.

قصة البقرة

قتل رجل من بني إسرائيل وهم في التيه ولم يعرف قاتله (جاء في (الكامل ج١ص٣) (إنّ رجلاً من بني إسرائيل قتل ابن عمّ له ولم يكن له وارث غيره ليرث ماله وحمله وألقاه بموضع آخر ثمّ أصبح يطلب دمه) وفي (المنتظم ج١ ص١٠) (كان رجل من بني إسرائيل مكثرًا من المال وكانت له بنت وكان له ابن أخ محتاج فخطب إليه ابن أخيه ابنته فأبى أن يزوجه فغضب الغلام وقال: واللهِ لأقتلن عمي ولآخذن ماله ولأنكحن ابنته ولآكلن ديته. فأتاه فقال له: يا عم قد قدم تجار في بعض أسباط بني إسرائيل فانطلق معي فخذ لي من تجارة هؤلاء القوم لعلّي أصيب فيها فإنهم إذا رأوك معي أعطوني. فخرج العم معه ليلاً فلما بلغ موقع ذلك السبط قتله الفتى وألقاه امام احد بيوتهم، ثم رجع إلى أهله فلما أصبح جاء كأنه يطلب عمه وإذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه فأخذهم وقال: قتلتم عمي فأدوا إلي ديته وجعل يبكي ويحثو التراب على رأسه وينادي: واعمّاه) وفي (البداية والنهاية ج١ ص١٥) (كان رجل في بني إسرائيل كثير المال وكان شيخا كبيرا وله بنو أخ وكانوا يتمنون موته ليرثوه فعمد أحدهم فقتله في الليل وطرحه في مجمع الطرق ويقال: على باب رجل منهم فلما أصبح الناس اختصموا فيه وجاء ابن أخيه فجعل يصرخ ويتظلم). وكل ذلك على الأغلب من الإسرائيليات، فليس في القران الكريم منه شيء والله اعلم.

اختصم القوم في أمر القتيل فسألوا نبي الله أن يبين لهم القاتل، فنادى في الناس: من عنده علم من هذا القتيل فلم يجبه احد، فأوحى الله إليه مرهم أن يذبحوا بقرة فقالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗا﴾ [البقرة: ٦٧] أي نسألك عن القاتل فتقول اذبحوا بقرة، يستهزؤون به فقال: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾

[البقرة: ٦٧] أي معاذ الله أن أقوله عن جهل، ولكنه أمر الله، فاخذوا يسالون عن البقرة ما هي من البقر وما لونها، وشددوا في السؤال عن صفتها وماهيتها فشدد الله عليهم، ولو ذبحوا أي بقرة لكفتهم، فوصف لهم عليه السلام البقرة فقال: صفراء فاقع لونها أي: مشرب بحمرة تسر الناظرين، وليست مذللة لحراثة أو سقى بالسواني، مسلمة من العيوب ومن مخالطة سائر الألوان غير لونها، وهي وسط لا كبيرة ولا صغيرة. نصف بين السنين، فلما حددها بهذه الصفات قالوا الآن جئت بالحق وطلبوها، فلم يجدوا إلا بقرة واحدة بهذه الصفات عند رجل قيل (كان فقيرا بارا بأمه، فباعها منهم بملء جلدها ذهبًا، فذبحوها وضربوا القتيل بلسانها وقيل: بغيره فحيي وقام قال: قتلني فلان ثم مات). (الكامل ج١ ص٣).

قصة قارون لعنه الله

قيل هو عم موسى عليه السلام وقيل ابن عمه، ولم يذكر القران إلا انه كان رجلا من بني إسرائيل، آتاه الله من الأموال الطائلة، حتى أن العصبة من الرجال كانت تعجز عن حمل مفاتيح خزائنه، فبغى على قومه وتكبر لكثرة ماله فوعظوه ونهوه وقالوا: لا تفرح أي لا تبطر وأد حق الله في مالك، وتمتع بما أحل الله لك من الطيبات، وأحسن إلى الفقراء والمحتاجين كما أحسن الله إليك، فقال: أنا لا أحتاج ما تقولون، ولولا رضا الله عنَي وحبه لي ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا المال والجاه. فلم يرجع عن غيّه ولكنّه تمادى في طغيانه وفساده. وهذا من ضلاله فالله سبحانه قد اهلك من هم أكثر منه مالا واشد قوة. قيل (لما فرضت الزكاة أتى قارون موسى، فصالحه على أن يعطيه زكاة عن كل ألف شيء يملكه شيئا، فلمّا عاد إلى بيته حسبه فوجده كثيرًا، فجمع نفرًا يثق بهم من بني إسرائيل فقال: إنّ موسى أمركم بكلّ شيء فأطعتموه وهو الآن يريد أخذ أموالكم فقالوا: أنت كبيرنا وسيّدنا فمرنا بما شئت فقال: آمركم أن تحضروا فلانة البغيّ فتجعلوا لها جُعلاً فتقذفه بنفسها ففعلوا ذلك فأجابتهم إليه. ثمّ أتى موسى فقال: إنّ قومك قد اجتمعوا لك لتأمرهم وتنهاهم، وذلك كيد منه حتى يأتي بالجارية فتتهمه بالفحش فيقتلوه.

فلما أراد الله هلاكه خرج في تجمل عظيم من ملابس، ومراكب، وخدم، وحشم، فأتى مجلس موسى عليه السلام وهو يعظ قومه فلما رآه الجهلة من قومه ممن أرادوا الحياة الدنيا، انصرفوا إليه وتمنوا أن لو كان لهم مثل ماله،

فنهاهم أهل العلم بالله ووعظوهم. فنزل يجر ثيابه كبرا وخيلاء وموسى يقول: من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة وإن كان له امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون: وإن كنت أنت فقال: نعم قال: فإنّ بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فقال: ادعوها فاسألوها، فلما جاءت قالت: نعم، فسجد موسى لله فرقا فصلى ركعتين، ثم قام فاستحلفها بالله ان تصدقهم فقالت: قارون جعل لي جعلا (أي أعطاني مالا) على أن أقول ذلك، فقال: ما حملك على ذلك يا قارون فقال: يا موسى لئن كنت فضِّلت عليَّ بالنبوة، فلقد فضلت عليك بالمال، ولئن شئت لتخرجن فلتدعون علي، ولأدعون عليك. فخرج، وخرج قارون في قومه، فقال له موسى: تدعو أو أدعو؟ قال قارون: أدعو أنا، فدعا فلم يجب في موسى. فدعا موسى فأوحى الله إليه، مُرِ الأرض بما شئت تطعك فقال: يا أرض خذيهم. قال تعالى:

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ **[القصص: ٨١] فخسف الله به الأرض يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، وحمد المؤمنون الله وعرف الذين تمنّوا مكانه بالأمس خطأ أنفسهم واستغفروا وتابوا.** (الكامل ج١ص٤) (المنتظم ج١ص١٠) (البداية والنهاية ج١ص١٦).

قصة الخضر عليه السلام

قيل كان موسى عليه السلام يعظ بني إسرائيل يوما، فقيل له: أفي الأرض أعلم منك يا نبي الله فقال: لا. فعتب الله عليه فقال: إن لي عبدا اعلم منك فقال: فكيف أجده يا رب فقال: انطلق إلى مجمع البحرين وخذ معك حوتا (أي سمكة) فإذا فقدت الحوت تجده. فانطلق ومعه فتاه (وهو يوشع بن نون عليه السلام ولم يكن قد نبئ يومها)، وقال له إذا فقدنا الحوت أعلمني. فسارا حتى وصلا إلى حيث أمر الله موسى، فأخذت نبي الله رقدة فنام، وقام عليه يوشع يحرسه، فأحيا الله الحوت فانتفض فوقع في البحر، وأشفق يوشع أن يوقظ رسول الله، على أن يعلمه بالخبر عندما يستيقظ، فلما استيقظ نبي الله نسي يوشع أن يعلمه الخبر، وانطلقا يسيران حتى تجاوزا المكان بمسافة بعيدة، فلما أصابهما التعب قال موسى لفتاه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ **[الكهف: ٦٢] أي هات طعامنا لنأكل ونستريح فقد أتعبنا السفر، فذكر يوشع أمر الحوت**

فقال: ﴿أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا﴾ [الكهف: ٦٣] قال أتذكر الصخرة التي أوينا إليها عندما أخذك النوم، فاني قد رأيت من أمر الحوت عجبا، فقد رد الله له الحياة فاضطرب وقفز إلى البحر، وأنساني الشيطان أن أعلمك بذلك، فقال موسى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِ﴾ [الكهف: ٦٤] أي هذا هو المكان الذي أجد فيه صاحبي.

رجع موسى وفتاه يتبعان آثارهما التي سارا عليها، فوصلا إلى الصخرة فوجدا رجلا مسجى بثوبه (مغطى)، فسلم موسى عليه فقال: من أنت قال: أنا موسى فقال: موسى بني إسرائيل قال: نعم، ومن أعلمك بي قال: أعلمني الذي أرسلك إلي، فقال موسى: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ [الكهف: ٦٦] قال: أتأذن أن اتبعك على أن تعلمني مما علمك الله، قال نعم ولكنك لن تصبر على علمي، فان الله كما أعطاك علما لا اعلمه، فانه أعطاني علما لا تعلمه فقال موسى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾ [الكهف: ٦٩] قال إن أذنت اتبعتك وأطعتك وصبرت على ما يكون منك إن شاء الله، فقال الخضر عليه السلام: اتبعني على أن لا تسألني عن شيء تراه مني، حتى أكون أنا من يحدثك فيه، قال نعم وتبعه.

لما تبع موسى الخضر ساروا على الشاطئ حتى أتوا على سفينة، فركبوا فيها دون اجر فقد عرف أصحابها الخضر فأكرموهم لكرامته عندهم، فجاء طير فنقر نقرة من ماء البحر فقال الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر، فلما صارت السفينة في عرض البحر، اخذ الخضر قدوما فجعل فيها خرقا (ثقبا)، فتسرب الماء إليها فقال موسى: قوم حملونا بغير نول (بغير أجر) عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها فقال الخضر: ﴿أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ [الكهف: ٧٢] فقال موسى: قد نسيت فلا تؤاخذني. ولما نزلوا من السفينة مشوا إلى قرية، فإذا غلمان يلعبون فاخذ الخضر برأس احدهم فقتله فقال موسى: إن هذا لشيء عظيم قتلت نفسا بغير نفس فقال الخضر: الم اقل انك لن تستطيع صبرا على ما ترى مني فقال موسى: قد بلغت عذرك مني فان سألتك عن شيء بعدها فلا

تصاحبني. ثم تابعا السير فوصلوا إلى قرية، وقد بلغ منهم الجوع والتعب مبلغا فسألوا أهلها أن يطعموهم فأبوا، فانطلقوا يمشون فإذا بجدار خرب مائل يوشك أن يسقط، فمسحه الخضر ﷺ بيده فأقامه وسواه فقال موسى: لم يضيفونا فتعمل معهم هكذا، لو شئت لأخذت أجرا على ذلك ـ يقصد طعاما ـ فقال الخضر: قد بلغت عذري منك فالآن فارقني ولا تصحبني، وسأخبرك بتأويل ما رأيت مني.

قال الخضر ﷺ: أما السفينة فكانت لمساكين يسترزقون بعملهم عليها، وفي القرية التي أمامهم ملك جبار يأخذ كل سفينة صالحة غصبا من أصحابها، فعبتها حتى يتركها لهم، فإذا خرجوا من قريته أصلحوها. وأما الغلام فكان كافرا، فخشيت من حب والديه له (وهما مؤمنان) أن يكفرا ويتابعاه على دينه، واسأل الله أن يرزقهما غلاما بدلا منه، يكون على دينهما، ويكون بهما أكثر رأفة ورحمة. وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين وكان أبوهما رجلا صالحا مؤمنا وتحته كنز لهما، خشيت أن يسقط فيأخذ الناس كنزهما، فأقمته حتى إذا كبرا استخرجا كنزهما وانتفعا به. وهذا تفسير ما لم تستطع عليه صبرا، فالآن فارقني ولا تصاحبني. (القصة باختصار من الأحاديث التي رواها البخاري في صحيحه بالأرقام: ٤٧٧٢، ٤٧٧٣، ٤٧٧٤). (وهي مبسوطة في (الكامل ج١ص٣) وفي (المنتظم ج١ص١٠) وفي (البداية والنهاية ج١ ص١٥) مع كثير من الإسرائيليات لم اخذ بها واكتفيت بما وافق نص آيات القران الكريم، والله اعلم).

قصة الذي انسلخ من آيات الله

قيل هو من الجبارين أهل أريحا وكان مستجاب الدعوة، وقيل من بني إسرائيل كفر بالله وفر إلى قرية الجبارين. ومما ذكر من قصته (الكامل ج١ص٤) (البداية والنهاية ج١ص١٦) ومن رأيي أن تفاصيل القصة من الإسرائيليات والله اعلم. قيل لما أراد موسى ﷺ دخول قرية الجبارين وهي أريحا، جاء الجبارون إلى بلعام وكان مستجاب الدعوة وقيل كان عنده الاسم الأعظم وقالوا له: إن موسى قد جاء ليقتلنا ويخرجنا من ديارنا، فادع الله عليهم فقال لهم: كيف أدعو على نبيّ الله والمؤمنين ومعهم الملائكة، فراجعوه في ذلك وهو يمتنع عليهم، فأتوا امرأته وأهدوا لها هديّة فقبلتها، وطلبوا إليها أن تحسّن لزوجها أن يدعو على بني إسرائيل، فقالت له في ذلك فامتنع فلم تزل

به حتى قال: أستخير الله فاستخار الله تعالى فنهاه في المنام فأخبرها بذلك فقالت: راجع ربّك فعاود الاستخارة فلم يرد إليه جواب فقالت: لو أراد ربّك لنهاك ولم تزل تخدعه حتى أجابهم، فركب حمارًا له متوجّهًا إلى جبل مشرف على بني إسرائيل ليقف عليه ويدعو عليهم، فما سار عليه إلا قليلاً حتى ربض الحمار، فنزل عنه وضربه حتى قام فركبه فسار به قليلاً فبرك، فعل ذلك ثلاث مرّات، فلمّا اشتدّ ضربه في الثالثة فأنطقه الله فقال له: ويحك يا بلعم أين تذهب أما ترى الملائكة تردّني، فلم يرجع فأطلق الله الحمار حينئذ فسار عليه حتى أشرف على بني إسرائيل، فكان كلّما أراد أن يدعو عليهم ينصرف لسانه إلى الدعاء لهم، وإذا أراد أن يدعو لقومه انقلب دعاؤه عليهم، فقالوا له في ذلك فقال: هذا شيء غلبنا الله عليه، واندلع لسانه فوقع على صدره فقال: الآن قد ذهبت مني الدنيا والآخرة ولم يبقَ غير المكر والحيلة، وأمرهم أن يزيّنوا نساءهم ويعطوهنّ السلع للبيع ويرسلوهنّ إلى العسكر، ولا تمنع امرأة نفسها ممن يريدها وقال: إن زنى منهم رجل واحد كفيتموهم، ففعلوا ذلك ودخل النساء عسكر بني إسرائيل، فأخذ رجل من كبارهم امرأة وأتى بها موسى فقال له: أظنك تقول هذا حرام، فوالله لا نطيعك، ثمّ أدخلها خيمته فوقع عليها فأنزل الله عليهم الطاعون، وكان احد أبناء هارون صاحب أمر عمّه موسى غائبًا، فلما جاء رأى الطاعون قد استقر في بني إسرائيل، وأُخبر الخبر وكان ذا قوّة وبطش، فقصد الرجل فوجد المرأة عنده فطعنهما بحربة في يده فقتلهما، فرفع الله الطاعون عنهم وقد هلك منهم خلق كثير فأنزل الله في بلعم:

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ **[الأعراف: ١٧٥] ثم دخل موسى بالجيش المدينة على الجبارين، وقتل ملكها وفتحها الله عليهم كما ذكرنا والله أعلم.**

قصة يوشع بن نون عليه السلام

لما توفى الله موسى عليه السلام، وكان أوصى ليوشع بن نون بالقيام بأمر بني إسرائيل بعده، وقيل كان يوشع نبئ في حياة موسى عليه السلام، (ولم يذكر اسمه صريحا في القران ولكن الله أشار إليه في قصة الخضر) فلما استقر ببني إسرائيل المقام في أريحا بعد أن فتحها الله عليهم، (قيل فتحها موسى، وقيل بل توفاه الله قبل فتحها، وكانت محاصرة ستة أشهر، وفتحها يوشع بعده، قيل

لما أذن الله بفتحها استمر القتال إلى مغيب الشمس، وقد أوشكوا على دخولها وقد انهزم الجبارون، وكان اليوم جمعة بعده سبت اليهود، فخشي يوشع أن يوقف القتال إلى ما بعد السبت، فيتقوى الجبارون، فسال الله أن يؤخر المغيب، فأوقف الله له الشمس حتى دخلوا المدينة، (الكامل ج١ص٤) (المنتظم ج١ص١١) (البداية والنهاية ج١ص١٦) والله اعلم). وقيل بل كان وقوف الشمس في فتح بيت المقدس، وهو الأرجح لحديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ الذي رواه الإمام احمد في مسنده برقم ٧٩٦٤ قال (إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس).

ثم ملك يوشع أراضي الشام وأقام فيها عماله، إلى أن أمره الله بالمسير إلى بيت المقدس، فسار بهم إليها، وكان فيها العماليق فقتل ملكهم، وفتحها الله عليهم، وقد أمروا أن يدخلوها سجدا أي ركعا متواضعين شاكرين لله عز وجل على ما من به عليهم من الفتح العظيم الذي كان الله وعدهم إياه وأن يقولوا حال دخولهم حطة أي: حط عنا خطايانا التي سلفت من نكولنا الذي تقدم منا. إلا إنهم خالفوا ما أمروا به قولا وفعلا، قال ابن مسعود: (فدخلوا مقنعي رؤوسهم ضد ما أمروا به)، فعاقبهم الله على هذه المخالفة بإرسال الرجز عليهم قيل هو الطاعون، وقيل: الغضب، وقيل: البرد (البداية والنهاية ج١ص١٦) والله اعلم. واستمروا فيها وبين أظهرهم نبي الله يوشع يحكم بينهم بكتاب الله التوراة حتى قبضه الله إليه.

قصة العزير

قيل كان زمانه في فترة ما بين موسى وداود عليهما السلام، وهو رجل من بني اسرائيل، وقع خلاف في كونه نبيا ام عابدا من الصالحين، ذكر في القران الكريم ان بني اسرائيل فتنوا به فادعوا انه ابن الله كما ادعت النصارى ان المسيح ابن الله، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ **[التوبة: ٣٠]، وحاشا لله ان يكون له ولد سبحانه قال تعالى:** ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ **[الإخلاص: ٣] وقال:** ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ

تَكۡبِيرَۢا ﴾ [الإسراء: ١١١]. قال اهل السير: ان عزيرا مر على قرية خربة فمال إلى ظل فيها ليستريح، فنزل عن حماره فربطه، ووضع طعامه ليأكل، فجلس وقد اخذه العجب من حال القرية فقال: ﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٩] تعجب من قدرة الله سبحانه على احياءها، وهي متهدمة قد يبست اشجارها ومات اهلها ولا اثر للحياة فيها، فأخذته سنة من النوم فنام، ولما استيقظ ما ظن إلا انه نام يوما او بعض يوم، فأوحى الله اليه: ﴿بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ﴾ [البقرة: ٢٥٩] اما عجبك من قدرتنا: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗا ﴾ [البقرة: ٢٥٩] احيا الله عقله ليعقل وعينيه ليرى، فنظر إلى طعامه فإذا هو على حاله، لم يفسد ولم يتغير، ونظر إلى موضع حماره، فرأى عظامه ترتفع من اماكنها في الارض نخرة، فتعود إلى حالها ويركب بعضها على بعض كل في مكانه، فلما استوت هيكلا رآها رأي العين تكتسي اللحم والجلد والشعر، ثم نفخ فيها الروح فإذا حماره قائم امامه لا ينكره، فخر لله ساجدا وقال: ﴿أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [البقرة: ٢٥٩] اي ما شككت في قدرة الله ولكني تعجبت من قدرته سبحانه.

قيل ركب عزير حماره وسار إلى قريته، وهو ينكر ما يرى من تغير حالها، فأتى موضعا ظن انه بيته او موضع بيته، فوجد على بابه عجوزا مقعدة عمياء فسألها: اليس هذا منزل عزير؟! فقالت: نعم هذا منزل عزير، وقد نسيه الناس، وما رأيت احدا يذكره منذ زمن، فقال: انا عزير، امتني الله مائة عام ثم احياني. قالت: فان عزيرا كان مستجاب الدعوة فادع الله لي ليرد بصري، فان كنت عزيرا عرفتك، فاخذ بيدها ودعا الله وقال: قومي بإذن الله، فاستوت قائمة قد ارتد اليها بصرها فقالت: اشهد انك عزير. ثم انطلقت إلى مجلس بني إسرائيل وأخبرتهم الخبر، فنهض الناس فأقبلوا إليه، فكشف بعض اولاده عن علامة على كتفه فعرفوه، قال تعالى: ﴿وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ

لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٥٩] وذلك انه كان يجلس مع بنيه وهو شاب في الاربعين، وهم حوله شيوخ قد جاوز أصغرهم المائة. ولما رأى اليهود ما كان من امره قالوا: لم يكن فينا أحفظ للتوراة من عزير، وقد حرقت ولم يبق منها شيء إلا ما حفظت الرجال فاكتبها لنا، قيل فانطلق بهم إلى موضع كان ابوه قد دفن التوراة فيه، فاستخرجوها فإذا الورق قد تعفن ومحيت الكتابة، فجلس في ظل شجرة فنزل من السماء شهابان فدخلا جوفه، فتذكر التوراة فجددها لهم، ويروى عن بن عباس انه سأل عبد الله بن سلام، لم قالت اليهود ان عزيرا ابن الله؟ فذكر له أن بني اسرائيل لما رأوه كتبها من حفظه قالوا: لم يستطع موسى أن يأتينا بالتوراة إلا في كتاب، وأن عزيراً قد جاءنا بها من غير كتاب، فافتتنت به طائفة منهم وقالوا عزير ابن الله. وقيل غير ذلك والله اعلم. (البداية والنهآية ج٢ص١٩) بتصرف واختصار.

قصة ذو القرنين

ذكرت له عدة اسماء لم اخذ بها، واكتفيت بما سماه به الله سبحانه فهو ذو القرنين، ووقع خلاف في زمانه وفي مدة بقائه، كما اختلف في هل هو نبي ام من الصالحين، والشاهد من كتاب الله انه ملك مؤمن صالح عالم، ملك مشارق الارض ومغاربها، له جيوش عظيمة، كما دلت على ذلك احداث قصصه والله اعلم. (التفاسير) قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٣-٨٤].

قصة العين الحمئة

قلنا ان ذو القرنين ملك عظيم مكن الله له في الارض، سار بجيوشه حتى وصل اقاصيها شرقا وغربا، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾

[الكهف: ٨٦]، جاء في (البداية والنهآيةج٢ص٢٢): (وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الكهف: ٨٦] يعني من الأرض انتهى إلى حيث لا يمكن أحدا أن يجاوزه ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له أوقيانوس (وقد كانوا يسمون البحر العظيم الذي يحيط بالأرض اوقيانوس، ويبدو ان المحيط الغربي الذي وقف عليه ذو القرنين هو الاطلسي، فهو اخر بحر عظيم تجاه الغرب عرفه اهل ذلك الزمان، مع العلم ان الاقدمين كانوا يسمون البحار العظيمة المحيطة باليابسة وأشهرها الان ما يعرف بالهادي والأطلسي والهندي، كانوا يسمونها البحر المحيط، ويقال له الاقيانوس، والله اعلم) وعنده شاهد مغيب الشمس فيما رآه بالنسبة إلى مشاهدته).

قلت: وأول ما يجب التنبيه اليه عند الحديث عن العين الحمئة، هو قول الله سبحانه: ﴿وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ﴾ [الكهف: ٨٦] فذلك ليس حقيقة كما يتوهم البعض، ولكن في رأي العين، كغروبها في البحر لمن يقف على شاطئه، او كغروبها في رمال الصحراء لمن هو فيها، فإنها تبدوا كأنها تدخل في ماء البحر او رمل الصحراء. وقد نبهت الآية الكريمة إلى ذلك فقال سبحانه (تغرب) ولم يقل (تدخل). فغروبها يعني احتجابها عن الرؤية، فالعين البشرية اقصى ما يمكن ان تراه اذا نظرت باستقامة، هو خط الافق، فإذا كان خط الافق باتجاه جبل فان كل شيء يتجه غربا، سيبدو للعين كأنه يقع خلف ذلك الجبل كالشمس او كطائر في السماء وما إلى ذلك، وإذا كان خط الافق بحرا، فستبدو الاشياء كأنها تقع في مياهه، وإذا كان خط الافق في ارض مفتوحة كالصحراء، فستبدو الاشياء كأنها تغوص في رمالها، وكذلك من جهة الشرق، فكل شيء يأتي من جهة خط الافق الشرقي، سيبدو وكأنه يصعد من خلف الجبل، او من ماء البحر، او من رمل الصحراء. ومعروف ان الشمس عند مغيبها تظهر بلون احمر، كما يظهر الافق احمر كذلك، (او يميلان اليه) وتلك ظاهرة فيزيائية تتعلق بانكسار الضوء على الغبار، وعلى الاجسام الدقيقة العالقة في الهواء، بسبب طول موجات اللون الاحمر، فهي اطول موجات الضوء المرئية للعين البشرية. فتبدو الشمس لمن يراقبها عند المغيب وهو على شاطئ البحر، كأنها تحترق وتدخل إلى بحيرة، او بحر، او عين تلتهب فيها النار، (وكل ذلك في رأي العين وليس حقيقة بالطبع).

والشمس في حقيقة امرها جرم سماوي ـ كباقي اجرام السماء ـ لها فلك اي مدار خاص بها ضمن المجرة تسير فيه، يتبعها الكواكب الدائرة حولها بأقمارها التابعة لها، وتستمر على ذلك ما شاء الله إلى ان يقضي الله فيها بأمره، فتستقر حيث يشاء الله لها، وكل ذلك بتقدير الله سبحانه، فهو العزيز القوي القادر، وهو العليم بخلقه فيما كان وفيما هو كائن، قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ [يس: ٣٨]، وفي قول الله: ﴿ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ ﴾ [الكهف: ٨٦]، اقول ان الله سبحانه لم يقل (تدخل) لان الدخول يقتضي ان يكون ذلك بجرم الشمس، وهو ما لا يعقل منطقا ولا عقلا، ولان الله سبحانه العالم بخلقه يوم خلقه، فقدر الشمس في جرمها بما يزيد عن جرم الارض بـ (١٣٠٠٠٠٠) مرة، اقول: لن يقول سبحانه لخلقه ان الشمس بهذا الجرم الهائل، تدخل في عين لا تساوي من مساحة الارض إلا يسيرا، ولذلك قال سبحانه (تغرب) اي تحتجب عن الرؤية كما بينت انفا، ولم يقل (تدخل) حتى لا يلتبس ذلك على الجهلة، كما هو عند كثير من الكفرة والملحدين لعنهم الله، والذين جعلوا من هذه الآية مدخلا يستدلون به على تناقض او اضطراب في قدرة الله سبحانه، وإنما الاضطراب والتناقض في عقولهم المريضة الحاقدة، فالله جل ذكره اعلى واعز من ان يؤخذ عليه مأخذ فيما يقول سبحانه.

اما ما يستند اليه اولئك الكفرة الملحدون من اقوال المفسرين رحمهم الله، فأقول ان المفسرين قد فسروا بما ساد في ايامهم من العلم، وهو قليل، ولم يجزموا بأنها عند مغيبها تدخل في عين حامية، بل اوضحوا ان ذلك غير ممكن وأكدوا عليه، ومنهم ابن كثير، والسعدي، اما الحديث الذي يرويه بعض المفسرين عن ابن عمرو قوله «نظر رسول الله ﷺ إلى الشمس حين غابت، فقال: فِي نارِ اللهِ الحامِيَةِ، فِي نَارِ اللهِ الحَامِيَةِ، لَوْلا ما يَزَعُها مِنْ أمْرِ اللهِ لأحْرَقَتْ ما عَلى الأرْضِ». ويتشبثَ به الكفرة والملحدون، فقد علق عليهَ ابن كثير فقال: (وفي صحة رفع هذا الحديث نظر، ولعله من كلام عبد الله بن عمرو، من زاملتيه اللتين وجدهما يوم اليرموك، وهما حملا بعيرين من كتب اليهود وقصصهم، والله أعلم). ومن الجدير بالذكر ان رسول الله ﷺ لم يفسر القران، ولم يؤثر عنه ذلك، ولو اثر عنه شيء لحرص الصحابة عليه وأوصلوه الينا، كما انه نهى اصحابه عن كتابة احاديثه حتى لا تختلط بالقران،

وقد نقلت اقواله من الصحابة مشافهة إلى التابعين، ومنهم إلى من تبعهم وهكذا، حتى تسرب الخلط في بعض الاحيان بين الحديث وبين قول الصحابي او التابعي، ومن هنا نشأت علوم الحديث واعتنت بعلمي المتن والسند، اضافة إلى علم الجرح والتعديل، بمعايير دقيقة متشددة، إلا ان الامر لم يخل من دس الكثير من الاحاديث الموضوعة من قبل الكذابين والمغرضين، بحسن نية او بفسادها، وذلك لا يغير من كونها موضوعة، ولا يجوز الاخذ بها، كذلك فان الجهل بالحقائق العلمية، لم يكن مقصورا على علمائنا دون غيرهم، بل كان سمة اهل الارض جميعا، مع ان علماءنا قد سبقوا غيرهم في كثير من مجالات العلم والمعرفة، فالقران الكريم قد اتى بحقائق علمية لم يعرفها العلم إلا مؤخرا، ليس اقلها كروية الارض، او مدارات النجوم والكواكب، كما اوضحت في باب الكائنات من هذا الكتاب. والله من وراء القصد.

ولما وصل ذو القرنين إلى اقصى ما امكنه من غرب الارض، حيث رأى غروب الشمس كما بينا، وجد في ذلك المكان اقواما خيره الله فيما يفعل بهم قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦]، وقد احتج بهذه الآية من قال ان ذو القرنين نبي. فدعاهم إلى الايمان وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٨] اي سنترفق بمن يؤمن ونحسن اليه وقال: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٨٧] اي أما من ظلم نفسه واصر على كفره فسنعذبه (قيل بالقتل)، فإذا مات عاد إلى ربه فيعذبه كما يعذب امثاله من المجرمين الكفرة.

قصة سد يأجوج ومأجوج

لما تمكن ذو القرنين من غرب الارض وبسط عليها سلطانه، توجه إلى شرقها قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٩٠]، وذلك يقتضي انه بلغ اقصى الارض من جهة الشرق، او جهة الشمال الشرقي، اي شواطئ الصين وسيبيريا على المحيط

الهادئ، ومن المعروف ان الشمس اذا طلعت فإنما تطلع من جهة الشمال الشرقي حقيقة، وليس من جهة الشرق الجغرافي، وذلك بسبب ميل محور الارض الذي يبلغ (٢٣٠٥) درجة، (ومن الجدير بالذكر ان الله سبحانه قد خص الارض بالشروق دون الشمس، فكل آية تحدثت عن الشروق او الاشراق اقترنت بالأرض، كقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزُّمَر: ٦٩]، اما الشمس فاختصها بالطلوع والغروب كقوله تعالى: ﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٧]. وهناك رأى ذو القرنين مطلع الشمس كما رأى غروبها، فوجد اقواما يقول تعالى: ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٩٠]، يدل ذلك على انها اراض سهلية منبسطة، ليس فيها جبال مرتفعة، وذلك معروف في جغرافية الصين، فأراضيها الغربية شديدة الارتفاع فهي مناطق جبلية شاهقة الارتفاع، وهي الهملايا التي تضم قمة افرست، اعلى قمة جبل في العالم، ثم تنحدر اراضيها كلما اتجهنا شرقا ـ او شمالا ـ حتى تصل إلى المحيط، حيث تنتشر اراض ضحلة يقل عمق الماء في بعض نواحيها عن (٢٠٠) متر (خريطة جمهورية الصين الشعبية)، وقد اورد بعض المفسرين والرواة في صفة تلك الاقوام قصصا لا يقبلها عقل، رأيت عدم التعرض لها لما يظهر فيها من اثر الوضع والخيال.

ومن لطيف ما قال الدكتور مصطفى محمود حين تحدث عن يأجوج ومأجوج، ضمن برنامجه المعروف (العلم والإيمان) قال حين تحدث عن هذه الآية ما ملخصه: ان الله سبحانه وتعالى عندما تحدث عن امر ذو القرنين في شرق الارض قال (تطلع) اي الشمس ولم يقل تشرق وهو نظير قوله تغرب، عندما تحدث عن رحلة ذو القرنين إلى غرب الارض. وذلك انه رأى ان ذو القرنين قد وصل اقصى الشمال الشرقي من الكرة الارضية، وهي الدائرة القطبية الشمالية، حيث الشمس لا تطلع هناك ولا تغرب، لأنها طالعة مرئية على الدوام بسبب انحراف محور الارض، فقال تطلع ولم يقل تشرق لموافقة ذلك لمقتضى حال الارض والشمس في ذلك الجزء من الارض. كذلك فان الشمس في ذلك الموضع ليس بينها وبين اهل تلك البلاد ستر، اي مانع يمنعهم من رؤيتها ليلا، ورأى ان الستر المانع لرؤية الشمس هو الليل، وهي

هناك ترى حتى في الليل، وذلك خلاف ما هو حاصل في شتى بقاع الارض غير ذلك الجزء. حيث ترى الشمس في النهار وتختفي في الليل. اما في ذلك الجزء فهي مرئية على الدوام ليلا ونهارا كما ذكرنا. وعليه فليس بينها وبين اهل تلك البلاد ستر يمنعهم من رؤيتها، ولذلك فقد رجح ان يكون مكان يأجوج ومأجوج، هو جزء ما، او مكان ما، ضمن دائرة القطب، والله اعلم. (موقع يأجوج ومأجوج من حلقة شمس منتصف الليل، د. مصطفى محمود)

ومن جانب اخر فقد رأى ابن عاشور في كتابه التحرير والتنوير، وهو تفسير القران الكريم، وذلك عندما فسر سورة الكهف فقد قال ما ملخصه: ان مغرب الشمس الذي بلغه ذو القرنين هو بحر الخزر، وذلك بعيد - في رأيي - والأرجح ما ذهب اليه الجمهور وهو بحر الظلمات الذي يعرف بالمحيط الاطلسي، حيث لم يكن احد يعتقد بوجود ارض بعده، إلى ان تم اكتشاف الامريكيتين. كذلك فان ابن عاشور قد رأى ان ذو القرنين هو احد ملوك الصين ممن كانوا يدينون بالكونفوشيوسية، وان السد الذي بناه هو ذلك السد العظيم المعروف بسور الصين العظيم، وان يأجوج ومأجوج هم المغول، والسد هو ذلك السور الذي يفصل الصين عن منغوليا، بلادهم. والواقع ان مدلول الآيات الكريمة يخالف ما ذهب اليه، فان صفة السد حسب القران الكريم لا يطابق ما هو معروف عن طبيعة سور الصين ولا يطابق هيئة بناءه. وعلى ذلك فإنني ارجح ما ذهب اليه الاقدمون في امر مغرب الشمس، وما ذهب اليه الدكتور مصطفى محمود في امر مطلع الشمس. والخلاصة ان المعول عليه في قصة ذو القرنين هي العبرة والعظة، وليس السرد التاريخي او الموقع الجغرافي، والله سبحانه اعلم بما كان.

وبملخص ما ذكر في كتب السير والتفاسير، يبدو انه وصل إلى اقصى الشمال الشرقي من الصين، ووصل إلى سهول سيبيريا المتجمدة، ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾[الكهف: ٩٠] واعتبروا ان هذه هي رحلته الثانية، باعتبار ان رحلته الاولى كانت في غرب الارض. وما تجدر الاشارة اليه هنا هو ما نبهنا عليه سابقا في هذا الكتاب، وهو ان القران الكريم ليس كتاب علم بحت ولا كتاب تاريخ وسير، بل هو كتاب شرع وهداية، ينظم حياة البشر العقائدية والحياتية، بما يؤهلهم للسير على طريق الايمان، واتباع شرع الله ليكون ذلك زادهم وذخيرتهم، حتى يلقوه سبحانه، وان حوى كثيرا من المواضيع العلمية

والتاريخية، فان المهم في تلك المواضيع، هو الاعتبار بما فيها من المواعظ والحكم، وليس موقعها الجغرافي او زمان حدوثها،

وصل ذو القرنين بعد ذلك في مسيره إلى منطقة يبدو انها جبلية، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ **[الكهف: ٩٣] ويبدو ان السدان سلسلتان جبليتان شاهقتان بينهما ممر ضيق، يسمح بالمرور بينهما من جانبيهما، ويعيش على كل جانب منهما اقوام بينهم عداء دائم، وحروب مستمرة، فلما وصل إلى احد الجانبين** ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ **[الكهف: ٩٣] اي قوم بدائيون ليس لهم حضارة ولا قوة، فلما رأوا ما معه من الجيوش والقوة، اشتكوا اليه فساد الاقوام التي تعيش على الجانب الاخر، وهما يأجوج ومأجوج، قبيلتان همجيتان غاشمتان، كثيرتا الاعتداء والإفساد فيما حولهما، قالوا:** ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ **[الكهف: ٩٤] سألوه ان يعطوه أجرا او جزية، على ان يجعل بينهم حاجزا يمنعهم من الوصول اليهم فقال:** ﴿مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ **[الكهف: ٩٥] اي سأجعل بينكم وبينهم ردما يغلق طريقهم ويمنع وصولهم اليكم، وذلك بحول الله وقوته وتوفيقه، على ان تعينوني بما يلزم ذلك مما عندكم.**

ولما عزم ذو القرنين على بناء السد قال: ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ **[الكهف: ٩٦] قيل جمعوا كل ما قدروا عليه من الحديد والحطب والنحاس، فجعل ذلك فوق بعضه في طبقات، حتى ارتفع إلى مستوى اعلى الجبلين، اوقد فيه نارا عظيمة اذابت الحديد والنحاس (وقيل الرصاص، والنحاس اصح)، حتى تماسكا وأصبحا سبيكة عظيمة ملساء، مخططة بلوني الحديد والنحاس، من اسفل الجبل إلى اعلاه، قال تعالى:** ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ

نَقۡبٗا﴾ [الكهف: ٩٧] اي لما صار كذلك لم تستطع يأجوج ومأجوج، نقب تلك السبيكة لعظم سمكها، ولم يستطيعوا الصعود عليها لارتفاعها وملاستها، فأصبحوا محصورين خلفها رحمة من الله لمن خلفهم، ومنعا لأذاهم وفسادهم قال تعالى: ﴿هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨] حتى يأذن الله بانهدام السد وبخروجهم ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ [الكهف: ٩٨]. وذلك أمر لابد منه فلا يبقى شيء على حاله إلا وجه الله سبحانه قال تعالى: ﴿وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا﴾ [الكهف: ٩٨]. وأود ان انوه إلى اني ارجح ان ما جاء في كتب السير عن هذه القصة من تفصيلات هو محض خيال، لما في من الغرابة والنكارة، وأظن انه من خيالات الكتبة والرواة ومن وضعهم، ولذلك لم اتعرض له والله اعلم.

قصة طالوت وجالوت

قلنا ان بني اسرائيل بعد يوشع بن نون عليه السلام تفرقوا في فلسطين وبلاد الشام، وبدؤوا ينسلخون عن عبادة الله، وينسون التوراة ويحرفونها، ومنهم من عبد الاصنام، فسلط الله عليهم ملوكا، تارة منهم وطورا من اعدائهم يحكمونهم، وكان منهم الصالح ومنهم الطالح، كذلك كان سبحانه بين الفترة والفترة يرسل لهم رسلا وأنبياء منهم، يدعونهم لعبادة الله والعودة إلى كتابهم، إلا أنهم كانوا قليلا ما يؤمنون، وكثيرا ما يقتلون انبياءهم، وكان عندهم التابوت يتوارثونه، وفيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون، وكانوا اذا لقيهم العدو قدموا التابوت وزحفوا به معهم، فيهبهم الله النصر على عدوهم. فلما عظمت الخطايا فيهم نزل بهم عدو فأخذ من أيدهم التابوت ووطئهم، فاضطرب أمرهم واختل حالهم وسلط الله عليهم من ينتقم منهم، وسلط عليهم الذلة والمسكنة والشتات في الارض، (المنتظم ج١ ص١١).

استمر بنو اسرائيل على ذلك إلى ان ملك الكنعانين جالوت، فأكثر في بني اسرائيل القتل والتعذيب وأخذ منهم الجزية، وكان في بني اسرائيل نبي قيل هو شمويل، فلما رأى بنو اسرائيل ذلك وخشوا ان يفنيهم جالوت قالوا لنبيهم: ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦] اي اختر لنا من بيننا

رجلا يكون ملكا علينا، نقاتل معه في سبيل الله عدونا وعدو الله (فقد كان جالوت من عبدة الاصنام)، فقال لهم النبي: اخشى ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦] اي كيف لا نقاتل وأنت ترى ما نحن فيه من المذلة والاستعباد، فاخذ عليهم المواثيق ان فعل ان يقاتلوا، فأجابوه، فأوحى الله اليه ان يختار طالوت، وكان من فقرائهم، (وفي قصة تمليكه امور عجيبة، لم أذكرها لان الغالب عليها انها من الاسرائيليات لما فيها من الغرابة)، فقال لهم النبي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗا﴾ [البقرة: ٢٤٧] قالوا: كيف يكون ملكا علينا وهو من فقرائنا ونحن احق بالملك منه (قيل وكان طالوت من سبط بنيامين ولم يكن فيهم ملوك، وقيل كانت النبوة في سبط لاوي، والملك في سبط يهوذا، والله اعلم) فقال لهم النبي: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٤٧] اي ان الله اختاره وأعطاه قوة في جسمه ووهبه العلم، والله اعلم بمن يقوم بأمره من نبي او ملك، فيعطي كلا بحكمته وتقديره سبحانه، فقالوا: إن كنت صادقًا فأتِ بعلامة تدل على صدقك فقال: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢٤٨] ((قيل ان الكنعانيين لما اخذوا التابوت من بني اسرائيل، وضعوه اسفل صنم لهم، فلما كان الغد، وجدوه على راس الصنم، فوضعوه تحته، فلما كان اليوم الثاني إذا به فوق الصنم، فأخرجوه من بلدهم، وجعلوه في قرية من قراهم زمنا، فأصابها مرض، فلما طال بهم العهد وهم على ذلك جعلوه على عجلة، وربطوها في بقرتين وأرسلوهما. فيقال: إن الملائكة ساقتهما إلى بني إسرائيل وهم ينظرون كما أخبرهم نبيهم بذلك، وقيل كانت فيه الواح موسى وعصاه وعليه السكينة والله اعلم (البداية والنهايةج١ص١٨)) وظاهر القصة انها من الاسرائيليات. وظاهر الآية أن الملائكة كانت تحمله، والله أعلم على أي

صفة جاءت به.

فلما ملك طالوت جمع جيشا من بني اسرائيل، وسار بهم لقتال عدوهم، فاعترضهم نهر (قيل هو الاردن) فأمرهم طالوت ان لا يشربوا منه حتى يرتووا، ولا باس ان يأخذ الرجل غرفة واحدة بيده يروي بها ظمأه، ثم تجاوز بهم النهر فلقيهم جالوت بجيش عظيم، فلما رأوه نكص الذين شربوا من النهر وجبنوا وهم اكثرهم (وصدق فيهم ظن نبيهم) وقالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٤٩] أما المؤمنون ممن لم يشربوا من النهر، فقد فوضوا امرهم إلى الله وأملوا نصره وقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠] فلما التقى الجمعان ومع طالوت القليل من بني اسرائيل (قيل ثلاثمئة وقيل اربعة ألاف والله اعلم) خطب طالوت في بني اسرائيل يحرضهم على القتال ويحثهم عليه وقال: من قتل جالوت زوجته بابنتي، وأشركته في ملكي. فخرج جالوت ودعا من يقاتله، فبرز اليه داود وكان امهر من يرمي بالمقلاع، فوضع في مقلاعه حجرا ورمى به جالوت ففلق رأسه وقتله، فلما رأى الجيش مقتل ملكهم فروا هاربين، فأمكن الله بني اسرائيل منهم قتلا وأسرا. قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: ٢٥١] ولما انتهى القتال اوفى طالوت بوعده لداود، وزوجه ابنته وأشركه معه في ملكه، فعظم داود عليه السلام عند بني إسرائيل، وأحبوه ومالوا إليه أكثر من طالوت، فذكروا أن طالوت حسده وأراد قتله، ثم تاب وترك الملك لداود عليه السلام، وذهب ومعه ثلاثة عشر من أولاده فقاتلوا في سبيل الله حتى قتلوا، قال تعالى في أمر داود: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٥١] (الكامل ج١ص٤) و(البداية والنهاية ج١ص١٨).

قصة اصحاب السبت

كان الله سبحانه قد فرض على اليهود الراحة يوم السبت، وتخصيصه للعبادة، وترك كل عمل دنيوي، وكان جماعة منهم يعيشون في إيلة، وهي

قرية على البحر، وكانوا يعملون في الصيد، فلاحظوا ان الاسماك تكثر يوم السبت عنها في باقي الايام قال تعالى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ **[الأعراف: ١٦٣] وكان ذلك ابتلاء من الله لمخالفتهم شرع موسى** عليه السلام **قال تعالى:** ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ **[الأعراف: ١٦٣] فلما رأوا ذلك احتالوا للصيد يوم السبت، حيث تكثر الاسماك ويسهل صيدها، فعملوا احواضا عميقة على الشاطئ، وجعلوا بينها وبين البحر اقني يدخل منها ماء البحر إلى الاحواض بما يحمل من اسماك، فتدخل إلى الاحواض ولا تستطيع العودة إلى البحر، لقلة عمق القانية، فإذا كان اخر يوم الجمعة فتحوا القانية على البحر، فيدخل الموج الاسماك إلى الاحواض يوم السبت عند كثرتها، فيأتون يوم الاحد فيأخذونها مخالفين أمر الله قال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ **[البقرة: ٦٥] فلما عملوا ذلك نهاهم اهل العلم والإيمان عن ذلك وخوفوهم غضب الله وعقابه، فلم ينتهوا فأوقع الله بهم العذاب فمسخهم قردة قال تعالى:** ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ **[البقرة: ٦٥] قيل فقدهم الناس، فنظروا في بيوتهم فإذا هم مسخ يتعاوون، فلبثوا على ذلك قيل ثلاثة ايام ثم اهلكهم الله جزاء صنيعهم،** (الكامل ج١ص٤) **بتصرف قليل.**

قصة تجديد بناء بيت المقدس

قيل: أصاب النّاس في زمن داود عليه السلام **طاعون جارف، فخرج بهم إلى موضع بيت المقدس وكان المسجد متهدما، فكان يرى الملائكة تعرج منه إلى السماء فلهذا قصده ليدعو فيه فلمّا وقف موضع الصخرة دعا الله تعالى في كشف الطاعون عنهم فاستجاب له ورفع الطاعون، فامر ببناء المسجد وتجديده، وتوفي قبل أن يتم البناء فأوصى إلى سليمان بإتمامه، فلّما توفي داود ودفنه سليمان تقدّم بإنفاذ أمره، وقيل: إنّ سليمان هو الذي ابتدأ بعمارته، وكان ابتداؤه أوّلاً ببناء المدينة فلمّا فرغ منها ابتدأ بعمارة المسجد**



فأتم بناءه بالرخام وزخرفه بالذهب ورصعه بالجواهر، وقوي على ذلك بالجنّ والشياطين، فلمّا فرغ اتخذ ذلك اليوم عيدًا عظيمًا وقرّب قربانًا فتقبّله الله منه) (البداية والنهاية ج١ ص١٨) و(الكامل ج١ ص٤)).

قصة بلقيس ملكة سبأ

كان نبي الله سليمان عليه السلام يجلس لبني اسرائيل كل يوم يقضي بينهم، ويرعى مصالحهم على عادة الملوك في زمانه، وكان يحضر مجلسه وزراءه وخاصته ومستشاروه، ومنهم الانس والجن والحيوانات، ومن كل صنف من الحيوان كبير لهم يرفع اليه امرهم. وكان يتفقدهم في مجلسه ليطلع منهم على احوال رعيته. وتفقد يوما مستشاروه من الطير فلم يجد الهدهد بينهم فقال: ﴿مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠] يعني أهو حاضر ولا اراه، ام هو غائب عن مجلسي، فان كان غائبا ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ [النمل: ٢١] قال ان لم يكن له عذر بين على غيابه فعقابه العذاب الشديد (قيل وكان عذاب الطير نتف ريشها) أو الذبح، وقيل سبب اهتمامه بالهدهد ذلك اليوم، انه كان في مسير مع جيوشه، وكانوا في صحراء وفقدوا الماء، وكان الهدهد ينظر لهم اين الماء تحت الارض فتستخرجه الجن لهم، وذلك بقدرة الله سبحانه، فقد اعطي الهدهد قدرة على استشعار مكان الماء تحت الارض، وقيل غير ذلك والله اعلم.

لم يمض إلا قصير وقت حتى حضر الهدهد، فقال سليمان: اين كنت وفيم غيابك، فقال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢] قال وقعت على علم لا تعلمه عن مملكة يقال لها سبأ، وجئتك منها بخبر صادق بين. (وقد اختلف المفسرون في سبأ، اهي رجل ام امرأة ام بلد، والأرجح ما قلت والله اعلم). قال الهدهد: وجدت هؤلاء القوم تحكمهم امرأة لها عرش عظيم بهي فاخر، مرصع بالجواهر والنفائس، وقد اوتيت من كل شيء يؤتاه الملوك العظام، من الفخامة والمنعة، من المال والجيوش والعبيد، ولكنهم مع كل ما اعطاهم الله سبحانه، كفرة يسجدون للشمس من دون الله الذي لا اله إلا هو، وقد زين لهم الشيطان اعمالهم فاستحسنوها وواظبوا عليها، فهم بعيدون عن الهداية والصلاح. قال سليمان: خذ هذا الكتاب اليهم واتني بجوابهم، لنرى اصدقت ام كذبت فيما تقول.

أخذ الهدهد الكتاب وطار به إلى سبأ، ودخل على الملكة في قصرها فالقاه

في حجرها، ثم وقف على شرفة ينظر ما يكون جوابها. فلما قرأته جمعت وزراءها ومستشاريها وقرئته عليهم، وفيه دعوتهم إلى طاعة الله ورسوله، والخضوع لملكه وسلطانه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٠-٣١]. اي مسلمين لله بالتوحيد وبالعبادة، ثم لي بالطاعة والخضوع. ثم سألتهم المشورة وقالت: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾[النمل: ٣٢]. تعني: ما كنت لأبت أمراً إلا بمشورتكم. فقالوا: تعلمين ما لنا من القوة والبأس في القتال والحرب، فإن أردت ذلك كان، وان رأيت غيره، فلك السمع والطاعة على كل حال، فلما سمعت قولهم وكانت فطنة سديدة الرأي قالت: ان الحرب فيها نصر وفيها هزيمة، والملوك اذا انتصروا خربوا البلاد وقتلوا الاكابر وأذلوا العباد، وأرى ان ارسل لهم هدية، فإن قبلها ملكهم فهو من ملوك الدنيا فنحن أعزّ منه وأقوى، فان اراد حربا حاربناه، وان اراد سلما سالمناه، وإن لم يقبلها فهو نبيّ من الله. فنرى ما يكون منه.

لما وصل رسلها إلى سليمان عليه السلام ومعهم هديتها اليه، من افخر ما في مملكتها من التحف والجواهر والملابس والأموال، وضعوها بين يديه فقال لكبيرهم: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٦-٣٧]. قال: ان هديتكم هذه لا تساوي شيئا مما اعطاني الله سبحانه، وإنما انتم تفرحون بما يأتيكم من الهدايا لأنكم اهل دنيا. ثم قال: ارجع بهديتك إلى قومك وقل لهم: ان لم يأتوني مسلمين لله، طائعين لي، فسآتيهم بجنود لا قدرة لهم على مواجهتها وحربها، وسأخرجهم من بلادهم اذلة مقهورين.

رجع الرسل إليها برد سليمان، وبينوا لها ما هو فيه من الابهة والعز والمنعة والأنفة، فرات ان تسير اليه وأخذت معها كبار قومها من الوزراء والمستشارين وقادة الجيوش. فلما سمع بقرب وصولها اليه قال لمن حضره من اكابر دولته: ﴿أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨] قال من

يأتيني بسرير الملك الذي تجلس عليه للحكم قبل ان تصلني، قال عفريت من الجن: انا آتيك به قبل ان ينفض مجلسك وأنا امين قادر على ذلك فقال: وأسرع من ذلك، فقال رجل عنده علم (قيل هو اسم الله الاعظم سبحانه) قال: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ [النمل: ٤٠] اي قبل ان تطرف عينك وجاء به، فلما رآه قد صار عنده قال: ﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُ﴾ [النمل: ٤٠]، اي هذا من فضل الله علي ومن كرمه يبتليني أأشكر نعمته ام اكفر بها، ثم حمد الله واثنى عليه بما هو اهله وقال للجن: ﴿نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا﴾ [النمل: ٤١] اي غيروا بعض هيئته وصفته، لنرى مبلغ فطنتها ورجاحة عقلها. ثم امرهم ان يبنوا له مجلسا يكون اكثر ابهارا من عرشها العظيم، لتدخل عليه فيه، فبنوا له ما امر به، وجعلوا بين مدخله وبين مجلسه الذي يجلس فيه ممرا من قوارير من زجاج ذات الوان، وجعلوا فيها تماثيل حيوانات البحار والأنهار، ومن فوقها الواح الزجاج، فلا يرى الناظر اليه إلا انه نهر جار بين المدخل والمجلس.

لما وصلت بلقيس أروها عرشها وقالوا: ﴿أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِ﴾ [النمل: ٤٢] فلما رأته لم تجزم بأنه عرشها فقد خلفته وراءها في مملكتها، بما عنده من الجند والحرس، ولكن هذا العرش اشبه ما يكون به فقالت: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ [النمل: ٤٢]، ثم قالوا لها: ادخلي إلى سليمان، وكان جالسا على كرسيه، فلما رأت ان لا طريق لها إلا ذلك الممر ﴿حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَا﴾ [النمل: ٤٤] ظنت ان الممر جدول ماء بينها وبين سليمان، فشمرت عن ساقيها كي تدخل ولا تبتل ثيابها، فقال لها ﴿إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَ﴾[النمل: ٤٤] اي: ليس ما ترين ماء، ولكنه ممر من قوارير من زجاج. فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤] اي قد ظلمت نفسي بما انا عليه من عبادة الشمس والكفر بالله، والان اسلم لله رب العالمين وحده، كما سليمان مؤمن به. قيل تزوجها سليمان لما اسلمت، وماتت قبله ودفنها في

تدمر، وقيل رد اليها مملكتها باليمن وزوجها رجلا من قومها، فبقيت فيها حتى انقضى حكمها مع انقضاء حكم سليمان والله اعلم. (بتصرف واختصار من (الكامل ج١ص٤) و(البداية والنهايةج١ص١٨)).

قصة وفاة سليمان عليه السلام

قيل كان عليه السلام يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين، والشهر والشهرين، وأقل من ذلك وأكثر، يدخل طعامه وشرابه بما يكفيه مدة مكوثه، فأدخله في المرة التي توفي فيها، فقام يصلي متكئا على عصاه، فمات ولم تعلم به الشياطين وهم في ذلك يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم. وعن ابن مسعود فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولا كاملا فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبون ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة .

وقيل بل سال ملك الموت قال: إذا أمرت بي فأعلمني فأتاه فقال: يا سليمان قد أمرت بك قد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فدخله والجن والشياطين يعملون بين يديه، فقام يصلي فاتكأ على عصاه قال: فدخل عليه ملك الموت فقبض متكئا على عصاه، ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت. ولكن ليعلم الخلق ان لا احد يعلم الغيب إلا الله سبحانه. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ **[سبأ: ١٤] فلما قبض عليه السلام بقي على حاله قائما متكئ على عصاه، والجن تعمل بجد من هيبته لا تعلم بموته، واستمر على ذلك حتى اكلت الارضة عصاه فانكسرت فوقع، فعلمت الجن انه مات، فحسبوا ما يلزم الارضة حتى تأكل العصا فوجدوه سنة، فعلموا انه مات قبل ذلك وهم لا يعلمون. (البداية والنهاية ج٢ ص١٩).**

قصة زكريا عليه السلام

قيل هو من نسل سليمان بن داود عليهما السلام، وكان زوج اخت مريم

عليها السلام، قيل اسمها اشياع بنت عمران وقيل ايشاع، وكانت مريم بنت عمران في كفالته ليتمها، وكان بنى لها غرفة فوق المسجد، لان امها نذرتها للعبادة، فكان اذا دخل عليها وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، ولم يكن يدخل عليها احد غيره، فقال من اين لك هذا، قالت هو من عند الله. وقد كبر زكريا وشاخ ولم يكن له ولد، فلما رأى ذلك طمع بالولد، فسال الله ان يهبه ولدا صالحا يرثه في ولآية أمر بني اسرائيل، حتى يحفظ فيهم شرع الله فلا يغيروه، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨] وقال: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٦] فنادته الملائكة وهو في محرابه يصلي ويبتهل، وبشرته بان الله قد استجاب دعاءه، ورزقه ولدا سيكون نبيا يسميه يحيى فقال: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: ٤٠]، تعجب ان يرزق بولد وهو شيخ كبير وامرأته عاقر، فقال له جل من قائل: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٩] فسال الله علامة على ذلك، فأوحى الله اليه ان آية ذلك، ان يعجم لسانه ثلاثة ايام بلياليها، لا يستطيع فيها الكلام إلا كالأبكم بالإشارة، وأمره ان يكثر من ذكر الله وتسبيحه وحمده صباحا ومساء، وان يوحي لقومه بذلك قال تعالى: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [آل عمران: ٤١].

وقيل كان عليه السلام من سدنة المسجد الاقصى ببيت المقدس، يحفظ لبني اسرائيل كتابهم التوراة ويقيم فيهم شرع الله. فلما كبرت مريم وحملت بأمر الله من غير زوج، ووضعت عيسى عليه السلام، ورأوا منه الآيات وهو في المهد، ولما رأوا الله قد رزقه يحيى عليه السلام، وقد شاخ وهرم وامرأته عقيم اذ لم تلد في صباها، حسدوه وقيل اتهموه بمريم، حتى اخرس الله السنتهم لما تكلم عيسى في المهد، ولكنهم استمروا على حقدهم وحسدهم، فلما قتل يحيى عليه السلام ـ كما سنبين عند الحديث عنه ـ خشي زكريا على نفسه القتل، وكان اليهود قد

هيجوا الملك عليه، فبعث في طلبه فهرب قيل فدخل بستانًا، فمر بشجرة عظيمة فنادته فلمّا أتاها انشقّت، فدخلها فانطبقت عليه فأخذ إبليس طرف ردائه فأخرجه من الشجرة، ثمّ دل عليه واراهم طرف ثوبه فصدقوه، فأخذوا الفؤوس وقطعوا الشجرة ثم شقّوها بالمنشار وهو في وسطها فقطعوه نصفين. والله اعلم، ((المنتظم ج٢ص١٤) (الكامل ج١ص٥) (البداية والنهايةج٢ص١٩) بتصرف).

قصة يحيى عليه السلام

بشر الله به نبيه زكريا عليه السلام، حين سال الله ان يرزقه بولد، وكان شاخ ولم يرزق الولد لعقم امراته، فاستجاب الله دعاءه قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩] يبشرك الله بولد تسميه يحيى، يصدق بكلمة الله، اي بعيسى، ويكون على ما هو عليه من السنة والمنهاج، وهو توحيد الله والدعوة اليه، فكلاهما نبي مرسل، وهو سيد في عبادته وعلمه وتقواه، وحصورا لا رغبة له في النساء. نبئ علية السلام صغيرا وأمر بالاجتهاد في الدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ [مريم: ١٢]. كان مجتهدا في العبادة والدعوة، زاهدا في الدنيا لم يكن له بيت، فكان ينام حيث ادركه المبيت، ولا مال فكان يأكل من ورق الشجر وخبز الشعير، كثير البكاء من خشية الله، له خطان اسودان في خديه من كثرة البكاء. بارا بوالديه رحيما، متذللا لله قال تعالى: ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا﴾ [مريم: ١٤]، اسبغ الله عليه الامان في احوج ايامه اليه قال تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم: ١٥]، قلت وتلك الايام الثلاثة اشق ما تكون على ابن ادم، وأحوج ما يكون فيها الانسان للامان، فهو ينتقل من عالم إلى عالم، ومن خلق إلى خلق. يولد ابن ادم فيأتي إلى حياة الدنيا لا يعلم اشقي فيها هو ام سعيد، ثم يموت فيقبر فلا يعلم اقبره عليه حفرة من جهنم ام روضة من الجنة، ثم يبعث لا يدري اهو إلى جنة صائر ام إلى نار مخلدا.



قيل اراد ملك اليهود ان يتزوج من احدى محارمه (قيل ابنة اخيه، وقيل بل اراد ان يرد احدى زوجاته قبل ان تتزوج غيره، وكان طلقها ثلاثا)، فنهاه عليه السلام عن ذلك، ولم يسمع الملك لقوله وتزوجها، ولما علمت بما قال عليه السلام للملك، وبأنه لم يحلها له، وانه امره ان لا يتزوجها، وكان الملك يقضي لها في كل يوم حاجة تسأله اياها، فسألته ان يقتله، فقتله ـ لعنه الله ـ وجيء برأسه اليه بطست والرأس تقول، لا تحل لك، لا تحل لك حتى تنكح زوجا غيرك، فسقط شيء من دمه عليه السلام على الارض، فصار يغلي وبقي مكانه لم يستطيعوا ازالته فتركوه على حاله، وأذل الله بني اسرائيل فسلط عليهم بختنصر، فلما قدم دمشق فإذا هو بدم يحيى بن زكريا يغلي، فسأل عنه فأخبروه فلما عرف خبره، ذبح عليه خلقا عظيما منهم حتى سكن، هكذا روي بإسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب وهو يقتضي أنه قتل بدمشق وإن قصة بخت نصر كانت بعد المسيح، كما قاله عطاء والحسن البصري. وقيل غير ذلك والله اعلم. بتصرف. (البداية والنهاية ج٢ ص٢٠) (المنتظم ج٢ ص١٤)**. وفي روايات اخرى فان السبي كان قبل ذلك بأزمان، (فقد بدا مع بداية حكم نبوخذنصر سنة ٦٠٦ ق٠م، وهو السبي الاول، تبعه الثاني والثالث والرابع، على مدى ربع قرن كان اخره عام ٥٨١ ق٠م.** (العهد القديم، سفر ارميا، اصحاح ٥١، الاعداد ٤، ١٥، ٢٩، ٣٠)**. والله اعلم بما كان.**

قصة مريم عليها السلام

اصطفى الله سبحانه من خلقه ما شاء وهو اعلم بهم، فكان ممن اصطفى ال عمران قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣]، وقد وردت قصة مريم مفصلة في سورتي ال عمران ومريم، كما سنبين ان شاء الله.

مولدها وحياتها

قيل ان امرأة عمران، وهو من بني اسرائيل من ذرية سليمان بن داود عليهما السلام، جلست يوما إلى ظل شجرة، فرات طائرا يزق فرخا له، وكانت قد تخطت مرحلة الانجاب لكبر سنها، فاشتهت الولد فدعت الله ان يرزقها ولدا، وكانت من العابدات فاستجاب لها، فلما احست بحملها شكرت الله على اكرامها بالولد، في مثل سنها فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ﴾ [آل عمران: ٣٥]، نذرت ما في بطنها الذي رزقها الله به لله محررا اي خالصا للعبادة، وسالت الله ان يقبل نذرها. وكان بعض الصالحين من بني اسرائيل في ذلك الزمان، ينذرون بعض اولادهم لخدمة بيت الله، فإذا بلغوا الحلم فإن كن إناثا اخرجوهن، وان كانوا غلمانا خيروهم بين البقاء في الخدمة او تركها.

لما اكتمل حملها وضعتها انثى فقالت رب انها انثى، والله سبحانه اعلم بما وضعت، ثم قالت: ﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ﴾ [آل عمران: ٣٦]، كانت ترجو ان يكون ذكرا ليكون في خدمة البيت، لان الاناث لا يصلحن لذلك، لما يعتريهن من المحيض. ثم سمتها مريم (قيل معناه العابدة) وأعاذتها وذريتها بالله من الشيطان، وسالت الله القبول ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ﴾ [آل عمران: ٣٧]،

فلما فطمتها حملتها إلى المعبد وسلمتها للسدنة، وكان عمران ابوها قد توفي، فتنازع الاحبار في كفالتها، ثم اتفقوا على ان يقترعوا على ذلك، فمن وقعت القرعة عليه كفلها، فوقعت القرعة على نبي الله زكريا عليه السلام، فكانت في كفالته.

وذلك قول الله سبحانه: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧].

كفل زكريا عليه السلام مريم، فبنى لها غرفة فوق المسجد لا يدخل عليها غيره، وكلما دخل ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]، (قيل فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف)، وذلك من كرامتها عند الله ومن حسن قبوله لها، فيسألها عنه فتقول: ﴿هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]، معترفة بفضل الله عليها سبحانه، فأوحى سبحانه اليها انه اصطفاها على نساء العالمين، وطهرها من الدنس ـ لصلاحها ولأمر يريده سبحانه ـ وأمرها ان تخلص العبادة له، وان تواضب على الصلاة فتكثر الركوع والسجود قال تعالى: ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٢ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢-٤٣] وقيل في معنى القنوت، اطالة القيام في الصلاة، وقيل الاخلاص والطاعة، (التفاسير)، فكانت عليها السلام صديقة كما قال تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞ﴾ [المائدة: ٧٥] (الكامل ج١ ص٥) (المنتظم ج٢ ص١٥) (البداية والنهاية ج٢ ص٢٠).

حمل مريم بعيسى عليهما السلام

لما شبت مريم وبلغت مبلغ النساء، قيل خرجت يوما إلى بعض حاجتها، فلما صارت في خلوة ارسل الله لها الملك، فلما رأته معها في الخلوة حسبته بشرا فقالت: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾[مريم: ١٨]، خشيت على نفسها منه واستجارت بالله، وسألته ان يتق الله فيها ولا يفضحها ان كان به

تقوى وخشية لله، فقال لست بشرا ولكني ملك ارسلني الله اليك ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ **[مريم: ١٩] هو كلمة الله اليك طاهرا تسمينه عيسى، فعجبت من ذلك وقالت:** ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ **[مريم: ٢٠] اي كيف يكون لي ولد وليس لي زوج، ولست مملوكة فأقول من سيدي، ولست ممن يأتين الفاحشة والعياذ بالله فقال:** ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ **[مريم: ٢١] قال هذا أمر الله وهو عليه سبحانه هين، وكذلك ليكون للناس آية وبيانا على كمال قدرة الله، فكما خلق سبحانه آدم من غير اب ولا ام، وكما خلق حواء من اب من غير ام، فهذا عيسى من ام من غير اب. وقد جعله سبحانه رحمة لبني اسرائيل، يجدد لهم التوراة التي نسوها وحرفوها، وذلك أمر قد قضاه الله فلا مرد له قال تعالى:** ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ **[مريم: ٢١].**

لما رأت مريم ذلك استكانت وفوضت امرها إلى الله، قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ **[التحريم: ١٢] اي نفخ الله في رحمها كلمته وهو عيسى عليه السلام، وقد اختلف المفسرون في كيفية النفخ، فمنهم من قال ان جبريل عليه السلام نفخ في فمها، ومنهم من قال نفخ في جيب درعها، وآيا ما كانت طريقة النفخ فالمقصود حاصل بإذن الله على كل حال، وهو حملها عليها السلام.**

مولد عيسى عليه السلام

لما حملت مريم، قيل تسعة أشهر بمدة حمل النساء، وقيل ثمانية أشهر وقيل ستة أشهر، وقيل بل ساعات او ساعة، (وذلك قول ابن عباس) وهو ما ارجحه! لأنه اقرب إلى سياق الآيات والله اعلم، قال تعالى: ﴿ فَحَمَلَتْهُ

﴿ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴾ [مريم: ٢٢] فالتعقيب بالفاء ﴿ ۞ فَحَمَلَتۡهُ ﴾ [مريم: ٢٢] يوحي بحصول ذلك متتابعا في وقت واحد والله اعلم. فلما شعرت بالحمل خرجت هاربة إلى مكان بعيد من الناس، حتى لا يروها، ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴾ [مريم: ٢٣] فالج ألم المخاض إلى نخلة وصلت اليها، فجلست عند جذعها وقالت: يا ليتني مت قبل يومي هذا، ولا أرى الذي يحصل لي، او كنت منسية لا يعرفني احد فافتضح. وقيل قالت يا ليتني لم اخلق، والله اعلم بمقصودها.

فلما وضعته ناداها ﴿ مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴾ [مريم: ٢٤-٢٦]، قيل الذي قال ذلك الملك وقيل قاله عيسى وهو الارجح والأشهر عند السلف، لأنه انسب للسياق (قلت لما جاءت قومها تحمله استكبروا ذلك واستعظموه وقالوا:

﴿ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ ﴾، فهم يعلمون انها من بيت؛ أهل صلاح وتقوى لذلك قالوا: ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾ [مريم: ٢٨] ويرجح كون المتكلم عيسى قول الله سبحانه: ﴿ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴾ [مريم: ٢٩] فلم تكن لتشير اليه لولا تيقنها من انه يتكلم) والله اعلم، قال: لا تحزني يا اماه، وهزي جذع النخلة يتساقط عليك منها رطب طازج، فكلي منه واشربي من هذا السري (وهو جدول الماء الصغير) ولتقر عينك ولتفرحي بما انعم الله عليك، فإذا سالك الناس عن امرك، فقولي انا صائمة عن كلام البشر، وأشيري الي أكفيك وأجيب عنك. (التفاسير).

اطمأنت نفس مريم فحملت ولدها وعادت به إلى قومها، فلما رأوها

عجبوا واستنكروا حملها الوليد، فاجتمعوا عليها وقالوا: ما هذا الامر المنكر العظيم الذي فعلتيه يا مريم، وأنت من عائلة كريمة عابدة، فأبوك كان صالحا ذا دين (قيل كان من السدنة)، وأمك طاهرة لم نعلم عليها فحشا، وأخوك هرون من العابدين الصالحين. وأرادوا البطش بها (قيل اخذوا الحجارة ليرجموها)، فقالت اني صائمة وأشارت إلى ولدها فقالوا تهزئين بنا يا مريم: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ **[مريم: ٢٩] اي كيف يتكلم صغير في المهد فقال:** ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾**[مريم: ٣٠] بدأ كلامه بإقرار عبوديته لله، وذلك لسابق علم الله بما سيكون من فتنة به بعد موته، مؤكدا لهم انه نبي بعثه الله اليهم بكتابهم، وهو التوراة، قائما بما فيه، مجددا له وناسخا بعض احكامه في كتاب هو الإنجيل، داعيا إلى الله، مقيما للصلاة والزكاة (زكاة النفس والمال) برا بوالدته (اشارة إلى براءتها مما اتهموها به من الفاحشة). مباركا من الله في كل احواله قال:** ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾**[مريم: ٣٣] فلما سمعوا ذلك منه أخذهم العجب فتركوها، وقيل اغروا الملك بقتلهما فهربت به إلى مصر والله اعلم.** (الكامل ج١ص٥) (البداية والنهآيةج٢ص٢٠) (المنتظم ج٢ص١٥) **بتصرف واختصار.**

تنويه حول مولد عيسى

يقول النصارى ان المسيح عليه السلام **ولد في الشتاء، ويقيمون الاحتفالات بمولده في بداية كل عام، فينبري عدد من المسلمين للرد على ذلك، معتقدين وجازمين انه ولد في الصيف، وحقيقة الامر ـ فيما أرى على الاقل ـ ان التقويم الشمسي (الزوالي) الذي نعتمده الآن تعرض لكثير من التعديلات عبر القرون الماضية، وعليه فهو ليس دقيقا في التعبير عن الزمن الحقيقي لحوادث التاريخ، وعليه فان ميلاد المسيح لا يمكن الجزم بأنه حدث صيفا او شتاء، ويبقي ذلك مجرد اجتهاد وتخرصات، اما قوله تعالى:** ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ **[مريم: ٢٥]، فتلك معجزة تدل على عظمة الله سبحانه ومطلق قدرته، فان كان الحدث شتاء، فتلك معجزة لوجود الرطب**

في غير اوانه، وان كان صيفا فتلك ايضا معجزة، لتمكين الله سبحانه امرأة نفساء ضعيفة من هز شجرة باسقة لتلقي اليها ببعض ثمرها، فسبحان الله على كل حال ذو الجلال والكمال. اما موضوع المسيح ﷺ، فليس المهم ان نعرف متى ولد، بل الاهم انه ادى رسالة ربه، ونصح الامة في زمنه، واخلص الدعوة إلى الله، وان فسدت الامة بعده وضلت، فهو ﷺ بريء مما حدث بعده، عليه وعلى رسولنا أفضل صلاة وأتم تسليم.

قصة عيسى ﷺ

هو عيسى بن مريم عليهما السلام، نسب إلى امه لأنها وضعته من غير اب، بقدرة الله سبحانه، فاكتملت به حجة الله على المستكبرين الكفرة من خلقة، فبين سبحانه القدرة المطلقة على الخلق والإبداع والإنشاء من جميع وجوهه، فخلق ادم من غير ذكر ولا انثى، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ **[آل عمران: ٥٩] وخلق حواء من ذكر بلا انثى، ثم زوجهما فخلق منهما بقية خلقه قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ **[النساء: ١]، وخلق عيسى من انثى بلا ذكر قال تعالى:** ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ **[آل عمران: ٤٧]، وما بين الكاف والنون ابدع جميع الخلائق من عدم قال تعالى:** ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ **[البقرة: ١١٧]، فسبحان من له الكمال في كل شانه جلت قدرته. قال الله سبحانه في عيسى ﷺ وفي امه رضي الله عنها:** ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ **[المؤمنون: ٥٠] فأمه آية في حملها من غير زوج،** ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ **[آل عمران: ٤٧] وهو آية في كلامه في المهد، قال تعالى:** ﴿وَيُكَلِّمُ

﴿ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٦] وفيما أرى ان قول الله سبحانه ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا﴾ [آل عمران: ٤٦] يدل على ان في كلامه ايتان، الاولى كلامه في المهد، وتلك آية لقومه وتبرئة لامه. ولو تدبرنا قول الله سبحانه ﴿وَكَهۡلٗا﴾ [آل عمران: ٤٦]، لوجدنا ان في ذلك اشارة إلى آية ثانية! يمكن ان نفسرها من جهة إلى انه سيعيش حتى سن الكهولة داعيا إلى الله، نبيا صالحا. ومن جهة اخرى، انه سيكلم الناس اول كلام له في سن الكهولة، دون المرور بمراحل النمو الطبيعي، اي دون ان يولد ليكبر ويتكلم، بل سيوجد كبيرا ناميا يتكلم كهلا، وفي ذلك اشارة إلى نزوله في اخر الزمان كما صرحت بذلك السنة المطهرة فيما ثبت عن رسول الله ﷺ. وقد قال بذلك بعض السلف رحمهم الله. والله سبحانه اعلم بمراده.

وكان اليهود في زمان عيسى عليه السلام، قد بدلوا في التوراة وحرفوها بما يناسب اهواءهم، بل نسوها وكفروا بأكثرها، وقتلوا من انبياءهم من دعاهم للهداية والصلاح، فلما كان حمل مريم عليها السلام، وولادتها في بيت لحم رموها بالفاحشة فاخرس الله السنتهم بكلامه في المهد، حين اظهر براءتها وأعلن انه نبي مرسل، فحقدوا عليهما وأغروا ملكهم بقتلهما، فهربت به امه إلى حيث اوحى الله لها قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ﴾ [المؤمنون: ٥٠] وقد اختلف المفسرون في تلك الربوة، فمنهم من قال هي بلدة الرملة، ومنهم من قال هي دمشق من ارض الشام، ومنهم من قال هي ارض مصر، والله اعلم.

قيل لما مات الملك عادت به امه إلى فلسطين، فاستقرا في بلدة الناصرة فكانت مقر امه ومحل سكنها، اما هو عليه السلام فلم يتخذ بيتا يسكن فيه، فكان يتنقل في فلسطين وبلاد الشام، يدعو إلى الله ويعظ وينشر تعاليمه في حواضرها وقراها، وكان حيثما ادركه المبيت بات. وكان عليه السلام زاهدا شديد الزهد، داعيا قويا في الدعوة، لم يترك ساعة من النهار او الليل إلا استغلها في الدعوة والوعظ، واشغلها بالعبادة والصلاة، وكان لا يلبس من الثياب إلا الخشن، ولا يأكل من الطعام إلا ما يقيم اوده، مما يجد من بقل الارض ونباتها، وكان يجالس الضعفاء والمساكين ويعطف عليهم ويكون في خدمتهم، قال تعالى في

أمر نبوته: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٦]، وكان اول كلامه وهو في المهد حين قدمت به امه على قومها، فرموها بالفاحشة وأرادوا رجمها فأشارت اليه فقال: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾ [مريم: ٣٠] بدأ كلامه بإقرار عبوديته لله، وأعلن نبوته وبرأ امه، ثم سكت عن الكلام، قال ابن عباس: (حتى بلغ مبلغ كلام مثله من الصبيان). اما كلامه في الكهولة، فذلك حين انزل الله عليه الإنجيل وفيه نسخ بعض احكام التوراة، وحين امره الله ان يعلن ذلك ويدعو اليه، قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٨]، فاشتد في الدعوة واجتهد، ولقي من قومه من الاذى والتكذيب ما لقي، فكان صابرا لا يرده عن القيام بأمر الله شيء، فكان من اولي العزم الخمسة عليه وعلى رسل الله جميعا افضل الصلاة وأتم التسليم. وقيل اما كلامه كهلا فحين ينزله الله في اخر الزمان على دين محمد عليهما الصلاة والسلام وذلك في رأيي انسب، فتلك آية اخرى والله اعلم.

كان الطب في زمانه من اقوى العلوم وأكثرها انتشارا، فأرسله الله إلى بني اسرائيل، وأيده بآيات تفوق ما برع فيه اهل زمانه، قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩] فكان من ايات نبوته عليه السلام قدرته بإذن الله على ان يشكل من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيصير طيرا بإذن الله، ومنها ابراء الاكمه (وهو المولود اعمى لا يبصر) والأبرص (والبرص مرض يصيب جلد الانسان فيذهب لونه وتظهر عليه بقع بيض لها قشور)، كذلك احياء الموتى ومعرفة ما يدخرون ويخبئون في بيوتهم من أموال وأطعمة، كل ذلك بقدرة الله

سبحانه. وقد افاض المفسرون في تفصيل تلك الآيات وروا قصصا كثيرة، رأيت عدم ذكرها لما فيها من الاسرائيليات، اذ لم يثبت عن رسول الله فيها شيء يدل عليها والله اعلم. (التفاسير).

قصة المائدة

لما فشا أمر رسول الله وظهرت اياته الباهرة، امن به خلق كثير ولكن المكذبين كانوا اكثر، قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ **[الصف: ١٤]، وكان ممن امن به جملة من المقربين منه، كانوا منه بمثابة السادة من صحابة رسولنا، على الرسولين افضل الصلاة واتم التسليم، ورضوان الله ومغفرته على الصحابة والحواريين. قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ **[الصف: ١٤]، وقد وقع اختلاف في عددهم، قيل كانوا اثنا عشر رجلا، وقيل سبعة عشر رجلا، وقيل غير ذلك، وهم الذين قالوا:** ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ **[المائدة: ١١٢] سألوه ان يسال ربه هل يستطيع انزال مائدة من السماء، وهم ينظرون فيأكلوا منها فخشي عليهم عاقبة ذلك، فان الله سبحانه اذا انزل آية فكذب بها، فان عذابه شديد سبحانه، فقد سالت ثمود قبلهم آية فبعث اليهم الناقة، فقتلوها فانزل بهم غضبه وأهلكهم. فقال لهم:** ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ **[المائدة: ١١٢]، اي لا تسالوا ذلك ويكفيكم ايمانكم وحذرهم العاقبة ولكنهم اصروا وقالوا:** ﴿نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ **[المائدة: ١١٣] فدعا الله ان ينزلها عليهم، فانزلها سبحانه واشترط عليهم فقال:** ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ **[المائدة: ١١٥] حذرهم ان من كفر بعد نزولها فله اشد العذاب. قيل اكلوا منها واكل خلق لا يحصون قال**

تعالى: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ [المائدة: ١١٤] ورفعت ما نقص منها شيء، والله اعلم.

وفاته ورفعه عليه السلام

لما رأى عليه السلام تكذيب اليهود له، ورأى كيدهم له عند الولاة وسعيهم لقتله قال: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] فقال الحواريون: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ٥٢] قيل اوصاهم عليه السلام واخبرهم بقرب وفاته، وأمرهم ان يقوموا بعده بالرسالة والدعوة والمحافظة على الشريعة. فلما كانت الليلة التي ارادوا فيها قتله، القى الله شبهه على رجل، فأخذوه فصلبوه وقتلوه وهم يظنون انه عيسى، قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [النساء: ١٥٧]، (وقد اوردت كتب التفسير والتاريخ روايات كثيرة تتحدث عن الشبه والصلب والقتل، وكلها فيما رأيت لا تأتي بثابت مقبول يعتمد عليه، لخصتها في اربعة اقوال، منها قولان مختلفان في روايتين عن وهب بن منبه، وقول ثالث عن جماعة من التابعين بروايات مختلفة فيها تقارب، وقول رابع عن نصراني اسلم وهو غير معروف، والذي اراه ان نأخذ في ذلك بظاهر الآية الكريمة، وذلك انه شبه لهم أنهم صلبوه وقتلوه، وما ذلك إلا ظنا منهم، اما اليقين فانه لم يصلب ولم يقتل)، قال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨]. (المنتظم ج٢ص١٥) (الكامل ج١ص٥) (البداية والنهاية ج٢ص٢١) (التفاسير).

واليقين الثابت من دراسة الآيات التي تتحدث عن وفاته عليه السلام ان الله سبحانه قد توفاه ورفعه اليه بالكيفية التي قدرها سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَا

قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧] فهو على الحقيقة وبنص الآية الكريمة لم يقتل ولم يصلب، وإنما شبه لهم انهم صلبوه وقتلوه، وما ذلك إلا لأنهم صلبوا غيره وقتلوه وهم يظنون انهم قتلوه، اي ان صلبه وقتله كان ظنا منهم واشتباها، ولكن الحقيقة هي ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] بل انه عليه السلام قد مات موتا طبيعيا كما مات غيره من الانبياء، وكما يموت عامة البشر أو انه القي عليه النوم ثم رفعه الله والله اعلم، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] فالله سبحانه قد توفاه ثم رفعه، وليس لنا ان نسأل كيف وبأي صورة كان ذلك، فالقران الكريم لم يشرح لنا ذلك، ولم يصلنا قول ثابت عن رسول الله في ذلك فنأخذ به، ومن الحكمة وصدق الايمان ان نسكت عند ذلك، فليس في معرفة التفصيل ما يفيد. كما انه عليه السلام قد اقر بذلك فلما قال له سبحانه: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] اجاب عليه السلام: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧] ثم اتم كلامه قال: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧] اي اني يا رب شاهد عليهم لما كنت حيا بينهم، فلما توفيتني سبحانك، فأنت الشاهد على ما بدلوا بعدي، وأنا بريء مما قالوا. والشاهد انه عليه السلام قد اقر بأنه قد توفاه الله، اي انه لم يصلب ولم يقتل، بل توفي على الكيفية التي لا يعلمها إلا الله عز وجل.

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤] قال أبو جعفر: (ومكر الذين كفروا من بني إسرائيل، وهم الذين ذكر الله أنّ عيسى أحسّ منهم الكفر. (كما في الآية ٥٢) وكان مكرهم هو كيدهم له عند الوالي الروماني، ثم تواطئهم على الفتك به وقَتْله، وأما مكر الله بهم: فإنه - فيما ذكر السدي - إلقاؤه شبَه عيسى على بعض أتباعه حتى قتله الماكرون بعيسى، وهم يحسبونه عيسى، وقد رفع الله عز وجل عيسى

قبل ذلك، ويروي الطبري بسنده عن السدي: ثم إن بني إسرائيل حَصروا عيسى وتسعةَ عشر رجلا من الحواريِّين في بيت، فقال عيسى لأصحابه: من يأخذ صورتي فيقتل وله الجنة؟ فأخذها رجل منهم، وصُعِد بعيسى إلى السماء، فذلك قوله: «ومكرُوا ومكر الله والله خير الماكرين". فلما خرج الحواريون أبصرُوهم تسعةَ عشر، فأخبروهم أن عيسى قد صُعد به إلى السماء، فجعلوا يعدّون القوم فيجدُونهم ينقصون رجلا من العِدّة، ويرون صورةَ عيسى فيهم، فشكُّوا فيه. وعلى ذلك قتلوا الرجل وهم يُرَوْن أنه عيسى وصَلبوه، فذلك قول الله عز وجل: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧] وقال سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٥] (تفسير الطبري).

لطيفة حول الموت والوفاة

(الموت ضد الحياة وقيل: الموت في كلام العرب يُطْلَقُ على السُّكون؛ يقال: ماتت الريحُ أي سَكَنَتْ. وكلُّ ما سَكنَ، فقد ماتَ، وهو على المَثَل. وماتَتِ النارُ مَوتاً: بَرَدَ رَمادُها، فلم يَبْقَ من الجمر شيء. وفي حديث دُعاء الانتباهِ: (الحمدُ لله الذي أحيانا بعدما أماتنا، وإليه النُّشُور). سمي النومُ مَوْتاً لأَنه يَزولُ معه العَقْلُ والحركةُ، تمثيلاً وتَشْبيهاً، لا تحقيقاً. وللموت معان عديدة ومنها المَنام، كقوله تعالى: (والتي لم تَمُتْ في مَنامها)؛ وقد قيل: المَنام الموت الخفيفُ، والموت النوم الثقيل؛ وقد يُستعار الموت للأحوال الشَّاقَّةِ: كالفَقْر والذُّلِّ والسُّؤَالِ والهَرَم والمعصية، وغير ذلك؛ ومنه الحديث: (أَوّلُ من ماتَ إبليس لأنه أوّل من عصى). والوَفاةُ: المَنِيَّةُ. والوفاةُ: الموت. وتُوُفِّيَ فلان وتَوَفَّاه الله إذا قَبَضَ نَفْسَه، وفي الصحاح: إذا قَبَضَ رُوحَه، وقيل تَوَفِّي الميتِ أي استوفيت مُدَّتِه التي وُفِيتْ له وعَدَد أيامِه وشُهوره وأَعْوامه في الدنيا. يقال: وتَوَفَّيْتُ المالَ منه واسْتَوْفَيته إذا أَخذته كله)، (لسان العرب بتصرف واختصار).

قلت فالموت والوفاة يتفقان في المعنى من جهة ويختلفان من جهة

اخرى، والذي يحدد المعنى المقصود هو السياق وواقع الحدث، فإما ان يكون ذلك على التحقيق كخروج الروح بلا عودة يقينا كالموت بالقتل على المثال. وأما ان يكون على غير تحقيق كالنوم، يقول سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠]، هنا السياق والدلالة تشير إلى ان الوفاة موت محقق، وكذلك في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٥]، فقد اشار سبحانه إلى البعث في اول الآية ثم ذكر الوفاة في اخرها، وفي ذلك دلالة على الموت المحقق. وكذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧].

اما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزُّمَر: ٤٢]، فان الوفاة هنا لا تشير إلى تحقق الموت، بدليل انه سبحانه يمسك التي قضى عليها الموت، أي التي تحقق موتها، ولكنه يرسل الاخرى، أي التي لم يقض عليها بالموت، فكلاهما في حالة وفاة، الاولى وفاتها موت محقق، والثانية وفاتها نوم وليس موتا محققا.

وفي قصة عيسى عليه السلام اختلف العلماء والمفسرون في قوله تعالى: ﴿إِذْ

قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥]، منهم من قال هي وفاة موت كابن عباس ووهب بن منبه، ومنهم من قال: «هي وفاة نَوْم"، وكان معنى الكلام على مذهبهم: إني مُنِيمك ورافعك في نومك. وممن قال بذلك، كعب الاحبار وغيره. وقد رجح الطبري في التفسير: قولُ من قال: «معنى ذلك: إني قابضك من الأرض ورافعك إليّ"، لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض مدة ذكَرها، اختلفت الرواية في مبلغها، ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه. ثم قال: ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله عز وجل، لم يكن بالذي يميته مِيتةً أخرى، فيجمع عليه ميتتين، لأن الله عز وجل إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يُميتهم ثم يُحييهم، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [الروم: ٤٠]. فتأويل الآية إذًا: قال الله لعيسى: يا عيسى، إني قابضك من الأرض، ورافعك إليّ، ومطهرك من الذين كفروا فجحدوا نبوّتك.

التمهيد لقصص رسول الله عليه الصلاة والسلام

قصة اصحاب الفيل

ملك أبرهة الاشرم اليمن (لقب بذلك لأثر ضربة من حربة أرياط في انفه)، وكان ملكه تابعا لنجاشي الحبشة، (والعرب تسمي من ملك الحبشة نجاشي)، وكان أبرهة قتل أرياط احد قادة جيوش النجاشي فغضب عليه، وكانوا نصارى على دين عيسى عليه السلام، فاسترضاه فرضي عنه، فلما كان وقت الحج تهيأ اهل اليمن للحج، فسال أبرهة: ما ذلك، قالوا: بيت الله الحرام نحج اليه، فرأى ان يصنع شيئا يرفع به قدره عند النجاشي، ويزيد به رضاه عنه، فبنى بصنعاء كنيسة عظيمة بالرخام الابيض والموشى بألوان، وزينها بالذهب والفضة والجوهر، وطيبها بالمسك وأنواع البخور، وسماها: القليس. وكتب للنجاشي: قد بنيت لك ايها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك قبلك، وسأصرف اليها حاج العرب، والعرب اذ ذاك يعظمون الكعبة المشرفة في مكة ويحجون اليها، فلما سمع العرب بذلك، غضب رجل من كنانة فأتاها فأحدث فيها (اي تغوط في داخلها)، ولوث محرابها بالقذارة، والقى في داخلها جيفة، ثم هرب الى قومه، وقيل غير ذلك والله اعلم، فلما علم أبرهة بذلك، قيل له: فعلها رجل من العرب الذين يعظمون الكعبة، انتصارا لها. غضب أبرهة وحلف ليهدمن الكعبة، وليجبرن العرب على الحج الى القليس. ثم أرسل رجلا في قبائل العرب يدعوهم الى الحج للقليس بدل الكعبة، فوصل تهامة فبعث بنو كنانة رجلا من هذيل، فقتل رسوله فازداد غضبا، وحلف ليغزون كنانة وليهدمن بيوتهم، وليسيرن الى الكعبة فيهدمها.

جمع أبرهة الجيوش وهيأ رجاله للقتال، واخذ معه الفيلة وخرج بهم يريد مكة، فلما علمت العرب ذلك اجتمعوا في قبائلهم لقتاله، نصرة لبيت الله الحرام ودفاعا عنه، فاعترضه رجل يقال له ذو نفر بأهل اليمن، فقاتلوه فهزمهم واسر ذو نفر فحبسه، ثم سار فوصل ارض خثعم فاعترضه نفيل بن حبيب الخثعمي، برجال قبيلته وبمن اجتمع معه من العرب، فحاربوه فهزمهم واسر حبيبا فلما اراد قتله قال حبيب: لا تقتلني ايها الملك وأكون دليلك في ارض العرب، فحبسه وحمله معه دليلا، ثم سار حتى وصل الطائف، فخرج له مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فوادعوه، وبعثوا معه ابا رغال دليلا الى

مكة، فسار به اليها ثم ان ابا رغال مات في بعض الطريق، في مكان يقال له المغمس فدفن فيه، فلعنته العرب ورجمت فيما بعد قبره. ولما صار أبرهة قريبا من مكة نزل بجيوشه خارجها، وأرسل بعض رجاله بخيولهم اليها، فساقوا اليه اموال قريش وما وجدوا من اموال من اجتمع اليهم من العرب، من اهل تهامة، من كنانة وهذيل وغيرهم، وكان فيما اصاب مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو كبير قريش اذ ذاك، فرات القبائل حرب أبرهة فمنعهم عبد المطلب، لما علم بعظم جيشه وعدم قدرتهم على حربه، فأطاعوه وانتظروا ما يصنع الله به وبهم.

أرسل أبرهة الى سيد قريش رسولا وقال له قل له: يقول لكم الملك انه لم يأت لحربكم، وإنما اتى لهدم هذا البيت، فان تركتموه وما يريد ولم تحاربوه فلا حاجة له بدمائكم، قال فان لم يرد حربا فأتني به. سار رسول أبرهة وهوحناطة الحميري الى مكة، فبلغ الرسالة لعبد المطلب، فقال عبد المطلب: والله ما نريد حربه وما لنا به من طاقة، وهذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم، فان يمنعه (اي يدفع عنه ويحميه) فهو بيته وحرمه، وان يخليه فمالنا والله طاقة على الحرب. فقال حناطة: فقم معي الى الملك فانه يريد ان يلقاك.

قيل كان عبد المطلب جسيما وسيما حسن الهيئة، فلما دخل على أبرهة ومعه بعض بنيه، وعمرو بن نفاثة سيد كنانة، وخويلد بن وائلة سيد هذيل، اجله وأكرمه وسأله ما حاجته فقال عبد المطلب: حاجتي للملك ان يرد علي مائتي بعير اصابها لي، فقال أبرهة: كنت اعجبتني حين رايتك، ثم زهدت فيك لما كلمتني، اتكلمني في مائتي بعير لك، وتترك بيتا هو دينك ودين ابائك، جئت لهدمه لا تكلمني فيه، فقال عبد المطلب: انا رب الابل وان للبيت ربا يمنعه (أي يحميه)، فقال أبرهة: ما كان ليمتنع مني، فقال عبد المطلب: انت وذاك اردد علي ابلي. فقال عمرو وخويلد: ايها الملك لك ثلث اموال تهامة، واترك البيت لا تهدمه، فرفض ما عرضوه، ورد على عبد المطلب ابله. وقال: اما البيت فلا بد لي من هدمه.

لما رجع عبد المطلب الى قريش أخبرهم الخبر، قيل ثم عمد الى الابل فجعل عليها الشعر وأرسلها في الحرم هديا لله، وأمر الناس بالخروج الى رؤوس الجبال، حتى لا يظفر بهم الجيش اذا دخل مكة، فلما خرج الناس تأخر ومعه نفر من قريش، فقاموا عند الكعبة يدعون الله ويستنصرونه على

الاحباش، ثم اخذ بحلقة باب الكعبة قيل وانشد:

لا هــــم ان العبــــد يمـــــ   نــع رحلـــه فـــامنع حلالـــك

لا يغلـــــبن صـــــليبهم   ومحـــالهم غـــدوا محالـــك

ان كنـــت تـــاركهم وقبــــ   لتنــــا فـــأمر مـــا بـــدالك

قيل ثم لحقوا بالناس الى الجبال ينتظرون ما الله صانع بأبرهة وجنده.

عبأ أبرهة جنده وهيأهم ثم سار بهم جهة مكة ليدخلها، وفي مقدمة جيشه الفيلة يقودها فيل عظيم، قيل اسمه محمود، فجاء نفيل بن حبيب فقام بجانب الفيل واخذ بأذنه، قيل فقال له: ابرك محمود وارجع من حيث اتيت، فانك في بلد الله الحرام. ثم هرب حتى صعد الى الجبل، فبرك الفيل فضربوه فلم يقم، ثم ضربوه وآذوه فلم يقم، فوجهوا رأسه جهة اليمن فقام يهرول، فوجهوه الى مكة فبرك، فضربوه فلم يقم، فوجهوه جهة الشرق فقام يهرول، فوجهوه جهة الشام فهرول، فوجهوه الى مكة فبرك. وبينما هم يحاولون مع الفيل اذ ظهرت في السماء طيور كثيرة، في جماعات لا تعد يتبع بعضها بعضا، في مناقيرها وأرجلها الحجارة، فلما صارت فوقهم رمتهم بالحجارة، فما اصاب حجر منها رجلا إلا قتله، او جرحه جرحا بليغا، فانهزموا وارتدوا جهة اليمن هاربين، فلحقتهم الطيور ترميهم بالحجارة فما نجا منهم إلا قلة بجروح بليغة، منهم أبرهة، فتوجهوا الى اليمن، قيل فكان جسم أبرهة يسقط قطعة قطعة، فلما وصلوا صنعاء انشق صدره عن قلبه فمات لعنه الله. (المنتظم ج٢ص١٨) (الكامل ج١ص٩) (البداية والنهايةج٢ص٢٦) بتصرف واختصار.

وقد أورد الله سبحانه ذكرهم في سورة الفيل قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [الفيل: ١-٥].

وبذلك كفى الله العرب من اهل مكة وما حولها حرب أبرهة، حتى لا يفنيهم لقوته وضعفهم، ومنع بيته ورد كيد عدوه.

قصص سيدنا محمد ﷺ

ولادته ونشأته

ولد عليه الصلاة والسلام بمكة في الثاني عشر من ربيع الاول عام الفيل، في السنة الثانية والخمسين قبل الهجرة، وهو ما يوافق العشرين من شهر نيسان سنة احدى وسبعين وخمسمائة لميلاد عيسى بن مريم عليه السلام. توفي والده قبل ولادته، ولما ولد سماه جده محمدا، وروى حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ أنه قال: "أنا مُحمَدٌ، وَأحْمَدُ، وَالحَاشِرُ، والمُقفّي، ونَبي الرحْمَةِ». وروى جبير بن مطعم عنه ﷺ أنه قال: "أنا مُحَمّدٌ، وَأحْمَدُ، وَالحَاشِرُ، وَالمَاحِي، وَالخَاتِمُ، وَالعَاقِبُ». (المنتظم ج٢ص٢٢). توفيت امه وهو في السادسة من عمره، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ﴾ [الضُّحى: ٦]، فنشا يتيما تربى في كنف جده عبد المطلب، فلما توفي كفله عمه ابو طالب، فعاش في كنفه كأحد اولاده، وقد ارضعته ثويبة مولاة ابي لهب ثم حليمة السعدية، وحضنته ام ايمن واسمها بركة، كانت جارية لأبيه تركها لامه لما توفي، وبذلك هيأ له الله الرعاية الكريمة والنشأة الطيبة، فلم يعرف ذل اليتم وقسوته، مع ما كفل الله له من الرعاية والحفظ بالملائكة الذين كانوا معه في كل مراحل حياته. (المنتظم ج٢ص٢٢) (الكامل ج١ص١٧).

صباه وشبابه

لما شب عليه السلام اشتغل بالرعي فساعد عمه ابا طالب، الذي كان كثير العيال قليل المال، روى البخاري (برقم ٢٣٠٦) من حديث ابي هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال «ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم». فقال أصحابه وأنت يا رسول الله فقال «نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة» (والقراريط اجزاء من الدراهم والدنانير). ولما شب صحبه عمه ابو طالب في تجارته الى الشام، ثم اشتغل عليه السلام بالتجارة، ولما علمت به خديجة بنت خويلد، وكانت تاجرة ذات شرف ومال، ومع ما اشتهر به من الصدق والأمانة، عرضت عليه ان يخرج بمالها الى الشام متاجرا، فخرج ومعه غلامها ميسرة، ولما عاد قدم على خديجة بضعف ما كان يأتيها به التجار من ربح، ومع ما حدثها به ميسرة من

امانته وحرصه على مالها، عرضت عليه الزواج، فخطبها من عمها وتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة وهي ابنة اربعين سنة، فبقيت معه خمسا وعشرين سنة حتى وفاتها، وولدت له من الابناء القاسم وعبد الله ماتا صغيرين، وولدت من البنات زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، توفاهن الله في حياته إلا فاطمة توفيت بعده بستة اشهر، وكانت اول زوجاته ولم يتزوج عليها في حياتها، وكانت احب زوجاته اليه لم يزل يذكرها ويحسن الى صاحباتها، لما كان لها رضي الله عنها وأرضاها من حسن العشرة وطيب الصحبة. (الكامل ج١ص١٧) (المنتظم ج٢ص٢٣).

حياته قبل البعثة

نشا ﷺ في قبيلته قريش، وقد فشت فيها عبادة الاصنام، كما هي حال عرب الجزيرة في ذلك الزمان، فكانت «مناة» لهذيل وخزاعة، و"اللات" لثقيف، و"والعزى" لقريش ولسائر العرب، وكان اقدمها وأعظمها «هبل» وكان يسمى صاحب القداح، وكان عددها في الكعبة وحولها ثلاثمائة وستين صنما، كسرها وأزالها عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة سنة ثمان للهجرة، ومع ذلك كان في العرب بقية من دين إبراهيم، ﷺ، كتعظيم الكعبة والطواف بها، والحج والعمرة، وغير ذلك مع ما ادخلوا عليها من البدع والضلالات، وكان في مكة قلة على ملة إبراهيم وإسماعيل عرفوا «بالأحناف». كما انتشرت ديانات اخرى محدودة، كاليهودية في اليمن والمدينة، والنصرانية في نجران والحيرة ودومة الجندل وإطراف الشام، وكالمجوسية على نطاق ضيق لا يكاد يذكر.

كره عليه الصلاة والسلام دين قومه منذ صغره، فلم يسجد لصنم قط، ولم يشارك اترابه من شباب مكة لهوهم او مجونهم، بل شارك الكبار والعقلاء في حروبهم ومجالسهم، ومن ذلك شهادته حلف الفضول في بيت ابن جدعان، وكان كثير العزلة والتفكر، والبحث عن الاله الواحد الذي يستحق العبادة والسجود، الى ان بعثه الله نبيا ورسولا عليه افضل الصلاة وأتم التسليم. وقد عرف بذلك في قومه مع ما اتصف به من الامانة والصدق وحسن المعشر، فلقب بالأمين وبالصادق، وكان الناس يودعون اماناتهم عنده، وكانوا يأخذون برأيه، ومن ذلك ما حدث من اختلاف قريش فيمن يضع الحجر الاسود مكانه، حين جددت بناء الكعبة لما تصدعت جدرانها بسبب السيل، وكادت قريش

تقتتل على ذلك، ثم اتفقوا على تحكيم اول من يدخل عليهم المسجد، فكان اول من دخل عليه الصلاة والسلام، وكان في الخامسة والثلاثين من عمره، فقالوا هذا الامين رضينا بحكمه، فحكموه فأمر بثوب فوضع بيده الكريمة الحجر فيه، ثم اختار من كل قبيلة اشرف رجالها، وأمرهم بأخذ اطراف الثوب فرضيت قريش، فرفعوه الى مستوى وضع الحجر، فوضعه بيده الكريمة في موضعه، وحقن بذلك دم القبائل. (المنتظم ج٢ص٢٣) (الكامل ج١ص١٧). وفي اشارة لاجتنابه عبادة قومه قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضُّحى: ٧]، اي خلقك وأوجدك في قوم ضالين، فحفظك وهداك فلم تدن بدينهم، وفي اشارة لعمله بالتجارة، ولما انعم الله به عليه وعلى المسلمين بعد البعثة من فيء وغنائم، وقال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضُّحى: ٨] اي فقيرا معدما ليس لك مال ـ فقد كان عليه السلام فقيرا لم يرث عن والده مالا ـ فأفاء سبحانه عليه من نعمه وآلاءه ما اغناه. مع انه عليه الصلاة والسلام لم يمسك مالا، فقد كان يتصدق بكل ماله على فقراء المسلمين، والطلقاء، وفي تأليف القلوب، وفي سبيل الله، ولم يكن يمسك إلا اقل القليل مما يحتاجه لنفقته ونفقة اهل بيته. وكان لما اغناه الله ينفق نفقة من لا يخشى الفقر، والأحاديث والشواهد عن زهده عليه الصلاة والسلام في سيرته لا تعد ولا تحصى.

دلائل النبوة قبل البعثة

كان اول عهد رسول الله ﷺ بالبعثة في علم الغيب عند الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١] فقد اخذ الله سبحانه العهد على رسله منذ خلق ادم عليه السلام فهو ابو البشر، وأول نبي رسول، اخذ عليه العهد، ثم اخذه على الرسل بعده لمحمد عليه الصلاة والسلام، لإن بعث في زمان اي منهم ان يتبعوه وينصروه، وأشهدهم على انفسهم وشهد عليهم سبحانه. فلما كان زمان إبراهيم عليه السلام، وأتم وإسماعيل عليه السلام بناء الكعبة،

دعا الله قال: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ [البقرة: ١٢٩] سال الله ان يبعث في ذريته التي ستكون بمكة، رسولا منهم، ثم اخذ سبحانه العهد له من الأنبياء بعد إبراهيم الى عيسى عليهم السلام، فذكره في الكتب المنزلة ليعرفه الأنبياء جميعا قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾[الأعراف: ١٥٧] فقد عرفه موسى وأوصى به من يتبعه من الأنبياء، فكان معروفا لدى انبياء بني إسرائيل، فلما كان زمان عيسى عليه السلام بشر به وصرح باسمه قال: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف: ٦].

هذا ما كان من أمر الرسل والأنبياء، اما ما كان من أمر الخلق، فقد عرفه الرهبان والصالحون من النصارى مما اخذوه عن انبياءهم، من ذلك قصة بحيرى الراهب لما عرفه، حينما قدم عليه الصلاة والسلام في صباه الشام اول مرة مع عمه، وما وصى به بحيرى ابا طالب من الحرص عليه وحفظه من اليهود، لأنهم لو عرفوا منه ما عرف فسيؤذوه بل سيعملون على قتله. كذلك قصة الراهب نسطورا في رحلته الثانية الى الشام في تجارته لخديجة عليها السلام، وما سمعه ورآه خادمها ميسرة في تلك الرحلة وما اخبرها به من امره عليه السلام. كذلك عرفه احبار اليهود مما وجدوا من صفته في التوراة، من ذلك قصة الحبر ابن الهيبان وما وصى به يهود بني قريظة حين حضرته الوفاة، امرهم اذا ظهر ان ينصروه ويتبعوه، ومنها قصة اسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه. (البداية والنهاية ج٢ص٣١).

اما ما كان من الدلائل التي رآها قومه، فمن ذلك ما روي عن امه فيما رأته من أمر حملها وولادتها، من ذلك قولها: لقد علقت به - تعني رسول الله ﷺ - فما وجدت له مشقة حتى وضعته، فلما فصل مني خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق إلى المغرب، ثم وقع إلى الأرض معتمدا على يديه، وأخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء. (البداية والنهاية ج٢ص٣٠) ومن ذلك ما روته مرضعته حليمة السعدية، من امر شق بطنه وتنقيته

وحشوه بالإيمان والحكمة، لما كان معها في بادية بني سعد، وما كان في تلك البادية من الخير والبركة لما قدموا به اليها. (الكامل ج١ص٩). ومن ذلك ما كان يفعل عليه الصلاة والسلام قبل بعثته، فقد روي عن مطعم عن أبيه جبير قال: أضللت بعيرا لي بعرفة فذهبت أطلبه فإذا النبي ﷺ واقف فقلت: إن هذا من الحمس ما شأنه ههنا؟ (مسند احمد رقم ١٦١٣٧) (والحمس هم قريش كانوا لا يقفون بعرفة مع الناس بالحج)، قال ابن كثير: قلت: ويفهم من قوله هذا أنه كان يقف بعرفات قبل أن يوحى إليه. وهذا توفيق من الله له. (البداية والنهاية ج٢ص٣١). والقصص على دلائل النبوة كثيرة، افرد لها كثير من العلماء كتبا خاصة، وتناولتها كتب السير بإسهاب، ولمن اراد الاستزادة الرجوع اليها في مصادرها.

صفة رسول الله عليه الصلاة والسلام

لما خلق الله سبحانه الخلق، فإنما خلقهم لحكمة هو اعلم بها، ولسبب ارادة فاعلم به خلقه قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهو مع ذلك غني عنهم، فلن يزيد ذلك في ملكه شيئا ولن ينقص منه، فهو سبحانه الكامل التام الكمال ليس كمثله شيء قال تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[آل عمران: ٩٧]. وبين سبحانه الطريق الذي يوصل اليه ويفضي الى رضاه قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ولرحمته سبحانه التي وسعت كل شيء وسبقت غضبه استثنى فقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾
[آل عمران: ٨٩]. ثم بين لهم انه شديد العقاب لمن خالفه وكفر به، غفور رحيم لمن آمن به واتبع شرعه قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ

ﵟٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞﵞ[المائدة: ٩٨]، ثم بين طريق محبته لهم؛ وهي اتباع رسله فقال سبحانه: ﵟقُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡﵞ [آل عمران: ٣١]. وقد أرسل سبحانه من الرسل جم غفير، اولهم آدم، وآخرهم محمد عليهم جميعا افضل الصلاة وأتم التسليم. وفي صفة رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام قال تعالى: ﵟيَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗاﵞ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، وهذه الأشياء التي وصف الله بها رسوله محمدًا ﷺ هي المقصود من رسالته، وزبدتها وأصولها، التي اختص بها، وهي خمس صفات:

الأولى: كونه (شَاهِدًا) أي: لله بالوحدانية، وأنه لا إله غيره، وعلى امته بإبلاغه إياهم ما أرسل به من الرسالة، وعلى أعمالهم يوم القيامة، كما قال تعالى: ﵟلِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاﵞ [البقرة: ١٤٣] وقال تعالى: ﵟفَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗاﵞ [النساء: ٤١]، فهو ﷺ شاهد عدل مقبول على الشهداء من الامم السابقة الذين يشهدون لرسلهم بأنهم ادوا الرسالة، وهو يزكي شهادتهم ويؤيدها.

الثانية: كونه (مبشرا)، والمبشَّرون هم: المؤمنون المتقون، الذين صدقوا فجمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، وترك المعاصي، لهم البشرى في الحياة الدنيا، بكل ثواب دنيوي وديني، وفي الأخرى بالنعيم المقيم.

الثالثة: كونه (نذيرا)، والْمنْذَرون هم: المجرمون الظالمون، أهل الظلم والجهل، ينذرهم من النار أن يدخلوها، فيعذبوا بها إن هم كذبوه، وخالفوا ما جاءهم به من عند الله.

الرابعة: كونه (دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ) أي: أرسله الله، يدعو الخلق إلى توحيد ربهم، ويأمرهم بعبادته، التي خلقوا لها، وذلك يستلزم استقامته، على ما يدعو إليه، وذكر تفاصيل ما يدعو إليه، بتعريفهم لربهم بصفاته المقدسة، وتنزيهه عما لا يليق بجلاله، وذكر أنواع العبودية، والدعوة إلى الله بأقرب

طريق موصل إليه، وإعطاء كل ذي حق حقه، وإخلاص الدعوة إلى اللّه - لا إلى نفسه وتعظيمها، كما قد يعرض ذلك لكثير من النفوس في هذا المقام - وذلك كله بِإِذْنِ الله تعالى وأمره وإرادته وقدره.

الخامسة: كونه (سِرَاجًا مُنِيرًا) وذلك يقتضي أن الخلق في ظلمة عظيمة، لا نور، يهتدى به في ظلماتها، ولا علم، يستدل به في جهالاتها، حتى جاء اللّه بهذا النبي الكريم، ليهتدي به من اتبعه. فأضاء اللّه به تلك الظلمات، وعلم به من الجهالات، وهدى به ضُلالا إلى الصراط المستقيم).

وفي الآيات التالية قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤٧-٤٨]، فذكر سبحانه المبشرين، وهم المؤمنون، وذكر المبشَّر به، وهو الفضل الكبير أي: العظيم الجليل، الذي لا يقدر قدره، من النصر والهداية، وكثرة الأرزاق والنعم، وكشف الكروب في الدنيا، وغفران الذنوب، والفوز برضا ربهم وثوابه، والنجاة من سخطه وعقابه في الاخرة. ولما كان ثَمَّ طائفة من الناس، مستعدة للقيام بصد الداعين إلى اللّه، من الرسل وأتباعهم، وهم المنافقون، الذين أظهروا الموافقة في الإيمان، وهم كفرة فجرة في الباطن، والكفار ظاهرًا وباطنًا، نهى الله رسوله عن طاعتهم، وحذره ذلك فقال: (وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ) أي: في كل أمر يصد عن سبيل اللّه، ولكن لا يقتضي هذا أذاهم، بل لا تطعهم (وَدَعْ أَذَاهُمْ) اي: وأعرض عن أذاهم لك، واصبر عليه، ولا يمنعك ذلك عن القيام بأمر الله في عباده، وإنفاذ ما كلفك به. واصفح وتجاوز عنهم، فإن ذلك، جالب لهم، وداع إلى قبول الإسلام، وإلى كف كثير من أذيتهم له ولأهله. وفوض إلى الله أمورك، وثق به، وكِلْ أمرهم إلى الله؛ فإنه كافيك جميع من دونه، حتى يأتيك أمره وقضاؤه (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) في إتمام أمرك، وخذلان عدوك، (وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا) اي: وحسبك بالله قيما بأمورك، وحافظا وميسرا.

ولا بد من التنبيه في هذا المقام الى ان الصفات السابقة هي باعتباره عليه الصلاة والسلام نبيا ورسولا، وهناك صفات اخرى كثيرة حميدة وصفه سبحانه بها في مواضع كثيرة باعتباره انسانا، فهو صادق مصدوق غير مفتر قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣] ومنها انه حيي غير فاحش قال

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡ﴾**[الأحزاب: ٥٣]، وهو كذلك حريص على المؤمنين ومصالحهم رؤوف بهم قال تعالى:** ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ **[التوبة: ١٢٨]، فهو عليه الصلاة والسلام ليس فظا ولا غليظ القلب قال تعالى:** ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ **[آل عمران: ١٥٩]. وقد جمع سبحانه تلك الصفات الحميدة وغيرها في كلمة واحدة معجزة فقال جل من قائل:** ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾**[القلم: ٤]. وفوق ذلك امتن على خلقه فبين سبب ارسال الرسل، وخاتمهم سيد الخلق محمد عليه افضل الصلاة وأتم التسليم فقال جل ذكره:** ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ **[الأنبياء: ١٠٧]. فله الحمد سبحانه، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، بما يكافئ نعمه وآلاءه.**

البعثة وبدء نزول الوحي

قلنا ان رسول الله ﷺ اجتنب منذ صغره ما يعبد قومه، فلم يوقر شيئا من الهتهم ولم يسجد لصنم قط، وكان يحب العزلة والخلاء، يتفكر في خلق الله وفي اياته، ويبحث عن الاله الواحد الذي يستحق ان يعبد دون سواه، وكان من عادته ان يعتزل بأهله شهرا من كل عام في جبل حراء (وكانت تلك عادة المتعبدين من قريش). فلما بلغ ﷺ الاربعين من عمره، وخرج الى حراء على عادته أرسل الله سبحانه اليه الملك في رمضان، بلا خلاف في الشهر، قال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ

﴿وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] ولا خلاف في الليلة قال تعالى:﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾[القدر: ١]، إلا انه وقع خلاف في اي يوم كان ذلك من الشهر، قال ابن كثير: كان ابتداء نزول الوحي يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان، وقيل من الرابع والعشرين (البداية والنهاية ج٣ص٣٣) (المنتظم ج٢ص٢٤) ولكن المتفق عليه انه نزل في النصف الثاني من رمضان) والله اعلم. ومن الثابت والمتفق عليه ان الذي نزل به جبريل عليه السلام، قال ابن كثير: ((قاله غير واحد من السلف: ابن عباس، ومحمد بن كعب، وقتادة، وعطية العوفي، والسدي، والضحاك، والزهري، وابن جريج. وهذا ما لا نـزاع فيه)). نزل به بألفاظه كلها من عند الله سبحانه، فهو كلام الله ليس لجبريل فيه زيادة أو نقص، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥] قال ابن كثير في التفسير: ((نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ): وهو جبريل، عليه السلام، (عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ) [أي: نـزل به ملك كريم أمين، ذو مكانة عند الله، مطاع في الملأ الأعلى، (عَلَى قَلْبِكَ) يا محمد، سالمًا من الدنس والزيادة والنقص؛ (لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ)] أي: لتنذر به بأس الله ونقمته على من خالفه وكذبه، وتبشر به المؤمنين المتبعين له. وقوله: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) أي: هذا القرآن الذي أنـزلناه إليك [أنـزلناه] بلسانك العربي الفصيح الكامل الشامل، ليكون بَيِّنًا واضحًا ظاهرًا، قاطعًا للعذر، مقيمًا للحجة، دليلا إلى المحجة. انتهى كلام ابن كثير.

وقد نقل ﷺ القران إلى الأمة مثلما نقل إليه، فلم يزد عليه ولم ينقص منه، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦] قال ابن كثير في التفسير: (يقول تعالى: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا) أي: محمد ﷺ، لو كان كما يزعمون مفتريا علينا، فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئا من عنده فنسبه إلينا، وليس كذلك، لعاجلناه بالعقوبة. ولهذا قال (لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ) قيل: معناه لانتقمنا منه باليمين؛ لأنها أشد في البطش، وقيل: لأخذنا بيمينه. (ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) قال ابن عباس: وهو

نياط القلب، وهو العِرْقُ الذي القلب معلق فيه. وقال محمد بن كعب: هو القلب ومَرَاقَّه وما يليه). انتهى كلام ابن كثير.

ولما كانت السنة التي انزل فيها القران، كان رسول الله ﷺ على عادته في كل عام، قد خرج بأهله إلى غار حراء، وهو غار في اعلى جبل حراء الذي يقع شرقي مكة على يسار الذاهب إلى عرفات، ويبعد عن الحرم الشريف مسافة أربعة كيلو مترات، في أعلاه الغار الذي يتجه بابه إلى الشمال، ويمكن للداخل فيه أن يرى الكعبة المشرفة، كما يمكن للواقف على الجبل رؤية مكة وأبنيتها، وقد سمي الجبل بعد نزول الوحي فيه (جبل النور)، وسمي كذلك (جبل الإسلام). فلما كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته، ورحم العباد بها، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى . روى البخاري (رقم ٣) من حديث عائشة ام المؤمنين قالت: (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ. قال "ما أنا بقارئ». قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ. قلت ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ. فقلت ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ **[العلق: ١-٣] فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال «زملوني زملوني». فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر «لقد خشيت على نفسي». فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. (قلت: فلننظر الى خديجة رضي الله عنها كيف كان عقلها وحكمتها، فقد ربطت صفاته الحميدة عليه الصلاة والسلام بصدقه وصدق ما جاء به، فكانت اول المسلمين رضي الله عنها وأرضاها) فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ـ وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي ـ فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من**

ابن أخيك. فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى، فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ﷺ، يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ «أو مخرجي هم». قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي). وروى ايضا (رقم ٤) من حديث جابر بن عبد الله الانصاري عن رسول الله ﷺ قال «بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه فرجعت فقلت زملوني. فأنزل الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ [المدَّثر: ١-٢]، إلى قوله ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ [المدَّثر: ٥]، فحمي الوحي وتتابع». فكانت هذه الآيات الكريمة أول ما نزل من القران الكريم، ثم فتر الوحي اياما فقالت امرأة من قريش: ما أرى شيطانك إلا تركك يا محمد. فانزل الله سبحانه سورة الضحى قال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١-٣]، الى اخر السورة. ثم تتابع بعد ذلك نزول الوحي على رسول الله إلى أن قبض ﷺ.

كانت فترة نزول الوحي ثلاثة وعشرين عاما، فقد بعث ﵇ وهو ابن أربعين سنة وقبض وهو ابن ثلاث وستين. قال ابن كثير: (قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن داود بن أبي هند، عن عامر الشعبي، أن رسول الله ﷺ نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل القرآن، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة، عشراً بمكة وعشراً بالمدينة. فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة). فهذا إسناد صحيح إلى الشعبي، وهو يقتضي أن إسرافيل قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين ثم جاءه جبريل.

وأما الشيخ شهاب الدين أبو شامة فإنه قد قال: وحديث عائشة لا ينافي هذا، فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا. ثم وكل به إسرافيل في تلك المدة التي كان يخلو فيها بحراء، فكان يلقي إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجاً له وتمريناً، إلى أن جاءه جبريل، فعلَّمه بعدما غطه ثلاث مرات، فحكت عائشة ما جرى له مع جبريل ولم تحك ما جرى له مع إسرافيل اختصاراً

للحديث، أو لم تكن وقفت على قصة إسرافيل. ثم روى أحمد، عن غندر، ويزيد بن هارون، كلاهما عن هشام، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: بُعث رسول الله ﷺ وأُنزل عليه القرآن، وهو ابن أربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشر سنين. ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة). انتهى كلام ابن كثير. (البداية والنهاية ج٣ص٣٣).

ابتداء الدعوة سرا

لما ذهب الروع عن رسول الله واستقر الامر في نفسه، جاءه جبريل عليه السلام فعلمه الوضوء والصلاة، فكان ذلك اول ما فرض من الشرائع (وهذه الصلاة اول ما صلى عليه السلام قبل الصلوات الخمس التي فرضت ليلة الاسراء)، ثم ان رسول الله اخذ يسر الى من يثق به من اصحابه بأمر دعوته، فيدعوهم الى الله، فكان اول من امن به زوجه خديجة رضي الله عنها، ثم علي بن ابي طالب كرم الله وجهه، فكان اول من امن من الصبية وكان ابن عشر سنين، ثم امن ابو بكر الصديق رضي الله عنه فكان اول من امن من الرجال، ثم زيد بن حارثة فكان اول الموالي ايمانا. ثم انزل الله سبحانه:﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾[الشعراء: ٢١٤] فجمع اعمامه واقرب اقرباءه، وكانوا اربعين رجلا او يزيدون، ودعاهم الى الله، فتصدى له ابو لهب عمه وزجره وهدده وكذبه، وأمرهم بتكذيبه والأخذ على يده ومنعه من القيام بأمره، فرد عنه ابو طالب وهو عمه الذي كفله صغيرا، فطيب خاطره وطمأنه وقال: امض لما أمرت به فوالله لا أزال - اي ادفع عنك وأحميك - فقال أبو لهب: هذه والله السوأة! خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم. فقال أبو طالب: والله لنمنعنه ما بقينا. (الكامل ج١ص١٧). واستمر عليه الصلاة والسلام يدعو سرا من يثق به ويتوسم فيه الصلاح، وأبو بكر يدعو كذلك سرا، اما عمر بن الخطاب فكان يدعو جهرا لما له من المهابة في قريش، حتى اجتمع حول رسول الله عدد من السادات والضعفاء والنساء، امنوا به واخفوا ايمانهم، يعبدون الله في دورهم وفي الشعاب، وقريش تعذب من تكشف امره منهم، واستمروا على ذلك قيل ثلاث سنين حتى نزلت: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحِجر: ٩٤].

الجهر بالدعوة

لما أمر الله رسوله ان يجهر بالدعوة في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[الحِجر: ٩٤]، خرج فوقف على الصفا فهتف بقريش: يا صباحاه! فاجتمعوا إليه فقال: يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد المطلب يا بني عبد مناف! نادى بأسماء القبائل في مكة فاجتمعوا إليه فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح الجبل أكنتم مصدقي قالوا: نعم ما جربنا عليك كذبًا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبًا لك ! أما جمعتنا إلا لهذا، ثم قام ينفض يديه استنكارا وتكذيبا فنزلت: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المَسَد: ١]. ثم تفرقوا عنه وفشا أمر الاسلام في مكة بين قريش فكذبوه، واخذوا يعذبون اصحابه ليردوهم عن دينهم، ولما كان عمه ابو طالب يدافع عنه ويحميه من اذاهم، اجتمع طائفة من اشرافهم اليه يحرضونه على ابن اخيه، وعرضوا عليه ان يدفعوا اليه رجلا من افضل شبابهم يتخذه ولدا، على ان يسلم اليهم ابن اخيه فيقتلوه به، ويكون رجل برجل، فقال: والله لبئس ما تسومونني أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه هذا والله لا يكون أبدًا! (الكامل ج١ص١٧) **باختصار.**

لما صارت الدعوة جهرا، اعلن من اسلم اسلامه، فأخذت كل قبيلة من اسلم من احرارها بالأذى والمضايقة، واخذوا من اسلم من ضعفائهم وعبيدهم بالعذاب الشديد بل والقتل، وهم صابرون على دينهم، فأوذي رسول الله عليه الصلاة والسلام، وأبو بكر وعثمان وعمر، وبلال بن رباح (وكان اكثر من لقي من الاذى وأصبرهم عليه)، وال ياسر، فمات ياسر بالعذاب، فأغلظت سمية امراته القول لأبي جهل ـ لعنه الله ـ فضربها بحربة في يده فأنفذها في قلبها فماتت، فكانت اول من قتل شهيدا في الاسلام رضي الله عنهم وأرضاهم. وشددوا على عمار العذاب فوق ما يحتمل، فسألوه ان يكفر بدين محمد ففعل فأطلقوه، فأتى رسول الله فاخبره بما كان وهو يبكي، فقال له رسول الله: فكيف تجد قلبك قال: اجده مطمئنا بالإيمان فقال: يا عمار ان عادوا فعد، فانزل الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ

صَدْرًا﴾ [النحل: ١٠٦] (الكامل ج١ص١٧).

الهجرة الى الحبشة

لما كثر اذى قريش لأصحاب رسول الله، امرهم بالهجرة الى الحبشة، قيل كان ذلك في رجب سنة خمس من البعثة. فخرج جماعة منهم اليها اولا، كانوا احد عشر رجلا وأربع نساء، ثم تتابع المهاجرون حتى زاد عددهم عن اربعين بين رجل وامرأة، فاستقروا بها امنين فلما علمت قريش بذلك أرسلت عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد بهدية الى النجاشي، فسألوه ان يعيدهم اليهم، فقال حتى اسالهم، فلما قدموا عليه وعرف خبرهم وخبر رسول الله، امنهم على الاقامة في بلاده ولم يأذن بردهم، فقال عمرو بن العاص: أنهم يقولون في عيسى بن مريم غير الذي تقول، يقولون انه عبد، فقال: ما تقولون في عيسى بن مريم، فقام جعفر بن ابي طالب، فاثنى عليه خيرا، وقرا صدر سورة مريم، فبكى النجاشي والأساقفة، واطمأن قلبه للإيمان لما اراد الله به خيرا، فقال: (ان هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى، انطلقوا راشدين لا والله لا اردهم عليكم ولا انعمكم عينا). ثم أمر برد هداياهم، فخرجا مقبوحين مذمومين، وانصرف المسلمون امنين وقال: من سبهم غرم، قالها ثلاثا. فمكثوا الى ماشاء الله، فمنهم من عاد الى مكة ومنهم من اقام، فلما هاجر عليه السلام الى المدينة عادت منهم جماعة، وعاد الباقون يوم فتح خيبر وعلى رأسهم جعفر بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين، فاستقبلهم ﷺ وقال: (والله ما ادري بأيهما انا أسر بفتح خيبر ام بقدوم جعفر بن ابي طالب). (البداية والنهاية ج٣ص٣٥) باختصار.

حصار بني هاشم

عندما كثر المسلمون في مكة، وقويت شوكتهم بدخول حمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب في الاسلام، ولما علمت قريش برد النجاشي على مبعوثيها، وبتأمينه المسلمين في بلاده وحمايته لهم، ازداد حقدهم على رسول الله، فاجتمع كبارهم وأشرافهم وكتبوا صحيفة ظالمة، تعاقدوا فيها وتعاهدوا على مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب، ومما جاء في الصحيفة: ان لا يزوجوهم ولا يتزوجوا منهم، وان لا يتعاملوا معهم بتجارة، ولا يكلموهم ولا

يدخلوا بيوتهم، ثم اتوا ابا طالب وخيروه اما ان يسلم لهم رسول الله للقتل، وإما ان ينفذوا الصحيفة. فأبى ابو طالب ان يسلمه، فعلقوا الصحيفة في الكعبة، ولما خاف ابو طالب على رسول الله، جمع بني هاشم وبنيه وأمرهم بدخول شعبهم، يعتصمون فيه ويمنعوا رسول الله، فدخلوا جميعا مسلمهم وكافرهم، فمنهم من دخل حمية وانتصارا للقرابة، ومنهم من دخل ايمانا وتسليما لأمر الله، إلا ابا لهب لعنه الله خرج عنهم. ثم ان قريشا منعت غيرها ممن يدخل مكة ان يأتيهم بزاد او ميرة، ففعلوا إلا ما كان يأتيهم سرا، وإلا ما كان من هشام بن عمرو ادخل ثلاثة احمال طعام، فلما علمت قريش عاتبته فقال: اني عائد بشيء يخالفكم، ثم ادخل بعدها حملا او حملين ليلا، فهموا بقتله فقال ابو سفيان بن حرب: دعوه رجل وصل رحمه أما إني أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أجمل بنا. قيل كان ذلك في السنة الثالثة من الحصار، وكان الحصار بدأ في السنة السابعة من البعثة. ثم ان ابا سفيان اسلم قبل الفتح واسلم هشام يوم فتح مكة. (المنتظم ج٢ص٢٦).

استمر الحصار ثلاث سنين والوحي متتابع، ورسول الله يدعوا سرا وجهرا. ثم ان الله سبحانه ارى رسوله ان الأرضة أكلت ما في الصحيفة من ظلم وقطيعة رحم، وتركت ما فيها من أسماء الله تعالى، فاخبر عمه ابا طالب بذلك، فخرج الى قريش في ناديهم فأخبرهم بذلك، وقال ان صدق ابن اخي - وهو يصدقه - علمتم صدقه وظلمكم، وإلا دفعته اليكم فقتلتم او استحييتم، فقاموا اليها فوجدوها كما قال فشقوها، وخرج بنوا هاشم من الشعب. وقد اخزى الله المشركين والكفار قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الصف: ٨] (المنتظم ج٢ص٢٦). وقيل تلاوم نفر من قريش ممن ولدتهم نساء من بني هاشم وغيرهم، ورأوا أنهم قطعوا ارحامهم وظلموهم وهم: هشام بن عمرو، وزهير بن أبي أمية، والمطعم بن عدي، وأبي البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود، فتواعدوا عند خَطْم الحَجون التي بأعلى مكة واجتمعوا هنالك وتعاهدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضُوها. فلما اصبحوا اتوا الكعبة فطاف زهير سبعا، ثم اقبل على الناس فقال: يا أهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. فقال أبو جهل: كذبت والله لا تشق. فأيد بقية النفر زهيرا فيما قال فقال ابو جهل: هذا أمر

قضي بليلٍ، وأبو طالب في ناحية المسجد. فأخبرهم بما قال رسول الله، فاتوا بها فوجدوها كما قال فشقوها، (الكامل ج١ص١٨) (المنتظم ج٢ص٢٦) (البداية والنهاية ج٣ص٣٦).

عام الحزن

لما رفع الحصار عاد رسول الله الى مكة، يدعو الى الله ويعرض نفسه على القبائل، لمن اتى منها مكة وهو في منعة بدعم عمه ابو طالب، وفي السنة العاشرة من البعثة قبل الهجرة بثلاث سنين، مرض أبو طالب ولما حضرته الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام وقال: «يَا عَم قُلْ: لا إِلَهَ إلا اللّه أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله». وكان عنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أميةَ فجعلا يقولان له: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب حتى قال آخر كلمة تكلّم بها: أنا على ملة عبد المطلب. ثم مات. فقال ﷺ: «لأَسْتَغْفِرَن لَكَ مَا لَمْ أنْهَ عنك». وحزن لموت عمه كافرا حزنا شديدا واستغفر له، فانزل الله مواساة لرسوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦] ثم نهي ﷺ ان يستغفر للمشركين ولو كانوا اولي قربى قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ ﴾ [التوبة: ١١٣] وتوفيت في هذه السنة خديجة رضي الله عنها، وكان بينهما شهر وخمسة أيام فاجتمعت على رسول الله ﷺ مصيبتان، فلزم بيته وأقل الخروج (المنتظم ج٢ص٢٦) ونالت منه قريش فقال رسول الله ﷺ: (ما نالت قريش مني شيئًا أكرهه حتى مات أبو طالب). وذلك أن قريشًا وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته، حتى نثر بعضهم التراب على رأسه، وحتى إن بعضهم طرح عليه رحم شاة وهو يصلي، فلما اشتد عليه الأمر خرج ومعه زيد بن حارثة إلى ثقيف في الطائف يلتمس منهم النصر. (الكامل ج١ص١٨) وسمى المسلمون ذلك العام عام الحزن.

الخروج الى الطائف اول مرة

لما انتهى عليه الصلاة والسلام الى الطائف، عمد إلى ثلاثة من ساداتها وهم بنو عمرو بن عمير فدعاهم إلى الله وكلمهم في نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه فكذبوه واغلظوا له في القول، فقام وقد يئس من خير ثقيف وقال: إذا أبيتم فاكتموا علي ذلك، كره ان يبلغ ذلك قريشا فتشمت به، فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس فادموا قدميه، وألجؤوه إلى حائط (بستان) لعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة وهما فيه. فرجع عنه من كان يتبعه، فعمد إلى ظل عريش من عنب، فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما يلقى من سفهاء أهل الطائف. فأرسلا له قطف عنب مع خادم لهما اسمه عداس، فلما اخذ رسول الله العنب قال: بسم الله واكل فقال عداس: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فقال له رسول الله: ((ومن أهل أي بلاد أنت يا عداس وما دينك؟)). قال: نصراني وأنا رجل من أهل نينوى. فقال رسول الله: ((من قرية الرجل الصالح يونس بن متى)). فقال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله: ((ذلك أخي كان نبياً وأنا نبي)). فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه. فلما رجع عداس قالا له: ويلك يا عداس ! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي.

فلما اطمأن عليه الصلاة والسلام توجه بالدعاء الى الله قال: ((اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة إلا بك)). ثم رجع رسول الله الى مكة مهموما محزونا، حيث لم يلق القبول من ثقيف كما كان يأمل. (البداية والنهاية ج٣ص٣٨) (المنتظم ج٢ص٢٦).
واستمر عليه الصلاة السلام يعرض نفسه على القبائل ويخرج اليهم، وكان كلما أتى قبيلة تبعه عمه أبو لهب فإذا فرغ رسول الله من كلامه يقول لهم أبو

لهب: يا بني فلان إنما يدعوكم هذا إلى أن تستحلوا اللات والعزى من أعناقكم وحلفاءكم من الجن إلى ما جاء به من الضلالة والبدعة، فمنهم من امن ومنهم من اعرض.

قصة الاسراء والمعراج

وقع خلاف في وقت الاسراء فقيل قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل: بسنة واحدة واختلفوا في الموضع الذي أسري برسول الله ـ ﷺ ـ منه فقيل: كان نائما بالمسجد في الحجر فأسري به منه وقيل: كان نائمًا في بيت أم هانئ بنت أبي طالب، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] فلما كان ذلك حمل عليه الصلاة والسلام على البراق نحو المسجد الأقصى فلما انتهى إلى باب المسجد نزل فدخل المسجد فإذا الأنبياء: بأرواحهم وقيل بأجسادهم فسلموا عليه فقال: يا جبرائيل من هؤلاء قال: إخوانك من الأنبياء سلهم هل كان لله عز وجل شريك أو ولد قال تعالى ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزُّخرُف: ٤٥] فأقروا بالوحدانية لله عز وجل ثم جمعهم جبريل وقدمه فصلى بهم ركعتين. وقيل بل كانت صلاته بهم بعد نزوله من السماء، نزلوا معه فصلى بهم، والله اعلم.

ثم صعد به جبريل من صخرة بيت المقدس الى السماء، فلقى في الأولى ادم، وفي الثانية يحيى وعيسى، وفي الثالثة يوسف، وفي الرابعة ادريس، وفي الخامسة هارون، وفي السادسة موسى، وفي السابعة إبراهيم، عليهم الصلاة والسلام، فلما انتهى الى سدرة المنتهى تأخر جبريل وتقدم عليه الصلاة والسلام الى الحضرة الإلهيه، وهناك فرض الله سبحانه عليه خمسين صلاة في اليوم والليلة، ثم لم يزل يتردد بين موسى عليه السلام وبين الحضرة، حتى وضعها الله الى خمس صلوات باجر خمسين صلاة، وقد دخل عليه الصلاة والسلام الجنة ورأى من عجائبها، كذلك رأى النار وما فيها من اهوال،

فلما رجع إلى مكة اخبر الناس بذلك، فمن بين مصدق ومكذب، ومصفق

وواضع يده على رأسه. وارتد ناس ممن كان آمن به وصدقه قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]. وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر فقالوا: إن صاحبك يزعم كذا وكذا! فقال: إن كان قال ذلك فقد صدق، إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، فسمي أبو بكر (الصديق) من يومئذ. ثم سأله الناس ان يصف لهم المسجد الاقصى، فصوره الله امامه، لا يسألونه عن شيء منه إلا اجاب، ثم سألوه عن قافلة لهم فذكر اشياء حصلت فيها وذكر مكانها، ووقت وصولها، فلما وصلت كما وصف، ما ازدادوا إلا تكذيبا قالوا: هذا سحر مبين. (المنتظم ج٢ص٢٧) (البداية والنهاية ج٣ص٣٧) (الكامل ج١ص١٧).

قال بعض السلف كان الاسراء بالروح مناما، وقال اخرون بل يقظة بالروح والجسد منهم ابن عباس قال: كانت رؤيا عين، يؤيد ذلك سياق القصة وتكذيب قريش له، اذ لو كان مناما لما كان ذلك غريبا يستدعي التكذيب، والقول الثاني الارجح والله اعلم. قلت ومهما كان ذلك مناما او يقظة فهو حق وصدق رسول الله عليه افضل الصلاة وأتم التسليم. ثم جاء جبريل عليه السلام من صبيحة يوم الاسراء، فصلى برسول الله الصلوات الخمس بأوقاتها، يصلي رسول الله بصلاة جبريل والمسلمون يصلون بصلاة رسول الله، فاعلمه بداية وقت كل صلاة، ثم جاءه من الغد فصلى به على اخر وقت كل صلاة والله اعلم. قال ذلك ابن عباس وجابر عن رسول الله قال: ((أمني جبرائيل عند البيت مرتين)). (البداية والنهاية ج٣ص٣٧).

ابتداء اسلام الانصار

قلنا ان رسول الله ﷺ كان مجتهدا في الدعوة الى الله، فلم يترك معتمرا ولا حاجا اتى مكة وله شرف وذكر في قومه، إلا عرض عليه الاسلام طمعا في اسلامه وإسلام من وراءه من قومه، فلما كانت السنة الحادية عشرة من البعثة، خرج في الموسم الى العقبة فلقي جماعة من الخزرج من اهل يثرب فعرض عليهم دعوته سرا، فاسلم منهم ستة نفر وقيل سبعة على رأسهم اسعد بن زرارة، وتعاهدوا ان يلتقوا رسول الله من قابل - اي في الحج القادم - فلما عادوا الى المدينة عرضوا الاسلام على من يثقون به، فاسلم كثير منهم وفشا الاسلام في كثير من دور المدينة. (الكامل ج١ص١٨).

بيعة العقبة الأولى

ولما كان موسم الحج من السنة التالية، خرج اثنا عشر رجلا ممن اسلم مع من خرج من مشركي المدينة للحج، منهم ثلاثة من الاوس، فالتقوا برسول الله عليه الصلاة والسلام اواسط ايام التشريق عند العقبة سرا فبايعوه، روى عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى، ونحن اثنا عشر رجلاً أنا أحدهم، فبايعناه على بَيْعة النساء على أن لا نشرك بالله شيئًا ولا نَسْرق ولا نَزْني. ولا نقتل أولادنا ولا نأتَي ببهتان نَفْتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف وذلك قبل أن تُفْرَضَ الحربُ. قال: فإن وَفَيتم بذلك فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر. (البخاري برقم ١٨) وقوله على بيعة النساء أي: وفق ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية (البداية والنهاية ج٣ ص٣٩).

ولما انصرفوا الى المدينة سالوا رسول الله ان يبعث معهم رجلا يفقههم، فأرسل معهم مصعب بن عمير فنزل على أسعد بن زرارة، فخرج به أسعد يوما الى منازل بني عبد الأشهل، فجلس الى حائط في دار بني ظفر، واجتمع عليهما رجالٌ ممن أسلم. وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة، وأسيد بن حضير وهما يومئذٍ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه. فلما سمعا به، قال سعد لأسيد: انطلق إلى هذين الرجلين فازجرهما وإنهما أن يأتيا دارينا ويسفها ضعفاءنا، فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، تحرج ان يطرده لأنه ابن خالته. فقدم عليهما اسيد غاضبا وقد اخذ حربته فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كففنا عنك ما تكره؟ قال: أنصفت، فجلس فكلمة مصعب بالإسلام وقرا عليه القران، فهداه الله فاسلم. ثم رجع الى سعد بن معاذ فاحتال عليه ليأتيهم وقال له: قد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحقروك، فقام سعد بن معاذ مغضباً مبادراً تخوفاً للذي ذكر له من بني حارثة، وأخذ الحربة في يده ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً. ثم خرج سعد إليهما فلما رآهما مطمئنين، عرف أن أسيداً إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتماً فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمراً رغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفت ثم ركز الحربة

وجلس فعرض عليه مصعب الإسلام وقرأ عليه القرآن. فشهد شهادة الحق فاسلم، ثم أخذ حربته فأقبل عائداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن الحضير، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل: كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا. قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرامٌ حتى تؤمنوا بالله ورسوله. قال: فوالله ما أمسى في دار عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا أو مسلمة. ثم لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، (المنتظم ج٢ص٢٧) (البداية والنهاية ج٣ص٣٩).

بيعة العقبة الثانية

ولما كانت السنة الثالثة عشرة من البعثة، خرج رسول الله عليه الصلاة والسلام في ليلة اوسط ايام التشاريق، فتسلل اليه قيل سبعون وقيل ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من الانصار، ممن قدموا مكة للحج في غفلة من مشركي قومهم، وكانوا تواعدوا على اللقاء، فاجتمع بهم رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس بالعقبة في منى، وكان العباس يومئذ كافرا ولكنه اراد ان يستوثق لرسول الله منهم، فتكلم العباس فقال: يا معشر الخزرج (وكانت العرب تسمى الخزرج والأوس خزرجا) إن محمدًا منا حيث قد علمتم في عز ومنعة وإنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه، فأنتم وذلك وإن كنتم ترون أنكم مسلموه فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة. فقال الأنصار: قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك وربك ما أحببت. فتكلم رسول الله وتلا القرآن ورغب في الإسلام ثم قال: تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب. فاعترض الكلام أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الناس حبالاً وإنا قاطعوها يعني اليهود، فهل عسيت إن أظهرك الله عز وجل أن ترجع إلى قومك وتدعنا، فتبسم رسول الله - ﷺ - وقال: بل الدم الدم والهدم الهدم أنتم مني وأنا منكم أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم. فقال العباس بن عبادة الأنصاري: يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل، تبايعونه على حرب الأحمر والأسود، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبةً، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه فمن الآن فدعوه، فهو والله خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة. قيل وما قال العباس بن عبادة ذلك إلا ليشد العقد له عليهم، (قال ذلك عاصم بن عمر بن قتادة) وقيل ليحضر عبد الله بن

أبي بن سلول فيكون أقوى لأمر القوم، وكان سيدا في قومه ـ لعنه الله ـ (قال ذلك عبد الله بن أبي بكر) قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله قال: الجنة. قالوا: ابسط يدك فبايعوه، فكان أول من بايعه أبو أمامة أسعد بن زرارة وقيل: أبو الهيم بن التيهان وقيل: البراء بن معرور. ثم قال رسول الله ﷺ: أخرجوا إلى اثني عشر نقيبًا يكونون على قومهم، فأخرجوهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس. فقال لهم: ((أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي ـ يعني: المسلمين ـ)) . قالوا: نعم ! وهذه هي البيعة الثانية، وكانت البيعة في هذه العقبة على غير الشروط في العقبة الأولى، فإن الأولى كانت على بيعة النساء وهذه البيعة كانت على حرب الأحمر والأسود. (الكامل ج١ص١٨) (المنتظم ج٢ص٢٧) (البداية والنهاية ج٣ص٣٩).

الهجرة الى المدينة

علمت قريش بما كان من اهل يثرب، وإسلامهم وإعطاءهم العهد للنبي بنصرته وتأيده، فازداد اذاهم للمسلمين بمكة واشتدوا في تعذيبهم وفتنتهم، فأمر عليه الصلاة والسلام اصحابه بالهجرة الى المدينة، فهاجروا جماعات وأفرادا يفرون بدينهم الى الله، على غفلات من قريش، فمنهم من تمت له الهجرة ومنهم من لحقت به قريش فحبسته، فمنهم من صبر على دينه ومنهم من فتن، وكان ممن تأخر مع رسول الله عليه الصلاة والسلام، ابو بكر الصديق وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما. ورسول الله ينتظر اذن الله له بالهجرة. وخافت قريش ان يهاجر فتقوى شوكته بالأنصار فيجمع لحربها، فاجتمعوا في دار الندوة يتشاورن في امره، فمن قائل نحبسه حتى يموت، ومن قائل ننفيه ونخرجه، ومن قائل نقتله، ثم اتفقوا على ان يخرج من كل قبيلة شاب جلد بسيف صارم، فيسيروا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حربهم، فيرضوا بالعقل اي بالدية والصلح، فجاءه جبريل عليه السلام فقال: لا تبت الليلة على فراشك. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

لما علم رسول الله بمكرهم، اخبر ابا بكر الخبر، فاستأجر عبد الله بن

أريقط يدلهما على الطريق، وأمر ببعيرين كان اعدهما للسفر ان يجهزا، ثم خرجا الى غار ثور يستخفيان فيه، وتخلف علي لينام في فراش رسول الله تلك الليلة، حتى يعمي على قريش خروجهما، وليدفع الودائع التي كانت عند رسول الله لأصحابها ثم يلحق به، فمكثا في الغار ثلاثة ايام يأتيهما عبد الله بن ابي بكر بالأخبار ليلا، وتأتيهما اسماء بنت ابي بكر بالزاد نهارا، ويمر بالغار عامر بن فهيرة مولى ابي بكر يرعى غنمه حوله ليعفي على اثارهما. وكان رسول الله لما خرج تلك الليلة ورجال قريش مجتمعون على بابه، يرصدونه حتى ينام ليفتكوا به اعمى الله ابصارهم، فخرج من بينهم ونثر التراب على رؤوسهم وهو يتلو صدر سورة يس الى قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس: ٩] فلم يستفيقوا حتى اصبحوا فوجدوا عليا يقوم من فراش رسول الله، قيل فأخذوه فضربوه ساعة ثم تركوه. ولما فقدت قريش رسول الله وأبا بكر، اشتدت في طلبهما، وجعلت لمن يأتي بهما او يدل عليهما مائة ناقة، فكان ان وصل بعض رجالها الى الغار بأيديهم الرماح والهراوات، فلما صاروا اعلاه رأوا على بابه نسج العنكبوت، وحمامتان وحشيتان على بيضهما فقالوا: لو كان فيه احد لما رقدت الحمامتان ولتلف نسج العنكبوت، فخاف ابو بكر وقال: والله يا رسول الله لو نظر احدهم اسفل قدميه لرآنا، فقال رسول الله: لا تحزن يا ابا بكر فان الله معنا، او كما قال عليه الصلاة والسلام، قال تعالى:﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

مضت ثلاثة ايام وهم في الغار وسكن الطلب، فجاء دليلهما بالبعيرين فركبا وانطلقا الى المدينة وصحبهما عامر مولى ابي بكر يخدمهما، فلما كانوا في بعض الطريق لحق بهما سراقة بن مالك ليأخذهما، وقد طمع في جائزة

قريش (الإبل المائة)، فقال ابو بكر: ادركنا الطلب يا رسول الله، فدعا رسول الله قال «اللهم اكفنا بما شئت“ فغاصت قوائم فرس سراقة في الأرض الى بطنها فثبت مكانه فقال سراقة: يا محمد ادع الله يخلصني واكف عنك الطلب، فدعا الله فتخلص، فانطلق اليهما ليأخذهما، فدعا رسول الله ثانية فعاد لأشد مما كان عليه وغاصت قوائم الفرس فقال سراقة: قد علمت يا محمد ان هذا بدعائك، فادع الله يخلصني ولك عهد الله ان ارد عنك الطلب، فدعا رسول الله فتخلص فقال سراقة: يا رسول الله ان ابلي بمكان كذا فخذ منها حاجتك، فقال عليه الصلاة والسلام: لا حاجة لي بإبلك، فلما أراد أن يعود قال له رسول الله: كيف بك يا سراقة إذا سورت بسواري كسرى قال: كسرى بن هرمز قال: نعم. فعاد سراقة فكان لا يلقاه أحد يريد الطلب إلا قال: كفيتم ما ها هنا ولا يلقى أحدًا إلا رده عنهما. ثم انطلقوا وفي الطريق مروا بخيمة ام معبد، وعندها شاة تخلفت عن الغنم لما بها من ضعف وهزال ولا لبن فيها، فمسح عليه الصلاة والسلام على ضرعها وقال بسم الله، فصحت كأنها ليست هي، فاحتلبها وسقى ام معبد وأصحابه وشرب، ثم انطلقوا فلقيهم الزبير في ركب من المسلمين، كانوا تجارا قافلين من الشام إلى مكة، فكسى الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض، ثم اكملوا طريقهم الى المدينة. (البداية والنهاية ج٣ص٤٠) (المنتظم ج٣ص٢٨) (الكامل ج١ص١٨).

دخول المدينة

لما علم المسلمون في المدينة بخروج رسول الله من مكة مهاجرا، صاروا يترصدون قدومه في كل يوم على مداخل المدينة وهم في غاية الفرح والبهجة، فلما كان يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول في السنة الثالثة عشرة من البعثة، وصل عليه الصلاة والسلام منازل بني عمرو بن عوف، فأقام عند كلثوم بن الهدم وقيل عند سعد بن خيثمة اربعة ايام، والمسلمون يتوافدون للسلام عليه، فأسس مسجد قباء قال تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[التوبة: ١٠٨]، ثم ارتحل فدخل المدينة ومن يومئذ سميت مدينة الرسول، والمدينة المنورة والمدينة اختصارا، وكانت من قبل تسمى

يثرب. فكان عليه الصلاة والسلام راكبا ناقته القصواء مرخيا زمامها، لا يمر بدار من دور الانصار إلا تعلقوا به، واخذوا بخطام ناقته يلتمسون نزوله عندهم، فيقول ﷺ: دعوها فإنها مأمورة، فمضت حتى بركت في مربد لغلامين يتيمين من بني النجار، فاشتراه منهما وبنى فيه مسجده وحجراته، وكان اول عمل قام به عند دخوله، وأقام في بيت ابي ايوب الانصاري حتى اكتمل بناء منزله. (البداية والنهاية ج٣ص٤٠) (الكامل ج١ص١٩).

ولما وصل عليه الصلاة والسلام الى المدينة المنورة، اتخذها دار مقام ووضع فيها اسس الدولة الاسلامية، وعاش فيها السنوات العشرة الاخيرة من حياته، فبني فيها القواعد الاساسية للمجتمع الاسلامي، وكان من اهم تلك القواعد وأكثرها اثرا في تقوية الروابط بين المسلمين، عملية المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، والتي شملت النسب والإرث وبقيت سارية الى ان نزل قول الله سبحانه: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾[الأنفال: ٧٥] فنسخت ما كان قبلها وانقطعت المؤاخاة في الميراث ورجع كل إنسان إلى نسبه وورثه ذوو رحمه. وبقيت المؤاخاة في الدين والمعروف، كما وضع عليه الصلاة والسلام دستورا للمدينة، بين فيه ان المسلمين امة واحدة، وبين فيه العلاقات بينهم، ومالهم وما عليهم تجاه بعضهم البعض وتجاه الله ورسوله من جهة، وتجاه من والاهم ولحق بهم من جهة اخرى، كما نظم علاقتهم باليهود وما لهم وما عليهم، ووادعهم واشترط لهم وشرط عليهم، كل ذلك في تفصيلات واضحة، وان مرد كل خلاف الى الله ورسوله للحكم فيه، وقد عد ابن كثير من بنوده سبعة وأربعين بندا وتكلم عليها بالتفصيل والشرح (البداية والنهاية ج٣ص٤٢)، فحمل لواء الاسلام وانتشر في بقاع الأرض، الى يومنا هذا والى ان يرث الله الأرض ومن عليها بإذن الله، وبقيت كذلك الى ان توفاه الله، فكانت من بعده عاصمة الدولة مدة الخلافة الراشدة، الى ان انتقل ثقل الدولة الى دمشق عاصمة خلفاء بني امية.

احداث السنة الأولى من الهجرة

منذ دخل عليه الصلاة والسلام المدينة، بدأت معالم الدولة الاسلامية في الظهور، فصار المسجد وهو اول واهم مؤسسة في الدولة، مكان العبادة والشورى وعقد الويه الجهاد ومكان اتخاذ القرارات. ومن اهم احداث السنة الأولى وحسب تسلسلها الزمني، اقامة اول صلاة جمعة في الاسلام على الارجح، فان رسول الله لما ركب من قباء متوجها الى المدينة يوم الجمعة، أدركه وقت الزوال وهو في دار بني سالم بن عوف فصلى بالمسلمين الجمعة هنالك في واد يقال له: وادي رانوناء فكانت أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ بالمسلمين بالمدينة أو مطلقا، لأنه والله أعلم لم يكن يتمكن هو وأصحابه بمكة من الاجتماع حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة وإعلان بموعظة، وما ذاك إلا لشدة مخالفة المشركين له وأذيتهم إياه. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]، ثم كان اقرار رسول الله ﷺ الاذان على ما هو عليه الآن، فقد رأى عبد الله بن زيد الخزرجي الآذان والإقامة في منامه، فذكر ذلك لرسول الله فاستحسنه وقال « إن هذه لرؤيا حق ان شاء الله" فعلمه بلالاً. فأذن به، فاخذ رسول الله النوم يوما فتأخر عن صلاة الفجر، فصرخ بلال (الصلاة خير من النوم)، قال سعيد بن المسيب: فأدخلت هذه الكلمة في الأذان إلى صلاة الفجر فكان بلال يؤذن بذلك. وكان النداء للصلاة قبل ذلك: الصلاة جامعة.

وفيها على رأس سبعة أشهر عقد رسول الله - ﷺ - لعمه حمزة لواء أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين، ليعترضوا عير قريش فلقي أبا جهل في ثلاثمائة رجل، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني ولم يحصل قتال، وكان يحمل اللواء أبو مرثد وهو أول لواء عقد في الاسلام. وفيها اول من دفن من المسلمين بالبقيع، اسعد بن زرارة من الانصار، وعثمان بن مظعون من المهاجرين، رضي الله عنهما. وزيد في هذه السنة في صلاة الحضر، فكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين، فبقيت صلاة السفر ركعتين وصارت



صلاة الحضر، الظهر والعصر والعشاء اربع ركعات والمغرب ثلاث، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [النساء: ١٠١] (الكامل ج١ص١٩) (المنتظم ج٣ص٢٩) (البداية والنهاية ج٣ص٤٢).

السنة الثانية من الهجرة

سرية عبد الله بن جحش

بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش في عدد من المهاجرين الى نخلة بين مكة والطائف، لرصد تحركات قريش واستطلاع اخبارها، فلما نزلوا بها مرت عير لقريش آخر يوم من رجب، فيها اربعة رجال فقتلوا واحدا واسروا اثنين وفر واحد، وغنموا ما معهم ورجعوا إلى المدينة. فلما قدموا قال لهم رسول الله ﷺ «ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام"، فوقف العير والأسيرين فظنت السرية ان قد هلكوا، وعنفهم المسلمون لما رأوا انكار رسول الله لعملهم، وقالت قريش: قد استحل محمد الشهر الحرام. فأنزل الله: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ﴾ [البقرة: ٢١٧] فقبض رسول الله - ﷺ - العير، وكانت أول غنيمة أصابوها وفدى الأسيرين. احدهما الحكم بن كيسان اسلم وحسن إسلامه وقتل يوم بئر معونة شهيدا. (الكامل ج١ص١٩).

تحويل القبلة الى المسجد الحرام

كان النبي ﷺ يصلى إلى بيت المقدس، ولما كان في مكة كان يجعل الكعبة بين يديه، فلما هاجر الى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما، فصلى إلى بيت المقدس واستدبر الكعبة ستة عشر أو سبعة عشر شهرا إلى رجب من السنة الثانية، وقيل شعبان والله أعلم، وكان ﷺ يحب أن تكون قبلته إلى البيت الحرام نحو الكعبة، فأنزل الله: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤] فتوجه عليه الصلاة والسلام في صلاته الى الكعبة فصارت قبلة المسلمين من يومئذ.

غزوة بدر الكبرى

سمع المسلمون ان ابا سفيان بن حرب اقبل في الف بعير، في تجارة عظيمة لقريش من الشام في رمضان في السنة الثانية للهجرة، فندب رسول

الله المسلمين للخروج اليها واعتراضها، ولم يجهز جيشا، فلما سمع ابو سفيان بذلك، أرسل الى قريش يستنفرهم فخرجوا في تسعمائة وخمسين رجلاً، وقيل ألف رجل معهم مائة فرس وسبعمائة بعير. وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، وقيل كانوا سبعة وسبعين وقيل ثلاثة وثمانون من المهاجرين والباقون من الأنصار، ولم يكن فيهم غير فارسين، وكانت الإبل سبعين بعيرًا فكانوا يتعاقبون عليها، وكان اللواء مع مصعب بن عمير والراية مع علي بن أبي طالب، وعلى الساقة قيس بن أبي صعصعة الأنصاري. وقد تخلف عن رسول الله رجال من اكابر الصحابه، لا عن جبن ولا تقصير، ولكنهم ظنوا ان الخروج انما هو لاعتراض العير، ولم يتوقعوا حربا، ولما وصل رسول الله بدرا، اشار عليه الحباب بن المنذر قال: ننزل ادنى بئر منها ونبني حوضا ونملأه ماء ونغور باقي الابار، فنشرب ولا يشربون ثم نقاتلهم. ففعل رسول الله ﷺ ذلك. وقريش قريب منهم خلف كثيب كأنما التقوا على موعد قال تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ﴾ [الأنفال: ٤٢].

وكان ابو سفيان لما تيقن خروج المسلمين الى بدر، سار بالعير الى طريق الساحل وأرسل الى قريش وقد صاروا بالجحفة، ان العير نجت فارجعوا. فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا فنقيم بها ثلاثًا، فننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا أبدًا. فرجع بنو زهرة، وذكرت قريش ما بينها وبين بني بكر من العداوة، فخافوا ان خرجوا ان يأتوهم من خلفهم فهموا بالرجوع، فجاءهم إبليس في صورة سراقة بن مالك المدلجي، وكان من اشراف كنانة فقال: أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨] فخرجوا سراعا. فنزلوا بالعدوة القصوى. ولما رأى المسلمون كثرة قريش ولم يكن لهم إلا الله ثم سيوفهم، اخذهم الجهد ولجؤوا الى الله بالدعاء، فأرسل الله المطر فأصاب رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه منه، ما لبد لهم الأرض ولم يمنعهم المسير، وأصاب قريشًا منه ما

لم يقدروا على أن يرحلوا معه. قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١]، ثم اشار سعد بن معاذ ان يبنى لرسول الله عريش، ولما صف عليه الصلاة والسلام الصفوف جلس فيه يدعو الله ويسأله النصر والمعونة، والمسلمون يقاتلون بين يديه، فأمدهم الله بالملائكة تثبتهم وتقاتل معهم قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] فكانت الملائكة تأتي الرجل في صورة رجل يعرفه فيقول له: أبشروا فإنهم ليسوا بشيء والله معكم كروا عليهم. فلما رأى إبليس وهو مع قريش في صورة سراقة الملائكة فر هاربا وهو يقول: إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: ٤٨] فأقبل أبو جهل يحرض أصحابه ويقول: لا يهولنكم خذلان سراقة إياكم فإنه كان على موعد من محمد وأصحابه ثم قال: واللات والعزى لا نرجع حتى نفرق محمدا وأصحابه في الجبال فلا تقتلوهم وخذوهم أخذا.

وفي صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان دارت رحى المعركة وابلى المسلمون بلاء حسنا، فأمكنهم الله من عدوهم، فقتلوا سبعين من السادات والأشراف من ائمة الكفر على رأسهم أبوجهل وأمية بن خلف، واسروا سبعين اسيرا، وغنموا الاموال، واخزى الله الكافرين وأيد المؤمنين، وظهر الحق وزهق الباطل، وسمى سبحانه هذه المعركة بيوم الفرقان قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] فلما انتهت المعركة وعاد المسلمون الى المدينة، فدى رسول الله الاسرى فمنهم من فدي بالمال ومنهم من فدي بتعليم عشرة من الغلمان القراءة والكتابة، فعاتبه الله في ذلك قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧] وكان جميع من قتل من المسلمين ببدر أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين

وثمانية من الأنصار. (الكامل ج١ص١٩) (المنتظم ج٣ص٣٠) (البداية والنهاية ج٣ص٤٤) باختصار والله اعلم.

غزوة بني قينقاع

قيل جمع رسول الله ﷺ بني قينقاع في سوقهم، في النصف من شوال لما رجع من بدر فخطبهم فقال: (يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم). فقالوا: يا محمد إنك ترى أنا قومك لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة أما والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس. وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٢]، وبعد ايام قدمت امرأة مسلمة الى سوقهم فباعت بضاعة معها، ثم جلست الى صائغ منهم ليصنع لها شيئا، فربط الصائغ طرف ثوبها الى ظهرها فلما قامت انكشفت عورتها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، فتكاثر اليهود عليه فقتلوه، فثار المسلمون فحاصروهم خمس عشرة ليلة، فلما تمكنوا منهم نزلوا على حكم رسول الله فأراد قتلهم، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول فقال: يا محمد أحسن في موالي وكانوا حلفاء الخزرج قال: فأبطأ عليه رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أحسن في موالي فأعرض عنه. فأدخل يده في جيب درع رسول الله فغضب رسول الله وقال: ((ويحك أرسلني)). قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمائة حاسر وثلثمائة دراع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة إني والله أمرؤ أخشى الدوائر. فقال له رسول الله ﷺ: ((هم لك)). وفيه نزل قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢]، وكان بين عبادة بن الصامت وبين بني قينقاع حلف، فلما حاربوا رسول الله مشى الى رسول الله فخلعهم وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم وقال: يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم. وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، ثم

أمر عليه الصلاة والسلام بإجلائهم وغنم المسلمون ما كان لهم من مال فكان أول مال خمس في الإسلام بعد بدر، وكانوا اول اليهود نقضا لعهد رسول الله. فكان مثلهم كمثل الكفار في بدر قبلهم قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الحشر: ١٥] (البداية والنهاية ج٤ص٤٨).

السنة الثالثة من الهجرة

غزوة احد

لما اصاب المشركين ما اصابهم في بدر من الهزيمة والذل، ولما عادت قريش الى مكة مشى رجال ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر فكلموا أبا سفيان ومن كانت له تلك العير التي بسببها كانت غزوة بدر فقالوا: يا معشر قريش إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثأرا ففعلوا. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦] ثم اجتمعت قريش ومشت بأحابيشها، ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة لحرب المسلمين. في شوال سنة ثلاث للهجرة، وكان على راس الناس ابو سفيان بن حرب، وقد خرجوا بنسائهم ليكون اثبت لهم على القتال، وقد وعد جبير بن مطعم عبده وحشي بن حرب، وكان حبشيًا يقذف بالحربة قلما يخطئ فقال له: اخرج مع الناس فإن قتلت عم محمد، يقصد حمزة رضي الله عنه، بعمي طعيمة بن عدي فأنت عتيق. وحرضته هند بنت عتبة على ذلك.

ولما وصلت قريش في ثلاثة آلاف مقاتل، مقابل المدينة قبلي احد سمع بهم المسلمون، فكان رأي رسول الله ﷺ أن يقيم بالمدينة فيقاتلهم فيها، فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدرا: نخرج إليهم نقاتلهم بأحد، يرجون ان يصيبوا ما اصاب اهل بدر من الاجر والغنيمة، وما زالوا برسول الله ﷺ حتى لبس أدوات الحرب، ثم ندموا وقالوا: يا رسول الله أقم فالرأي رأيك. فقال لهم: ما ينبغي لنبي أن يضع أداته بعد ما لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه. فخرج

بهم بعد صلاة الجمعة على النصف من شوال في الف مقاتل، فلما صاروا في منتصف الطريق رجع عبد الله بن ابي ابن سلول ـ لعنه الله ـ في ثلاثمائة من قومه ومن المنافقين، فبقي مع رسول الله سبعمائة مقاتل من صحابته. وهذا هو المشهور والله اعلم. واتبعهم عبد الله بن عمرو السلمي يحاول ردهم، ومنعهم من خذلان رسول الله فقالوا لو نعلم قتالا ما رجعنا، وهم يعلمون ان القتال قائم فالعدو على ابواب المدينة، ولكن حملهم على ذلك النفاق، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ﴾ **[آل عمران: ١٦٧].**

جعل المسلمون ظهورهم الى احد، وأمر ﷺ خمسين من الرماة ان يكونوا على الجبل، يحمون ظهور المسلمين ولا ينزلوا عن الجبل، ايا كانت النتيجة نصرا او هزيمة حتى يأمرهم بذلك، وجعل اميرهم عبد الله بن جبير. ويوم السبت التقى الجمعان فاقتتلوا قتالا شديدا، وأثخن المسلمون الكفار فهزموهم وهربت نساءهم الى الجبل، وأنزل الله نصره على المسلمين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ﴾ **فلما رأى الرماة ذلك أقبل اكثرهم يريدون الغنائم وخالفوا أمر رسول الله وثبتت قلة، فلما رأى خالد بن الوليد ذلك وكان على ميمنة خيالة قريش وكان مشركا، حمل عليهم فقتلهم وتبعه عكرمة بن ابي جهل، فحملوا على المسلمين من خلفهم. فلما رأى المشركون خيلهم تقاتل ارتدوا على المسلمين، قال تعالى:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ﴾ **[آل عمران: ١٥٢]، قال ابن عباس نزلت هذه الاية في الرماة، وقتل مصعب بن عمير وكان معه اللواء، وكان الذي قتله ابن قمئة الليثي وهو يظن أنه رسول الله ﷺ فرجع إلى قريش فقال: قتلت محمدا. فصاح صائح من المشركين: قتل محمد، فلما سمع المسلمون ذلك تبلبلت صفوفهم وانهزموا،**

وهربوا الى الجبل وثبت رسول الله في قلة من الصحابة، قال تعالى: ﴿ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٣] وكان ممن ثبت سعد بن ابي وقاص يرمي بالنبل، وأبو دجانة جعل من ظهره ترسا دون رسول الله، وعدد من الصحابة رضي الله عنهم، منهم على بن ابي طالب وأبو بكر وعمر وطلحة والزبير والحارث بن الصمة وأبو عبيدة وغيرهم، يضربون بالسيوف، ومرت بهم ام عمارة نسيبة بنت كعب معها سقاء فقاتلت معهم بالسيف رضي الله عنها، فكسرت رباعية رسول الله ـ ﷺ ـ وشقت شفته وكلم في وجنته وجبهته، وكمن وحشي لحمزة رصي الله عنه فقذفه بالحربة فقتله، فلما انتهت الحرب ورأى رسول الله حمزة قد بقرت بطنه، ومثل به وبكثير من القتلى قطعت اذانهم وأنوفهم قال: (ولئن أظهرني الله على قريش لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم). وقال المسلمون: لنمثلن بهم مثلةً لم يمثلها أحد من العرب فانزل الله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ [النحل: ١٢٦] فصبروا وعفا رسول الله ونهى عن المثلة. وقتل من المسلمين يومئذ سبعون شهيدا رضي الله عنهم. وقيل اكثر والله اعلم، فصلى عليهم رسول الله، ودفنوا في ارض المعركة. وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون.

وكان ابو سفيان لما انتهت المعركة جاء فقال: افي القوم محمد، فقال رسول الله لا تجيبوه، فنادى بها ثلاثا ثم قال: افي القوم ابن ابي قحافة، افي القوم ابن الخطاب، فلما لم يجبه احد قال: أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم، فما ملك عمر نفسه أن قال: كذبت والله يا عدو الله إن الذين عددتهم لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك فقال: يوم أحد بيوم بدر والحرب سجال، ثم قال: اعل هبل، فقال رسول الله قولوا: «الله اعلى وأجل فقال: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله قولوا: «الله مولانا ولا مولى لكم“. فلما أراد أبو سفيان أن ينصرف نادى: موعدكم بدر العام المقبل فقال رسول الله ﷺ لرجل من

أصحابه: "قل نعم هو بيننا وبينكم موعد». (الكامل ج١ص٢٠) (المنتظم ج٣ص٣١) (البداية والنهاية ج٤ص٤٩).

غزوة حمراء الاسد

لما انتهى المسلمون من دفن شهداء احد وعادوا الى المدينة، قدم رجل من اهل مكة على رسول الله فسأله عن ابي سفيان فقال: تركتهم يتلاومون وقد اجمعوا على الرجوع اليكم لاستئصالكم، فأمر رسول الله ﷺ بالخروج اليهم، ليظنوا ان بالمسلمين قوة مع ما بهم من المصاب فيهابوهم وقال: ((لا ينطلقن معي إلا من شهد القتال)) فاستجابوا لله ولرسوله ولم يخرج إلا من شهد احدا قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، خرج المسلمون وما فيهم إلا جريح او مصاب، فنزل رسول الله بحمراء الاسد، على ثمانية اميال من المدينة، فأمرهم رسول الله ان يتفرقوا وان يشعلوا النيران، فكانت لهم اكثر من خمسمائة نار، وأمرهم بإحداث الجلبة، حتى يتحدث من سمعهم ورآهم بكثرتهم، فتسمع قريش بذلك فتهابهم، وهم على الحقيقة ضعفاء مكلومين، فمر به معبد الخزاعي وهو يومئذ مشرك، ولكن هواه وهوى خزاعة كان مع رسول الله فقال: يا محمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك، ولوددنا أن الله عافاك فيهم، ثم خرج من عنده وذهب الى ابي سفيان فلقيه بالروحاء، وقد اجمعت قريش العودة الى المدينة للقضاء على رسول الله ومن معه، فلما رأى أبو سفيان معبدا قال: ما وراءك يا معبد ؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا، وفيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط. قال: ويلك ما تقول؟ قال: والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل. قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل شأفتهم. قال: فإني أنهاك عن ذلك ووالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيه أبياتا من شعر. ثم انشد ابياتا يصف قوة المسلمين وكثرتهم وعزمهم على القضاء على ابي سفيان ومن معه، اخترت منها:

كادت تهد من الأصوات راحلتي إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل

تردى بأسد كرام لا تنابلة عند اللقاء ولا ميل معازيل

فقلت ويل ابن حرب من لقائكم — إذا تغطمطت البطحاء بالجيل

إني نذير لأهل البسل ضاحية — لكل ذي أربة منهم ومعقول

من جيش أحمد لا وخش قنابله — وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه وقذف الله في قلوبهم الرعب، فعادوا الى مكة وكفى الله المؤمنين القتال. فأقام المسلمون ثلاثة ايام ثم عادوا الى المدينة. وفي ذلك قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣](البداية والنهاية ج٤ص٥٠) باختصار.

السنة الرابعة للهجرة

غزوة بدر الصغرى (السويق)

بعد سنة من غزوة احد، خرج رسول الله ﷺ فنزل بدرا، على موعد ابي سفيان الذي تواعدا عليه بعد أحد للقتال، وقد اخذ المسلمون معهم بضائع وقالوا: ان كان قتال قاتلنا وان لم يكن بعنا واشترينا، وخرج ابو سفيان من مكة الى الموعد في عدد من رجالات قريش وفرسانها، وكانت سنة جدب وليس معهم طعام إلا السويق، فلما وصل قيل الى عسفان رأى ان يرجع فرجع، وجلس رسول الله ثمانية ليال ينتظره، وكانت بدر سوقا للعرب، فباع المسلمون واشتروا، ولما لم يأت ابو سفيان عاد المسلمون ولم يلقوا كيدا قال تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾ [آل عمران: ١٧٤] والنعمة انه لم يكن قتال فلم يقتل احد، والفضل هو ما اصابوا من التجارة. اما ابو سفيان فلما رجع هزأت قريش به وبمن معه وقالوا: إنما خرجتم تشربون السويق. فسميت كذلك بغزوة السويق.

اجلاء بني النضير

أرسل عامر بن الطفيل إلى النبي يطلب دية عامريين قتلهما عمرو بن

أمية، وهو لا يعلم عهدهم مع رسول الله، فخرج ﷺ إلى بني النضير يستعينهم فيها ومعه جماعة من أصحابه، فقالوا: نعم نعينك، ثم تآمر بعضهم على قتله وهو جالسٌ إلى جنب جدار فقالوا: من يلقي عليه صخرة فيقتله ويريحنا منه فانتدب له عمرو بن جحاش، واخبر الله سبحانه رسوله بما عزموا عليه فقام وقال لأصحابه: لا تبرحوا حتى آتيكم، وخرج راجعًا إلى المدينة فلما أبطأ قام أصحابه في طلبه، فأرسل اليهم فأخبرهم الخبر وما ارادت اليهود من الغدر، وأرسل الى اليهود ان اخرجوا من بلدي، فأرسل إليهم عبد الله بن أبي بن سلول وأهل النفاق: ان اثبتوا ولا تخرجوا، ولان قوتلتم لنقاتلن معكم، فقويت نفوسهم وتحصنوا في الحصون قال تعالى:

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْ﴾ [الحشر: ٢]، فخرج المسلمون فحاصروهم قيل خمس عشرة ليلة، وقطعوا النخل وأحرقوا الزروع، فلما رأوا ان المنافقين لم ينصروهم ولم يفعلوا شيئا، قذف الله في قلوبهم الرعب، فأرسلوا الى رسول الله ان يخرجوا بأموالهم وذراريهم دون السلاح، فأمهلهم ثلاثة ايام، وليس للرجل إلا بعيره وما حمل، وقال ابن عباس لكل ثلاثة بعير والله اعلم، فهدموا بيوتهم وحملوا اموالهم وخرجوا، بعضهم الى الشام وبعضهم الى خيبر قال تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحشر: ٢].

وقد خص الله رسوله بكل غنائمهم من الاراضي والزروع والدواب، وحده دون المسلمين يضعها حيث شاء، لأنه لم يكن قتال فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة ذكرا فقرا فأعطاهما وأضاف بعضهم إليهما الحارث بن الصمة. فقسم نفقة سنة وما بقي جعله في السلاح قال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧] قيل كان جلاء بني النضير بعد بدر بستة أشهر قبل أحد، وفيهم نزلت سورة الحشر بكاملها. وفيها بين الله حكم الفيء، فهو للمهاجرين والأنصار وحيث شاء الله، ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان وهما: يامين بن عمير وأبو سعيد بن وهب فرد اليهما رسول الله اموالهما. (الكامل ج١ص٢١) (البداية والنهاية ج٤ص٥١). وقال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض آل يامين: أن رسول الله ﷺ قال ليامين: (ألم تر ما لقيت من ابن عمك، وما هم به من شأني؟) فجعل يامين لرجل جعلا على أن

يقتل له عمرو بن جحاش، فقتله لعنه الله. (السيرة النبوية ج٤ ص٧٠).

السنة الخامسة للهجرة

غزوة الاحزاب وتسمى الخندق

لما اخرج يهود بنو النضير من المدينة خرج نفر منهم: سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وكنانة ابن الربيع وغيرهم، فقدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: نكون معكم حتى نستأصله فأجابوهم إلى ذلك، ثم أتوا على غطفان فدعوهم الى ذلك وأخبروهم أن قريشًا معهم فأجابوهم، فخرجت قريش معها القبائل من المشركين، منهم بني فزارة ومرة وأشجع قاصدين المدينة، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ، استشار اصحابه، فأشار سلمان الفارسي بحفر الخندق، فأمر رسول الله بحفره وعمل فيه عليه الصلاة والسلام بيده طلبا للأجر وحثا للمسلمين على العمل. فاعترضتهم صخرة فضربها ﷺ ثلاث ضربات فانصدعت، وأضاء في كل ضربة برق عظيم، فبشرهم بالأولى بقصور كسرى، وفي الثانية بقصور الروم، وفي الثالثة بقصور اليمن، انها تكون لهم، فقال المنافقون: يعدهم بذلك ولا يستطيعون الدفع عن المدينة فانزل الله فيهم: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ **[الأحزاب: ١٢].**

فلما وصلت الاحزاب الى المدينة نزلت قريش ومن تابعها من كنانة وتهامة، بمجتمع الأسيال من رومة في عشرة آلاف مقاتل، ونزلت غطفان ومن تابعهم إلى جنب أحد، وجعل المسلمون النساء والذراري في الحصون، وخرجوا فجعلوا ظهورهم إلى جبل سلع في ثلاثة آلاف مقاتل، وخرج حيي بن أخطب الى بني قريظة، ولم يزل بهم حتى حملهم على الغدر بالنبي ونكث العهد، فلما رأى المنافقون ذلك جبنوا وتخلوا عن رسول الله، وقالوا نخاف على بيوتنا ونساءنا غدر اليهود، ورجعوا الى المدينة قال تعالى: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ **[الأحزاب: ١٣] فعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأحاط الكفر والشرك بالمسلمين من كل**

مكان، قال تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠] ظن المؤمنون بالله خيرا واملوا نصره، وانخذل المنافقون فرجعوا الى المدينة. واستمر حصار المدينة بضعًا وعشرين ليلة، فلما اشتد البلاء اراد رسول الله ان يوادع غطفان على ثلث ثمار المدينة على ان يرجعوا، فاستشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فقالا: يا رسول الله شيء تحب أن تصنعه، أم شيء أمرك الله به، أو شيء تصنعه لنا قال: بل لكم رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم. فقال سعد بن معاذ: قد كنا نحن وهم على الشرك ولا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة إلا قرىً أو بيعًا، فحين أكرمنا الله بالإسلام نعطيهم أموالنا! ما نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فترك رسول الله ذلك.

ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعي أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت ولم يعلم قومي فمرني بما شئت. فقال له: (إنما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة) . فخرج فأتى بني قريظة وكان نديمًا لهم في الجاهلية فقال لهم: قد ظاهرتم قريشًا وغطفان وإنهم إن رأوا نهزة وغنيمة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين محمد ولا طاقة لكم به، فلا تقاتلوا حتى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم ثقةً لكم حتى تناجزوا محمدًا. قالوا: أشرت بالنصح. ثم خرج فأتى قريشًا فقال لأبي سفيان: قد بلغني أن قريظة ندموا وأرسلوا إلى محمد: ايرضيك عنا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم فأجابهم: أن نعم. فإن طلبت قريظة منكم رهنًا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم رجلاً واحدًا. ثم خرج الى غطفان فقال: أنتم أهلي وعشيرتي. وقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم. ولما اراد الله ان ينجز وعده، أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى بني قريظة، إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدًا. فأرسلوا إليهم: لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنًا ثقةً لنا فإنا نخشى أن ترجعوا إلى بلادكم وتتركونا لمحمد فيقتلنا. فلما بلغ قريش وغطفان ذلك قالوا: والله لقد صدق نعيم بن مسعود فأرسلوا إلى قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحدًا. فقالت قريظة: إن الذي ذكر نعيم بن مسعود لحقٌ.

ولما صار ذلك اوقع الله الخلاف بين الاحزاب، ثم أرسل عليهم ريحا شديدة اقتلعت خيامهم وأطفات نيرانهم وكفأت قدورهم، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [الأحزاب: ٩] فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش والله لقد هلك الخف والحافر وأخلفتنا قريظة ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فإني مرتحل. ثم قام إلى جمله فركبه وانطلق فلحقت قريش به، وسمعت غطفان بما فعلت قريش فعادوا راجعين إلى بلادهم فلما عادوا قال رسول الله ﷺ: (الآن نغزوهم ولا يغزوننا). ولم يحدث في تلك الايام التحام ولكن مناوشات بين فرق وفرق، وأصيب سعد بن معاذ بسهم في كاحله، وقتل عمرو بن ود قتله على بن ابي طالب، قال ابن إسحاق: لم يقتل يوم الخندق من المسلمين إلا ستة نفر وقتل من المشركين ثلاثة. وانفض الاحزاب عن المدينة وكفى الله المؤمنين القتال، فلم يكن بينهم إلا رمي بالنبل والحجارة. قال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، وقد كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة عند الجمهور والله اعلم. (الكامل ج١ص٢١) (المنتظم ج٣ص٣٢).

غزوة بني قريظة

لما رد الله كيد الاحزاب وارتدوا بغيظهم لم يلقوا خيرا، عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة، ووضع المسلمون السلاح، فلما كان الظهر أتى جبرائيل النبي ﷺ فقال: أقد وضعت السلاح قال: نعم. قال: ما وضعت الملائكة السلاح وإن الله يأمرك بالمسير إلى بني قريظة وأنا عامد إليهم فمزلزل بهم. فأمر رسول الله مناديًا فنادى: من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة. وكانوا نقضوا عهد رسول الله ومالوا الاحزاب على المسلمين، فانطلق المسلمون اليهم فحاصروه قريبا من الشهر، يترامون بالنبل والحجارة، فلما اشتد عليهم الحصار والبلاء وقذف الله في قلوبهم الرعب، سالوا رسول الله ان يرسل اليهم ابا لبابة بن عبد المنذر وهو انصاري من الاوس، فاستشاروه ان ينزلوا على حكم رسول الله، فأشار الى حلقه، يعني الذبح، ثم ندم فاسترجع

فقال: خنت الله ورسوله فانصرف فارتبط في المسجد حتى أنزل الله توبته، فأرسلوا الى رسول الله ننزل على حكم سعد بن معاذ، وكان سعد حليفا لهم قبل الاسلام، فأمر بهم رسول الله ﷺ فكتفوا ونحوا ناحية. قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ [الأحزاب: ٢٦]. ثم جيء بسعد وكان يطبب في مسجد رسول الله من جرحه الذي اصابه يوم الخندق. فقال: عليكم عهد الله وميثاقه إن الحكم فيهم إلي قالوا: نعم، فالتفت إلى الناحية التي فيها رسول الله وقال: وعلى من ههنا العهد أيضًا فقالوا: نعم. وقال رسول الله ﷺ: نعم. قال: فإني أحكم أن تقتل المقاتلة وتسبى الذرية والنساء وتقسم الأموال، فقال له رسول الله ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة. أي من فوق سبع سموات.

ثم أمر رسول الله بالخنادق فحفرت، فضرب أعناقهم وفيهم حيي بن أخطب وكعب بن أسد سيدهم وقيل: كانوا ما بين سبعمائة وثمانمائة، ولم تقتل منهم إلا امرأة واحدة، القت رحا من الحصن على احد المسلمين فقتلته فقتلت به، وغنم المسلمون سلاحهم وأموالهم وسبيت ذراريهم ونساءهم قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٧] واسلم منهم يومئذ ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد. فردت اليهم اموالهم وذراريهم. وكانت الغنائم ألفًا وخمسمائة سيف وثلاثمائة درع وألفي رمح، وألفا وخمسمائة ترس وحجفة، وجمالاً كانت نواضح وماشية كثيرة. فاخرج رسول الله ﷺ الخمس، وقسم أموالهم فكان للفارس ثلاثة أسهم، للفرس سهمان ولفارسه سهم، وللراجل سهم فكان أول فيء وقع فيه السهمان والخمس. (الكامل ج١ص٢١) (المنتظم ج٣ص٣٢) (البداية والنهاية ج٤ص٥٣) باختصار.

السنة السادسة للهجرة

صلح الحديبية

خرج رسول الله ﷺ معتمرًا في ذي القعدة سنة ست من الهجرة، لا يريد حربًا ومعه جماعة من المهاجرين والأنصار ومن تبعه من الأعراب، وأحرم بالعمرة وساق الهدي معه سبعين بدنه ليعلم الناس أنه إنما جاء زائرًا للبيت. فلما بلغ عسفان علم ان قريشا قد اجتمعت بذي طوى لتمنعه من دخول الحرم، فغير طريقه فسلك ثنية المرار على مهبط الحديبية فبركت به ناقته فقال المسلمون: خلأت القصواء، (اي حرنت) فقال: "ما خلأت ولكن حبسها حابس الفيل أما والله لا يسألوني اليوم خطة فيها تعظيم حرمة الله (وفي رواية صلة رحم) إلا أعطيتهم إياها". ثم قال للناس: انزلوا. فنزلوا بالوادي. وكان الناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر وعن جابر بن عبد الله وآخرون قال: كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة. (وفيما ارى انه لا تناقض بين الروايتين، فان من قال سبعمائة قد يكون اخذ بعدد من خرج من المدينة، وذلك قوله - عن كل عشرة نفر بدنة - ومن يقول اربع عشرة مائة فقد يكون اخذ بعدد من خرج من المدينة مضافا اليه من تبعهم من غير اهل المدينة، والله اعلم). ثم جرت بينه عليه الصلاة والسلام وبين قريش مراسلات، فأرسل اليهم عثمان بن عفان يفاوضهم، فاحتبسته قريش فبلغ المسلمين أن عثمان قد قتل. فلما بلغ رسول الله ذلك قال: ((لا نبرح حتى نناجز القوم)) ودعا إلى البيعة فبايعوه بيعة الرضوان تحت الشجرة لم يتخلف منهم احد إلا الجد بن قيس، وكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت. وقيل على ان لا يفروا. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠] ثم أتى الخبر أن عثمان لم يقتل. وبعثت قريش سهيل بن عمرو إلى النبي - ﷺ - ليصالحه على أن يرجع عنهم عامه، فتراجعا في الكلام، ثم جرى بينهم الصلح على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، وأنه من أتى منهم رسول الله بغير إذن وليه رده إليهم، ومن جاء قريشًا ممن مع رسول الله لم يردوه عليه، ومن أحب أن يدخل في عهد رسول الله دخل، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش دخل، فدخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ، ودخلت بنو بكر في

عهد قريش، واتفقوا أن يرجع رسول الله ﷺ عنهم عامه ذلك، فإذا كان عام قابل خرجوا عن مكة فيدخلها بأصحابه، فيقيم بها ثلاثًا على ان يكون سلاح الراكب السيوف في القرب. وشهد على الصلح جماعة من المسلمين وجماعة من المشركين. وفي ذلك قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٤] قال ابن كثير في التفسير (قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا حماد، عن ثابت، عن أنس بن مالك قال: لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلا من أهل مكة في السلاح، من قبل جبل التنعيم، يريدون غرة رسول الله ﷺ، فدعا عليهم فأخذوا ـ قال عفان: فعفا عنهم ـ ونزلت هذه الآية. وقال: (رواه مسلم وأبو داود في سننه، والترمذي والنسائي في التفسير من سننيهما، من طرق، عن حماد بن سلمة، به). وفي روايات من طرق اخرى قيل خمسون وقيل ثلاثون فارسا، والله اعلم. (التفاسير).

وكان كثير من المسلمين غير راضين عن الصلح، ورأوا أنهم انما يعطون به الدنية في دينهم، ولكنهم قبلوا ذلك طاعة لله ولرسوله، فانزل الله سكينته عليهم وصبرهم وثبتهم ووعدهم نصرا قريبا، فاطمأنت قلوبهم واستكانوا لأمر الله قال تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] فكان الفتح القريب كف ايدي الناس عنهم، وقال بعض السلف هي خيبر وهو الارجح والله اعلم، وفتح قريب اخر عندما يأذن الله به ويقدرهم عليه، قال كثير من الصحابة: لم نكن نعلم إلا انه فتح مكة، اذ لم يقدروا في سنتهم هذه على دخولها. قال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الفتح: ٢١] ولما فرغ عليه الصلاة والسلام من قضيته قال: قوموا فانحروا ثم احلقوا فما قام أحد حتى قال ذلك مرارًا، فلما لم يقم أحد منهم دخل على أم سلمة فذكر لها ذلك فقالت: يا نبي الله اخرج ولا تكلم أحدًا منهم حتى تنحر بدنك وتحلق شعرك، ففعل فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وحلقوا وهم في غم شديد.



ولما رجع رسول الله الى المدينة جاءه أبو بصير رجل من قريش وقد أسلم، فبعثوا رجلين في طلبه فرده معهما فقتل أحدهما في الطريق وهرب الآخر، فقدم أبو بصير على رسول الله ﷺ فقال: وفيت بذمتك يا رسول الله فقال ﷺ: «ويل أمه مسعر حرب» ففهم أنه سيرده، فذهب إلى ساحل البحر فجلس في طريق قريش، وخرج إليه جماعة ممن كان محبوسًا بمكة منهم: أبو جندل بن سهيل بن عمرو. فصاروا نحوًا من سبعين، وكانوا يعترضون أموال قريش، فأرسلت قريش إلى رسول الله ﷺ يناشدونه أن يرسل إليهم، فمن أتاه منهم فهو آمن، فأرسل إليهم رسول الله ﷺ فقدموا المدينة. (الكامل ج١ص٢٢) (المنتظم ج٣ص٣٣) (البداية والنهاية ج٤ص٥٥) **باختصار.**

السنة السابعة للهجرة

غزوة خيبر

لما عاد رسول الله ﷺ من الحديبية، نزلت عليه في الطريق سورة الفتح وفيها قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴾ [الفتح: ١٨] فلما استراح المسلمون قرابة الشهر، نادى رسول الله بالمسلمين في المحرم سنة سبع من الهجرة بالخروج إلى خيبر، فخرجوا في ألف وأربعمائة رجل معهم مائتا فارس، فنزل بجيشه بالرجيع ليحول بين أهل خيبر وغطفان لأنهم كانوا مظاهرين لهم، فقصدت غطفان خيبر لنصرة اليهود ثم خافوا ان يرجع المسلمون الى أهليهم وأموالهم فرجعوا، فسار ﷺ الى خيبر وهي حصون كثيرة منيعة لليهود فوصلها ليلا، ولم يعلم أهلها فخرجوا عند الصباح إلى اعمالهم ومزارعهم، فلما رأوا الجيش عادوا وأغلقوا الابواب، وتحصنوا في حصونهم، فحاصرهم المسلمون وضيقوا عليهم، ثم حدث قتال شديد ومبارزات الى ان فتح اول حصونهم وهو حصن ناعم وفيه اموالهم، ثم حصن الصعب وفيه طعامهم، ثم توالى فتح الحصون، وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام قد اشتكى من الشقيقة فلم يخرج يومين، فأعطى الراية علي بن ابي طالب ففتح الله عليه اخر حصونهم.

فلما انتهى القتال انزلوا من الحصون، وقتل رسول الله مقاتلتهم وسبى نساءهم وغنم اموالهم، ثم وادع من بقي منهم على ان تحقن دماؤهم على ما عندهم من السلاح، وعلى النصف من زروعهم وثمارهم وليس لهم ارض ولا نخل، وعلى ان يخرجهم متى شاء، وكان فتحها في صفر. واستشهد من المسلمين قيل خمسة عشر رجلاً، وقتل من اليهود ثلاثة وتسعين رجلاً. قال تعالى: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ ﴾ [الفتح: ٢٠]، وقد اختلف اهل التفسير في المغانم الكثيرة فقال بعضهم: هي مغانم خيبر وهي المعجلة، وقال بعضهم: هي سائر الغنائم بعد ذلك من العرب والفرس والروم، اما كف ايدي الناس فقيل: كف يد قريش عنهم يوم الحديبية، وقال اخرون: كف يد اليهود عن اهلهم في المدينة يوم خروجهم في الحديبية وخيبر، والله اعلم. (الكامل ج١ص٢٢) (المنتظم ج٣ص٣٣)

(البداية والنهاية ج٤ص٥٦).

عمرة القضاء

وكانت في ذي القعدة بعد عام من صلح الحديبة على ما هو متفق عليه، فخرج رسول الله ﷺ، معتمراً عمرة القضاء مكان عمرته التي صدته قريش عنها. وخرج المسلمون ممن كان صد معه في عمرته تلك، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه حسب اتفاقهم، وتحدثت قريش فيما بينها أن محمداً في عسرة وجهد وشدة، وفيه وفي اصحابه ضعف. فصفوا له رجالا عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد قال: ((رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوة)). ثم استلم الركن، ثم خرج يهرول ويهرول أصحابه معه، حتى إذا واراه البيت منهم، واستلم الركن اليماني مشى حتى استلم الركن الأسود، فهرول كذلك ثلاثة اشواط ومشى سائرها. ثم صارت من بعد سنة، ومكث بمكة ثلاثة ايام، وفي هذه العمرة نزل قول الله سبحانه: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧] فكان دخول المسجد بهذه العمرة في امان، وعلى مرأى ومسمع ورضى من المشركين وهم راغمين، وكان دون ذلك فتح خيبر وهو الفتح القريب. والله اعلم.

السنة الثامنة للهجرة

فتح مكة

قلنا ان خزاعة دخلت في حلف رسول الله وعهده يوم صلح الحديبية، وان بكرا دخلت في حلف قريش وعهدهم، وكان في الصلح الهدنة بين رسول الله وقريشا عشرة سنين، فلما مضى نحو الثمانية عشر شهرا، كان رجال من خزاعة على ماء لهم قريب من مكة يقال له الوتير، فسمع احدهم رجلا من بكر يتغنى بهجاء رسول الله، فضربه فاسال دمه، فلما كان الليل وثبت بكر على خزاعة فقتلوا منهم عشرين رجلا، وإعانتهم قريش بالرجال والسلاح والدواب وقاتلوا معهم متخفين، فاستنصرت خزاعة رسول الله، واخبروه ان قريشا نقضت عهد الحديبية، ثم ندمت قريش فأرسلت ابا سفيان بن حرب الى المدينة يجدد العهد ويزيد في المدة، فأبى رسول الله فانصرف عائدا الى مكة،

وأمر رسول الله اصحابه بالجهاز وكتمهم مخرجه وسأل الله أن يعمي على قريش خبره حتي يبغتهم في بلادهم. فلما تجهز المسلمون وتهيؤا اعلمهم ان المسير الى مكة، وخرج لعشر مضين من رمضان في عشرة آلاف من المسلمين، وبمن والاه من العرب من أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم، فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه في الطريق. وقيل كانوا اثنا عشر ألفا.

ولما كان رسول الله في بعض الطريق، لقيه عمه العباس مهاجرا الى المدينة مسلما، فأمره ان يسير بأهله الى المدينة ثم يلحق به. ثم نزل ﷺ في مر الظهران، وهناك لحق به العباس، فلقي ابا سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء، وقد خرجوا يتجسسون لقريش، وقد هالهم ما رأوا من كثرة المسلمين ومن معهم من العرب، فقال العباس لأبي سفيان: ويلك اسلم قبل ان تضرب عنقك، ثم سار بهم الى رسول الله فاسلموا، قال العباس: فقلت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا ؟ قال: ((نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن)) وكانت بأعلى مكة وزاد عروة: ((ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن)). وكانت بأسفل مكة وعن الزهري: ((ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن)). فلما ذهب لينصرف قال عليه الصلاة والسلام: ((يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل - طرقه - حتى تمر به جنود الله فيراها)). وذلك اذلالا له وترهيبا.

ثم وزع رسول الله عليه الصلاة والسلام الرايات على امرائه، ودخل مكة بالمسلمين من جهاتها دون قتال، إلا ما كان من كتيبة خالد بن الوليد حيث دخل من الليط اسفل مكة، فلقيه صفوان بن امية، وعكرمة بن ابي جهل، وسهيل بن عمرو، في جماعة من المشركين، فاعترضوا المسلمين فقاتلوهم فقتل من المسلمين اثنان وقيل ثلاثة، وقتل من المشركين اثنا عشر وقيل ثلاثة عشر، ثم انهزموا ولم يحدث غير ذلك قتال والله اعلم. وكان رسول الله أمر امراءه ان لا يقاتلوا إلا من قاتلهم. غير انه اهدر دم عدة رجال ونساء، فقتل منهم من قتل، وهرب من هرب، واسلم بعضهم وحسن اسلامهم.

وكان دخول مكة يوم الجمعة لثلاث عشرة بقين من رمضان وقيل لعشر والله اعلم. دخلها عليه الصلاة والسلام وهو خافض رأسه تواضعًا لله تعالى حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى إن أسفل لحيته ليمس واسطة الرحل، وقد دخل من أذاخر بأعلاها وضربت قبته هناك. ثم طاف بالبيت سبعا وهو على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده. وكان حول الكعبة ثلاثمائة

وستين صنما فكسرها وهو يتلو: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١] ثم دخل الكعبة فأمر بطمس صور لإبراهيم وإسماعيل وهما يستقسمان بالأزلام، وصور للملائكة وغيرهم، فصلى ركعتين، وقيل لم يصل بها والله اعلم، ثم وقف بباب الكعبة، والناس من قريش في المسجد وقوف لا يدرون ما هو فاعل بهم، فحمد الله واثنى عليه ثم قال: ((يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم ؟)). قالوا: خيرا أخ كريم وابن أخ كريم. قال: ((اذهبوا فأنتم الطلقاء)). فعفا عنهم وكان الله قد أمكنه منهم وكانوا له فيئًا فلذلك سمي أهل مكة الطلقاء. ثم اجتمع الناس في الصفا لبيعة رسول الله ﷺ، فكان يبايعهم على الإسلام وعلى السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، فكانت هذه بيعة الرجال. فلما فرغ من الرجال بايع النساء على أن لا يشركن بالله شيئًا. واشترط عليهن وشرط لهن واستغفر لهن ﷺ. وقد اسلم في ذلك اليوم وما بعده خلق كثير وفشا الاسلام في جزيرة العرب قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ١-٣] (البداية والنهاية ج٤ص٦٠) (الكامل ج١ص٢٣) (المنتظم ج٣ص٣٤).

غزوة حنين

لما سمعت هوازن بفتح مكة، خافت أن يغزوها رسول الله بعد الفتح، وقالت: نغزوه قبل أن يغزونا، فجمعها مالك بن عوف النصري. واجتمع إليه ثقيف يقودها قارب بن الأسود، واجتمعت معهم احلاف ثقيف، ولما بلغ رسول الله ﷺ خبرهم، سار اليهم لست خلون من شوال، ومعه ألفان من مسلمة الفتح مع عشرة آلاف من أصحابه فكانوا اثني عشر ألفًا، فلما رأى المسلمون كثرتهم قالوا: لن نغلب اليوم من قلة، فلما وصلوا وادي حنين وهو واد منحدر نزلوا به في غبش الصبح، وكان القوم قد سبقوهم اليه وكمنوا في شعابه ومضايقه وقد تهيأوا وأستعدوا، فلما نزل المسلمون فجأهم القوم، وشدوا عليهم شدة رجل واحد فانهزم المسلمون، ورأوا من كثرة عدوهم وبأسه ما لم يتوقعوه قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ

عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥].

انحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ثم قال: "يا أنصار الله وأنصار رسوله أنا عبد الله ورسوله». وانحاز معه جماعة من اهل البيت ومن المهاجرين والأنصار. وتشفى بعض من اسلم من اهل مكة يوم الفتح بالمسلمين، حتى ان شيبة بن عثمان وكان ابوه قتل في احد، حاول قتل رسول الله ولكن الله منعه، فقال رسول الله للعباس وكان جهير الصوت: يا عباس اصرخ يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة! (يقصد اصحاب بيعة الرضوان) ففعل فأجابوه: لبيك لبيك! فكان الرجل يريد أن يثني بعيره فلا يقدر، فيأخذ سلاحه ثم ينزل عنه ويؤم الصوت، فاجتمع على رسول الله ﷺ مائة رجل، فاستقبل بهم القوم وقاتلهم قتالاً شديدًا، ثم أخذ حفنة من تراب فرمى به في وجوههم فكانت الهزيمة، فما اجتمع المسلمون على رسول الله إلا والأسارى في الحبال عنده وقيل: نزل شيء أسود من السماء سقط بين القوم فإذا نمل أسود مبثوث فكانت الهزيمة. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾**[التوبة: ٢٦] ولما اشتد القتال ورأى رسول الله من المسلمين البأس قال: «الان حمي الوطيس" وهو اول من قالها، ثم اخذ حفنة من تراب ورمى به وجوه المشركين وهو يقول: "انهزموا ورب الكعبة انهزموا ورب الكعبة». وقيل قال: «شاهت الوجوه" فلما هزمهم الله لحق المسلمون بفلولهم، فقتل يومئذ من ثقيف وهوازن سبعون رجلاً، أما الأحلاف فقتل منهم رجلان لأنهم انهزموا سريعًا. وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا فجمعت إلى الجعرانة، واستشهد من المسلمين نفر رضي الله عنهم وأرضاهم،** (الكامل ج١ص٢٣) (المنتظم ج٣ص٣٤) (البداية والنهاية ج٤ص٦٢).

السنة التاسعة من الهجرة

غزوة تبوك

سمع رسول الله ﷺ ان هرقل ملك الروم، قد جمع الجيوش من الروم ومن متنصرة العرب، من لخم وجذام وعاملة وغسان واعد لغزوه، فأمر المسلمين

بالتجهز للمسير اليه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣] وكان ذلك صيفا والحر شديد والسنة مجدبة والناس في عسرة، فتجهز الناس على كره لبعد المسافة وضيق ذات اليد، فسمي ذلك الجيش، جيش العسرة. فقال المنافقون بعضهم لبعض: ﴿لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّ﴾ [التوبة: ٨١] ومنهم من قال اخشى على نفسي الفتنة من نساء الروم قال تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓ﴾ [التوبة: ٤٩]، وأرسل ﷺ الى الاعراب حول مكة للمسير معه فتخلفوا دونما سبب واعتذروا فلم يعذرهم الله قال تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [التوبة: ٩٠] ومن المؤمنين من تخلف لا عن نفاق ولا عن ردة ولكن كسلا وتهاونا، ومنهم الثلاثة الذين تابوا فتاب الله عليهم. ومنهم قيل سبعة لما عاد رسول الله اعتذروا اليه، وربطوا انفسهم في سواري المسجد وقالوا: لا نحل وثاقنا حتى يحله رسول الله قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢] ومنهم من تخلف ثم ندم فلحق كابي خيثمة رضي الله عنه، ومنهم من ابطأ به جمله كابي ذر رضي الله عنه فتخلف، ثم لحق بالجيش ماشيا، والبقية المؤمنة تجهزت بما قدرت عليه وسارت مع الجيش، ومنهم من لم يجد ما يتجهز به او يحمل عليه، فسالوا رسول الله ان يحملهم فقال: ﴿لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾[التوبة: ٩٢] فانصرفوا يبكون قال تعالى: ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾[التوبة: ٩٢]، فسموا البكائين رضي الله عنهم.

وفي هذه الغزوة انفق الموسرون على المعسرين، فانفق ابو بكر كل ما بقي من ماله، وانفق عثمان نفقة عظيمة لم ينفق احد مثلها، قيل ثلاثمائة بعير والف دينار. ثم سار رسول الله ﷺ بالجيش في رجب سنة تسع من الهجرة، وهم ثلاثون ألفا والإبل اثنا عشر ألفا والخيل عشرة آلاف. فلقوا في الطريق شدة. ولما انتهى عليه الصلاة والسلام الى تبوك اقام بها بضع عشرة

ليلة، وقيل عشرين ليلة ولم يجاوزها، ولم يقدم عليه الروم والعرب المتنصرة فعاد إلى المدينة. ولم يلق كيدًا وكان هرقل يومئذ بحمص. وخلال اقامته صالح عددا من اهل تلك النواحي، فصالح صاحب ايلة على الجزية وكتب له كتابًا فبلغت جزيتهم ثلاثمائة دينار، وصالح أهل أذرح على مائة دينار في كل رجب وصالح أهل جرباء على الجزية وصالح أهل مقنا على ربع ثمارهم. وأرسل خالد بن الوليد الى أكيدر صاحب دومة الجندل، فأسره وجاء به الى رسول الله ومعه سبي ومال وسلاح، فحقن دمه وصالحه على الجزية واخلى سبيله فعاد الى قلعته.

ثم عاد رسول الله الى المدينة فوصلها في رمضان، فأرسل الى مسجد الضرار، فأمر به فحرق وهدم، ثم جاءه من تخلف، فمنهم من اعتذر فكذب، ومنهم من اعتذر فصدق، فعذر منهم من عذر وأرجأ الى الله منهم من ارجأ، فمنهم من تاب الله عليه، ومنهم من اوعده بالعذاب قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]، قال ابن إسحاق: وكانت غزوة تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ. (الكامل ج١ص٢٤) (المنتظم ج٣ص٣٤) (البداية والنهاية ج٥ص٦٦).

السنة العاشرة من الهجرة

حجة الوداع

سميت حجة الوداع. لأنه عليه الصلاة والسلام ودَّع الناس فيها ولم يحج بعدها. وسميت: حجة الإسلام، لأنه لم يحج من المدينة غيرها، ولكنه حج قبل الهجرة مرات قبل النبوة وبعدها، وقد قيل: إن فريضة الحج نزلت عامئذ، وقيل فرضت قبل ذلك والله اعلم. وسميت حجة البلاغ، لأنه عليه السلام بلَّغ النَّاس شرع الله في الحج فعرف للناس المناسك قولاً وفعلاً، ولم يكن بقي من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بينه عليه السلام، وأنزل الله عز وجل عليه وهو بعرفة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] ونزلت عليه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] فعرف المسلمون انه الوداع وانه النعي. وكان جبريل عليه السلام قد عارضه بالقران

في رمضان ذلك العام مرتين على غير العادة، وتلك اشارة اخرى لاقتراب اجله عليه الصلاة والسلام.

لما عزم عليه الصلاة والسلام على الحج، اجتمع بالمدينة بشر كثير ليأتموا به في حجه، فلما بقيت خمس من ذي القعدة او اربع، صلى الظهر في مسجده اربع ركعات وخرج، ومعه جميع ازواجه، فلما كان بذي الحليفة صلى العصر ركعتين ثم بات بها، فلما أصبح من اليوم التالي وعزم على المسير، صلى ركعتين وركب راحلته وساق الهدي، فلما استوت به لبى وأهلَّ بحج وعمرة. وقيل غير ذلك في موضع اهلاله، والأول وهو قول الجمهور ارجج والله اعلم. ولما وصل عليه الصلاة والسلام مكة لأربع خلون من ذي الحجة، اتى الكعبة فاستلم الحجر الأسود ثم رمل ثلاثة اشواط ومشى أربعة حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين ثم سعى بين الصفا والمروة، وفي يوم التروية خرج الى منى وحج بالناس فأراهم مناسكهم وعلمهم سنن حجهم، وخطب خطبته الشهيرة وكان الذي يبلغ عنه ربيعة بن أمية بن خلف، لكثرة الناس فقال بعد حمد الله: أيها الناس اسمعوا قولي فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدًا. ومما جاء في خطبته انه بين حرمة النسيء قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلۡكُفۡرِ﴾ **[التوبة: ٣٧] وبين عدد الشهور والأشهر الحرم فاقرها على ما هي عليه اليوم قال تعالى:** ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ **[التوبة: ٣٦] وبين حرمة الدماء والأموال والربا وأوصى بالنساء خيرًا. واستشهد الناس انه بلغ الرسالة فقالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وأديت. فرفع إصبعه السبابة إلى السماء وقال: ((اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات)). فجزاك الله يا رسول الله عن امتك خير الجزاء.** (الكامل ج١ص٢٥) (البداية والنهاية ج٥ص٧٠-٧١) (المنتظم ج٤ص٣٥) **باختصار.**

السنة الحادية عاشرة من الهجرة

وفاته عليه الصلاة والسلام

نزل قول الله سبحانه بعرفة ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣]: فلما سمعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكى، فقيل له ما يبكيك قال: إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان وكأنه استشعر وفاة النبي ﷺ. ولما نزلت سورة النصر قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١] الى اخر السورة، وعرف رسول الله انه ينعى الى نفسه فجمع المسلمين في منى، وخطب فيهم ومما جاء في خطبته من حديث جابر رضي الله عنه قوله: رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر ويقول «لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه». رواه مسلم (برقم ٣١٩٧). ولما عاد عليه الصلاة والسلام الى المدينة كان اول مرضه، أواخر صفر في بيت زينب بنت جحش، وكان يدور على نسائه حتى اشتد مرضه في بيت ميمونة، فجمع نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيت عائشة، فأذنّ له فانتقل الى حجرتها، وقد خرج قبل شدة مرضه الى البقيع ليلا فاستغفر لأهله. ولما اشتد به المرض خرج بين الفضل بن العباس وبين علي بن ابي طالب، يسندانه فجلس على المنبر فحمد الله واثنى عليه، ووعظ ووصى وأوصى بالأنصار خيرا، وبإنفاذ بعث اسامة وكان جهزه للمسير الى الشام، ولما ثقل عليه السلام ولم يستطع الخروج الى الصلاة، أمر ابا بكر بالصلاة بالمسلمين، فصلى بهم ثلاثة ايام وقيل سبع عشرة صلاة، وقد أمر بسد جميع الابواب الصغار التي كانت تفتح الى المسجد إلا باب ابي بكر، فذهب بعض العلماء فيما بعد الى انها وصية لأبي بكر بالخلافة، وقد جمع عليه الصلاة والسلام قبل وفاته بأيام كبار الصحابة، فرحب بهم ووصاهم ودعا لهم وودعهم وكانت اخر وصاته: «الصلاة وما ملكت ايمانكم».

ولما كان اليوم الذي قبض فيه عليه الصلاة والسلام، خرج في صلاة الصبح والناس يصلون، فنظر اليهم متبسما حتى كادوا ان يفتنوا عن الصلاة فرحا، ثم رجع فاضطجع في حجر عائشة، فلما حضره الموت رفع عينيه الى

السماء وهو يقول «بل في الرفيق الأعلى ثم اسلم الروح عليه الصلاة والسلام، وكان ذلك ضحى يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة احدى عشرة من الهجرة على ارجح الاقوال والله اعلم. فلما علم المسلمون بموته افتتنوا من هول المصيبة، حتى ان عمر بن الخطاب قال: والله ما مات رسول الله ولكنه ذهب للقاء ربه كما ذهب موسى، وليبعثنه الله وليقطعن ايدي رجال وأرجلهم. فخرج ابو بكر فخطب بالناس فقال: (إلا من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت)، ثم قرأ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، قيل (فوالله لكأن الناس لم يعلموا انها نزلت حتى تلاها ابو بكر يومئذ). ثم جُهز عليه السلام يوم الثلاثاء وصلى عليه اهل بيته ثم الرجال ثم النساء ثم الغلمان، ثم دفن مكان موته في حجرة عائشة رضي الله عنها. (الكامل ج٢ص٢٦) (المنتظم ج٤ص٣٦) (البداية والنهاية ج٥ص٧٦) باختصار.

قصص أسماء وآيات

المذكورون في القران تصريحا او تلميحا

هذا باب مختصر سأجمع فيه ان شاء الله القصص المتفرقة التي وردت في ثنايا الآيات الكريمة، وذكر فيها اشخاص بعينهم باس ماءهم الصريحة او تلميحا، وذلك بذكر اسم الشخص وقصته والآية او بعض الآيات التي نزلت فيه، فقد اقتصرت على من نزلت فيه ايات كثيرة على ذكر بعضها، لا لشيء إلا لعدم الاطالة، وقد تركت بعض القصص لان المفسرين لم يجمعوا على انها نزلت بواحد، فذكروا انها نزلت في كثيرين، فمنهم من قال نزلت في فلان، وغيره قال في فلان غيره، كذلك تركت من سموه واختلفوا في نسبه من الصحابة، او من لم استطع التحقق منه فبقي عندي مبهما. واعتمدت ارجح الروايات وتركت ما وقع فيه التعارض او الخلاف، ولمن اراد الاطلاع على التفصيل فليرجع اليه في مصادره، مع العلم اني قد اوجزت في سير الصحابة، واقتصرت على التعريف بالصحابي وببعض سيرته، وسأجمعها في ثلاثة اقسام، قسم يختص بالمؤمنين، وقسم يختص بالكفرة والمشركين، وقسم يختص بالمنافقين، (مع ملاحظة ان كثيرين منهم تابوا وحسن اسلامهم)، مع الاشارة الى الصفة الغالبة على الشخص، من ايمان او كفر او نفاق، اما من نزلت فيه اية في حال كفره ثم اسلم، فسأذكره مع المؤمنين مع الاشارة الى ذلك للتوضيح، مع ايراد ارجح اقوال العلماء والمفسرين فيها بما يتيسر ان شاء الله. مع ملاحظة ان بعض القصص لم تذكر هنا، وذلك انها ذكرت في مواضعها من قصص الأنبياء، كالذي عقر الناقة، وقارون، وهامان، والسامري، وفرعون، وغيرهم. كذلك فاني لم اذكر هنا الآيات التي نزلت خاصة برسل الله او بسيدنا محمد صلى الله عليهم وسلم، تعليما وإرشادا، او لمناسبات خاصة، وهي فوق الحصر، وذلك لان محلها كتب التفسير فذلك انسب، ولمن اراد الاطلاع عليها فليراجع كتب التفسير. علما باني قد ذكرت في قصصهم بعض تلك الآيات.

قصص المؤمنين

مؤمن ال فرعون

قصة مؤمن ال فرعون وهو الذي انذر موسى عليه السلام ان القوم يأتمرون به ليقتلوه لما وكز القبطي فقتله قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠] قيل لما اجتمع فرعون بشيعته من اكابر دولته وهم يؤلبونه على موسى عليه السلام، ويزينون له قتله، جاء هذا المؤمن اليه واعلمه بخبرهم، ونصحه بالخروج من مصر قبل ان يصلوا اليه، فخرج الى مدين خوفا من فرعون وقومه. وقيل هو الذي قال لما اتاهم موسى بالآيات ودعاهم الى الله قال: ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ [غافر: ٢٨] ثم نصحهم ووعظهم ثم خوفهم عذاب الله ونقمته قال: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ [غافر: ٣٠] وقيل بل الذي قال ذلك غيره والله اعلم. (التفاسير).

سحرة فرعون

وهم السحرة الذين جمعهم فرعون من البلاد ليحاجوا موسى عليه السلام، يوم الحشر وهو عيد القبط، فاجتمعوا اول النهار وهم كفرة يعبدون فرعون قالوا عند اجتماعهم: ﴿بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤] فقام فيهم عليه السلام خطيبا فوعظهم ونصحهم وقال: ﴿وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١] وبين لهم عاقبة الكذب على الله، وهم بين مصدق ومكذب لما يقول، ثم تمالوا فيما بينه وتشاوروا وقرروا المضي فيما اجتمعوا له وحجتهم قولهم: ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾ [طه: ٦٣] يقولون ان موسى وهارون يريدان ان تكون لهم الغلبة والحظوة عند فرعون دونكم، وذلك بان يغلب سحرهما سحركم. ﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ﴾ [طه: ٦٤] اي لا تتركوا شيئا من علمكم الا اتيتم به واستعملتموه، وكونوا صفا واحدا، حتى تعلوا بصنيعكم ويكون لكم الفلاح والفوز.

ثم بدا السجال فكانوا اول من القى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] رأى موسى والناس بأعينهم البشرية ان الحبال والعصي حيات عظيمة، تدور وتسعى في الساحة، وما ذلك إلا من اثر السحر، فخاف عليه السلام ان يفتن الناس ولكن الله سبحانه طمأنه قال تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٨] قال هم على الباطل وأنت على الحق، فأنت الغالب وأنت الاعلى. ثم القى عليه السلام عصاه فإذا هي: ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾ [طه: ٦٩] لما القاها استحالت بقدرة الله افعى حقيقية ابتلعت كل ما كانوا القوه من حبال وعصي، ولما كان السحرة يعلمون ويفرقون بين الحقيقة والسحر، تيقنوا ان ما جاء به موسى ليس سحرا، وإنما هو اية بينة من الله سبحانه. فقد استحالت العصا ثعبانا عظيما، ابتلع عصيهم وحبالهم التي بسحرهم اوهموا الناس انها صارت ثعابين حقيقية، ولكنها على الحقيقة لم تتغير عن جوهرها، فإنما هي عصي وحبال، ولكنه السحر فعل فعله بأعين الناس فرأوها ثعابين على غير حقيقتها، ولكن عصا موسى تحولت بقدرة الله ثعبانا حقيقيا، وكونهم سحرة متمرسين عرفوا تلك الحقيقة، فما كان منهم إلا ان كفروا بفرعون وامنوا بالله وسجدوا وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٤٧] فلما هددهم فرعون بالقتل والصلب وتقطيع الايدي والأرجل: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ٧١] فقالوا: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه: ٧٢] واسلموا امرهم لله قالوا: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٥١] قال ابن عباس: اصبحوا اول النهار كفرة، وأمسوا اخره مؤمنين شهداء، رضي الله عنهم. (البداية والنهاية ج١ص١٣). (التفاسير).

امرأة فرعون

قيل اسمها اسية بنت مزاحم، وقيل هي من ال فرعون، وقيل هي من بني اسرائيل والله اعلم، وكانت امرأة فرعون ملك مصر وكان كافرا وكانت مؤمنة، فلما أمر فرعون بقتل مواليد بني اسرائيل الذكور، وولد موسى عليه السلام وخافت امه عليه القتل، وأوحى الله لها ان تلقيه في اليم فوضعته في صندوق من الخشب وألقته فيه، فحمله الموج الى قصر فرعون فالتقطته الجواري، وحملنه الى اسية، فلما رأته اوقع الله محبته في قلبها، فحملته الى فرعون فلما اراد ان يذبحه قالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩] ثم استوهبته من فرعون فوهبها اياه فاتخذته ولدا، وربته تربية ابناء الملوك، فعاش في ال فرعون ما شاء الله له ان يعيش، حتى قتل القبطي وهرب الى مدين، ولما رجع الى مصر نبيا ودعا فرعون الى عبادة الله، آمنت اسية بموسى ودعت الله ان يخلصها من فرعون لكفره ومحاربته موسى عليه السلام، وقد اثنى سبحانه عليها فقال جل من قائل: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١] وقد اظهرت اسلامها فقتلها فرعون عليه لعنة الله. (البداية والنهاية ج١ص١٣). كما اثنى عليها رسول الله ﷺ، ومما جاء في حديث ابن عباس عن رسول الله انه قال: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران" رضي الله عنهن أجمعين. (رواه احمد في مسنده رقم٢٥٣٦).

الجن المؤمنون

كانت الجن قبل بعثة رسول الله يسترقون السمع من السماء، فيأخذون الكلمة فيزيدون عليها ويلقونها الى اولياءهم من الكهنة والسحرة والمشعوذين، فيضلون بها الجهلة والمغفلين من الناس، فلما كانت البعثة

منعوا من ذلك ورموا بالشهب قالوا: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩]. ومما دلت عليه الاثار مما ورد في كتب السير والتفسير، ان رسول الله ﷺ قد التقى بالجن مرتين، الاولى حين جلسوا اليه عليه الصلاة والسلام يستمعون القران وهو لا يعلم بوجودهم، وكان ذلك عند رجوعه عليه السلام من الطائف حين خرج الى اهلها يدعوهم الى الله ويلتمس عندهم النصرة والعون على ابلاغ الرسالة، ولكنهم قابلوه بالصدود بل اذوه وادموا قدميه، حين سلطوا عليه صبيانهم وعبيدهم وسفهاءهم يرمونه بالحجارة ويسبونه ويشتمونه، فالتجأ الى حائط يستريح فيه ثم خرج من الطائف راجعا الى مكة، (حتى إذا كان بنخلة ـ وهي واد بين مكة والطائف ـ قام من جوف الليل يصلي فمر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى وهم ـ قال ابن اسحق: فيما ذكر لي ـ سبعة نفر من جن أهل نصيبين فاستمعوا له؛ فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا . (السيرة النبوية ج٢ ص٢٦) فقص الله سبحانه عليه خبرهم كما في صدر سورة الجن. قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢]، فلما انتهى عليه الصلاة والسلام من قراءته رجعوا الى قومهم فاخبروهم بما سمعوا وانذروهم وقالوا: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١].

اما اللقاء الثاني فكان حين خرج عليه الصلاة والسلام من بيته ليلا الى حراء فافتقده الصحابة (قال علقمة: أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن قال: لا ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا استطير أو اغتيل ـ قال ـ فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء ـ قال ـ فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم. فقال «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن». قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في

أيديكم أوفر ما يكون لحما، وكل بعرة علف لدوابكم». فقال رسول الله ﷺ «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم» (صحيح مسلم، رقم١٠٣٥) وقد تعددت الروايات عن ابن مسعود بطرق مختلفة وبروايات وان كان في بعضها اختلاف في الالفاظ، (كما في صحيح مسلم ايضا) (وكما في مسند احمد برقم٣٩٣٥) إلا انها تدل على ان للحديث اصل صحيح يعتمد عليه في لقاء رسول الله ﷺ للجن وتبليغهم الرسالة. يؤكد ذلك ما روى الطبري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال ان رسول الله ﷺ قرى سورة الرحمن، او قرأت عنده فقال: «ما لي اسمع الجن احسن جوابا لربها منكم» قالوا: ماذا يا رسول الله قال: ما اتيت على قول (فبأي آلاء ربكما تكذبان) إلا قالت الجن: لا بشيء من نعمة ربنا نكذب. وقد روى البغوي من حديث جابر بن عبد الله بمثله. (التفاسير) وذلك يؤيد قول من ذهب الى ان رسول الله قد اجتمع بالجن ودعاهم الى الاسلام. فلما اجتمع هؤلاء النفر برسول الله يستمعون اليه، عادوا الى قومهم يبلغونهم، فمنهم من امن ومنهم من كفر قال تعالى يقولون: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٤-١٥].

قلت: ولقد اكثر المفسرون الحديث عن لقاء رسول الله ﷺ للجن، وروا احاديث عن ابن عباس في ذلك، ورووا عدة احاديث عن ابن مسعود بألفاظ وطرق مختلفة، وفي حديث ابن عمر وحديث جابر بن عبد الله (كما في المستدرك على الصحيحين برقم٣٨١٨، وفي سنن الترمذي برقم٣٦٠٢، وكما في مسند البزار عن طريق عمرو بن مالك) ومع ما في تلك الاحاديث من اختلاف، ولكن الاكيد ان رسول الله ﷺ قد لقيهم ودعاهم الى الاسلام وبلغهم الرسالة، وذلك بدلالة النصوص القرآنية المؤيدة لذلك، فالله سبحانه قد خلق الخلائق امما قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨] وجعل من هذه الامم اجناسا ثلاثة عاقلة هي؛ الملائكة، والجن، والإنس. ولما قال الكفرة ـ والعياذ بالله مما قالوا ـ ان الملائكة بنات الله، رد عليهم سبحانه قال: ﴿وَقَالُوا۟

ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧] **فالملائكة عباد مكرمون اصطفاهم سبحانه للعبادة الخالصة، ونزههم عن العصيان او فعل الذنوب قال تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩﴾ **[النحل: ٤٩-٥٠] وفي سياق تحذيره سبحانه للعصاة من عذابه قال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ **[التحريم: ٦] فالملائكة عباد مكرمون منزهون عن العصيان، لا يستكبرون عن العبادة، ويفعلون ما يؤمرون، ولا يعنيهم عند سماع أمر الله إلا ان ينفذوا الامر، لا يترددون ولا يسالون، فقد امرهم سبحانه بأمر عظيم، بل هو اعظم أمر يشق عليهم تنفيذه، ومع ذلك نفذوه دون تردد، وذلك حين امرهم سبحانه بالسجود لأدم، فماذا فعلوا؟ قال تعالى:** ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ﴾**[الحِجر: ٣٠] سجدوا وهم يعلمون ان السجود انما هو في اصله امتثال لأمر الله، وسجود اكرام لأدم، لا سجود عبادة، فإنما سجود العبادة لا ينبغي ان يصرف إلا لله سبحانه.**

ومما سبق يتبين ان الملائكة قد رفع عنهم التكليف، اما الجنسان الاخران، الجن والإنس، وهما الثقلان على ما قال المفسرون وأهل التأويل في قوله تعالى: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ **[الرحمن: ٣١]، فهم مكلفون لقوله تعالى:** ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ **[الذاريات: ٥٦] والتكليف يقتضي الطاعة او العصيان، فإما ان يقوم المكلف بالأداء على الوجه المطلوب، وإما ان يؤدي مع تقصير، وإما ان يعصي ويمتنع، وذلك يستوجب الثواب والعقاب، فمن ادى فأتم استوفى تمام الثواب، ومن ادى وقصر استوفى الثواب مع**

نقص في الاجر والدرجة، ومن عصى استحق العقاب. ولما حرم الله سبحانه على نفسه الظلم وأكد على ذلك في خمسة مواضع، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ **[آل عمران: ١٨٢]، [الأنفال: ٥١]، [الحج: ١٠]، [فُصِّلَت: ٤٦]، [ق: ٢٩]. فقد استوجب ذلك ان يبين لخلقه، والبيان يكون بإرسال الرسل قال تعالى:** ﴿ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾**[فاطر: ٢٤]، وأكد سبحانه على ارسال الرسل فسأل الثقلين قال:** ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا ﴾ **[الأنعام: ١٣٠] ومما ترشد اليه الاية الكريمة عند قوله تعالى** ﴿رُسُلٞ مِّنكُمۡ ﴾**[الأنعام: ١٣٠]انه كان للجن رسل منهم، وللانس رسل منهم، فاقروا بذلك:** ﴿قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ﴾ **[الأنعام: ١٣٠].**

وقد اخذ بذلك الضحاك بن مزاحم، ولكن ابن عباس قال: لم يكن في الجن رسل ولكن كان فيهم نذر، وقد اخذ بقول ابن عباس جمهور المفسرين، قلت والله اعلم ان قول ابن عباس انه كان في الجن نذر ولم يكن فيهم رسل هو قول فيه نظر، فان النذير انما هو في حقيقته رسول، يحمل رسالة من المرسل وهو الله سبحانه ليبلغها للمكلف، فان كان حامل الرسالة انسيا فسوف يبلغ الانس، وان كان جنيا فسوف يبلغ الجن، وكل سيبلغ قومه بلغتهم وفي اماكن تواجدهم وأوطانهم كذلك فان الله سبحانه يقول: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴾ **[الإسراء: ٩٥] اي لو كان على الارض ملائكة يعيشون مطمئنين كاهل الارض من الجن والإنس لأرسل الله لهم رسولا ملكا من جنسهم، وهذا يؤيد ان كل جنس لا بد ان يكون لهم رسول من جنسهم، رسول من الانس للأنس، ورسول من الجن للجن، ولو كان على الارض ملائكة لكان لهم من جنسهم رسول ملك، والله اعلم. وهذا يؤيد ما ذهبت اليه وهو ترجيحي لرأي الضحاك،**

كذلك فان قول الله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فان الله سبحانه قد كلف هاتين الامتين (امة الانس وأمة الجن) بالعبادة، ومن مقتضيات رحمة الله وعدله ان يبلغ المكلف بما له وبما عليه، وان يبلغ بالثواب وينذر بالعقاب، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] فان الله سبحانه لن يعذب احدا حتى تبلغه الرسالة، فان قبلها واتبعها كان له الثواب، وان رفضها وخالفها كان عليه العقاب، ولتكون لله سبحانه الحجة على خلقه قال: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩] اي ايها الناس وأيتها الامم التي كانت قبل محمد عليه الصلاة والسلام، ليس لكم عذر ان تقولوا ما جاءنا بشير بما لنا ان آمنا، او تقولوا ما جاءنا نذير بما علينا ان عصينا، فقد جاءكم بشير ونذير، ويؤكد سبحانه ذلك بقوله جل من قائل: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، قلت وذكر البشير والنذير في هاتين الايتين ـ وفي غيرهما ـ يدل على ان البشير والنذير، هم رسل الله الى خلقه، وذلك يؤيد ما ذهبت اليه من انه كان للجن رسل كما كان للأنس رسل، والله اعلم.

وأخيرا فان من مقتضيات الرسالة، الامانة في التبليغ، ولما كان رسول الله ﷺ اخر الرسل قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] فقد بعثه الله رحمة للعالمين قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فهو عليه الصلاة والسلام خاتم الرسل للعالمين جميعا، انسهم وجنهم، وقد ادى عليه الصلاة والسلام الرسالة على اتم وجه، فبلغ المكلفين وهم الانس والجن وبين لهم، وذلك يقتضي لقاء الطرفين حتى يبرئ ذمته، وحتى تكون له الحجة عليهم ان يقولوا ما بلغت. وذلك يثبت لقاءه عليه الصلاة والسلام للجن، وفي السيرة النبوية شواهد كثيرة على لقاءات فردية مع الجن لرسول الله ﷺ، كذلك لبعض الصحابة كابي هريرة مع الشيطان سارق الصدقات (كما في صحيح البخاري برقم



٥٠٦٢) وعمر بن الخطاب مع الجني الذي صارعه فصرعه عمر، كما في الصحيحين، وكقصة معاذ بن جبل مع الجني الذي دخل عليه بصورة افعى فقرأ عليه القران فصرفه. كما في دلائل النبوة للبيهقي، ولمن اراد الاستزادة فليراجع ذلك في مصادره. وليس لنا ان نسال على اي صفة كان ذلك، فليس لنا في معرفة ذلك كبير فائدة. اسال الله ان اكون قد وفقت في بيان ذلك وعلى الله قصد السبيل.

المؤمنون من البشر

ابو بكر الصديق

اول الخلفاء الراشدين ﵁

هو عبد الله بن ابي قحافة واسم ابي قحافة عثمان، يكنى ابا بكر ولقبه عتيق، وهو خليفة رسول الله وأول من اسلم من الرجال، واحد العشرة المبشرين، كان صاحب النبي ﷺ قبل البعثة، وسبق إلى الإيمان به واستمر معه طول إقامته بمكة، ورافقه في الهجرة وفي الغار وفي المشاهد كلها إلى أن مات، وكان ممن ثبت معه يوم احد، وكانت الراية معه يوم تبوك، وحج في الناس في حياة رسول الله ﷺ سنة تسع، وقال رسول الله لأبي بكر وعمر لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما، وعن عمرو بن العاص قلت: يا رسول الله أي الناس أحب إليك، قال: عائشة قلت: من الرجال قال: أبوها قلت: ثم من فذكر رجالا. روى أبوبكر عن النبي ﷺ، وروى عنه عدد كبير من الصحابة وكبار التابعين، وعن عائشة أم المؤمنين قالت: اسم أبي بكر الذي سماه به أهله عبد الله، ولكن غلب عليه اسم عتيق، وقالت كان رسول الله ﷺ وأصحابه بفناء البيت، إذ جاء أبو بكر فقال النبي ﷺ: من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر، فغلب عليه اسم عتيق، وقيل في تسميته عتيقا غير ذلك والله اعلم،

كان أنسب العرب وأعلم قريش بأنسابها، وكان مؤلفا لقومه محببا سهلا، وكانوا يألفونه لعلمه وتجاربه وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به، فأسلم على يديه عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف، وكان تاجرا، أسلم وله أربعون ألفًا فأنفقها في سبيل الله، وأعتق سبعة كلهم يعذب في الله، أعتق بلالا وعامر بن فهيرة وزنيرة والنهدية وابنتها وجارية بني المؤمل وأم عبيس، ومات وما ترك دينارًا ولا درهمًا، وما كان عنده إلا خادم ولقحة ومحلب، اوصي ان تحمل بعده الى عمر فترد في بيت المال، فلما رأى ذلك عمر يحمل إليه قال يرحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده، قيل أن أبا بكر والحارث بن كلدة اكلا خزيرة أهديت لأبي بكر، وكان الحارث طبيبا فقال لأبي بكر: أرفع يدك، والله إن فيها لسم سنة، فلم يزالا عليلين حتى ماتا عند انقضاء السنة في يوم واحد، (الإصابة ج٤ص٥١) ولما حضرته الوفاة استشار عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وشاور معهما سعيد بن زيد

أبا الأعور وأسيد بن الحضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار في استخلاف عمر، فاثنوا عليه خيرا فاستخلفه. وتوفي رحمه الله مساء ليلة الثلاثاء لثماني ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال وهو بن ثلاث وستين سنة وصلى عليه عمر بن الخطاب ودفن إلى جانب رسول الله وألصق اللحد بقبر رسول الله ﷺ

وروي بعدة طرق عن عائشة، لما ثقل رسول الله ﷺ (اي اشتد وجعه)، قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت: يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر، قال مروا أبا بكر يصلي بالناس فقالت لحفصة ان تقول كما قالت، فقالت حفصة ذلك فقال: إنكن لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس، قالت فأمروا أبا بكر يصلي بالناس فلما دخل أبو بكر في الصلاة وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة فقام يهادي بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض حتى دخل المسجد فلما سمع أبو بكر حسه ذهب يتأخر فأومأ إليه رسول الله ﷺ، قم كما أنت قالت: فجاء رسول الله حتى جلس عن يسار أبي بكر، فكان رسول الله يصلي بالناس جالسا، وأبو بكر قائما يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله والناس يقتدون بصلاة أبي بكر، وعن إبراهيم التيمي قال لما قبض رسول الله ﷺ أتى عمر أبا عبيدة بن الجراح فقال ابسط يدك فلأبايعك فإنك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله فقال أبو عبيدة لعمر ما رأيت لك فهة قبلها منذ أسلمت (اي ما رأيت لك سقطة او زلة لسان: لسان العرب) أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين، وقيل قال: أتأتوني وفيكم ثالث ثلاثة، في اشارة لقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠] ثم تمت البيعة لأبي بكر خليفة لرسول الله، (الطبقات الكبرى ج ص٣١ /٣٢).

انفق كل ماله في سبيل الله، كان بمر بالعبيد من المسلمين وهم يعذبون فيشتريهم ويعتقهم فقال له ابوه: يا بني اني اراك تعتق ضعافا فلو انك اذ فعلت ما فعلت اعتقت رجالا جلداء يمنعونك ويقومون دونك، فقال: اني انما اريد ما اريد، فنزل فيه قول الله سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ [الليل: ٥-٧] وفيه نزل قول الله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] اذ لما احاطت فرسان قريش بالغار وهو مستخف فيه مع رسول الله في طريق

الهجرة، خاف ان يعثروا عليهما فبكى فقال له رسول الله ﷺ: لا تحزن ان الله معنا، (البداية والنهاية ج٣ص٣٥) قلت وفي التيه تلميح واضح على ان المقصود ابا بكر فلم يكن في الغار غير رسول الله وغيره. وفي قصة الإفك كان مسطح بن أثاثة تكلم في عائشة رضي الله عنها، وهو من فقراء المهاجرين قريب أبي بكر كان يصله ويعطيه لفقره، فلما قال ما قال منع عنه الصلة وحلف لا يعطيه شيئا فنزل فيه قول الله سبحانه: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢] فقال ابو بكر: اني والله احب ان يغفر الله لي، وعفا عن مسطح وأعاد اليه صلته. (التفاسير).

أبو سفيان صخر بن حرب

القرشي الأموي وهو والد يزيد ومعاوية وغيرهما. ولد قبل الفيل بعشر سنين وكان من أشراف قريش وعظمائها، كان تاجرا يجهز التجار بماله وأموال قريش إلى الشام وغيرها، وكان يخرج أحيانا بنفسه وكانت إليه راية الرؤساء التي تسمى العقاب، كان من اصحاب الرأي في الجاهلية وقاد قريشا كلها يوم أحد، ولم يقدها قبل ذلك رجل واحد إلا المطلب يوم ذات نكيف. أسلم ليلة الفتح، وشهد حنيناً، مع رسول الله ﷺ، فأعطاه من غنائم حنين مائة بعير وأربعين أوقية، كما أعطى سائر المؤلفة قلوبهم، وأعطى ابنيه يزيد ومعاوية، فقال له أبو سفيان: والله إنك لكريم، فداك أبي وأمي، والله لقد حاربتك فلنعم المحارب كنت، ولقد سالمتك فنعم المسالم أنت، جزاك الله خيراً. ، قيل استعمله رسول الله على نجران، فمات رسول الله ﷺ، وهو وال عليها، وقيل غير ذلك. شهد الطائف مع رسول الله ﷺ ففقئت عينه يومئذ، وفقئت الأخرى يوم اليرموك. وكان يومئذ هو القاصّ في جيش المسلمين. يحرضهم ويحُثهم على القتال. ويقول: "يا نصر الله اقترب». وكان يقف على الكراديس (جمع كردوس وهو الفرقة من الخيالة: لسان العرب) يقص ويقول: الله الله إنكم ذادة العرب وأنصار الإسلام وإنهم ذادة الروم وأنصار المشركين. اللهم هذا يوم من أيامك اللهم أنزل نصرك على عبادك. وكان قبل اسلامه رأس المشركين يوم أحد ويوم الأحزاب، ومن اشد الناس عداوة لرسول الله، فلما اسلم حسن

إسلامه وتوفي في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين. وقيل: ثلاث وثلاثين. وقيل: إحدى وثلاثين. وقيل: أربع وثلاثين. وصلى عليه عثمان. وقيل: صلى عليه ابنه معاوية وكان عمره ثمانيا وثمانين سنة. وقيل: ثلاث وتسعون سنة وقيل غير ذلك. (أسد الغابة ص٤٣ + ص١٣١) (الإصابة ج٣ ص٤٣) (معرفة الصحابة ج٢ ص٣٨).

قيل مشى رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له في عير قريش التي نجت تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمدًا قد وَتَرَكم وقتل خيارَكم، فأعينونا بهذا المال على حربه، لعلنا أن ندرك منه ثأرًا بمن أصيب منا! ففعلوا. واستأجروا يوم أحد ألفين من الأحابيش من بني كنانة، فقاتلوا بهم النبيَّ ﷺ، وأنفق ابو سفيان على المشركين أربعين أوقية من ذهب، وكان احد المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا أبو جهل بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأبو البختري بن هشام، والنضر بن الحارث، وحكيم بن حزام، وأبي بن خلف، وزمعة بن الأسود، والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب، وكلهم من قريش، كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر. فانزل الله في ابي سفيان وفيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٦] وقوله: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا﴾ [الأنفال: ٣٦] اي في الدنيا ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [الأنفال: ٣٦] اي في الاخرة ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦] اي لا يظفرون برغم انفاق الاموال ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [الأنفال: ٣٦] منهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦] خص بجهنم من كفر، لان منهم من اسلم كابي سفيان والعباس وغيرهما فهم مستثنون. (التفاسير).

أبو طلحة زيد بن سهل

أنصاري نجاري مشهور باسمه وكنيته، عقبي بدري نقيب، من فضلاء الصحابة وهو القائل:

أنــا أبــو طلحــة واســمي زيــد وكــل يــوم فــي ســلاحي صــيد

لما هاجر آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح، شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله. وكان من الرماة الشجعان المذكورين من الصحابة، قتل يوم حنين عشرين رجلا وأخذ أسلابهم. وكان يوم أحد يرمي بين يدي رسول الله ويتطاول بصدره ليقي رسول الله ويقول: نحري دون نحرك ونفسي دون نفسك يا رسول الله. وكان رسول الله ﷺ يقول: «صوت أبي طلحة في الجيش خير من مائة رجل». قيل مات أبو طلحة سنة إحدى وخمسين. تجهز للغزو وركب البحر فمات فلم يجدوا جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير. وكان زوج أم سليم أم أنس بن مالك. قيل لما خطبها قالت: يا أبا طلحة ما مثلك يرد ولكنك امرؤ كافر وأنا مسلمة لا تحل لي، فإن تسلم فذلك مهري، فأسلم فكان ذلك مهرها. وقيل: إنه توفي بالمدينة سنة إحدى وثلاثين. وقيل: سنة أربع وثلاثين وهو ابن سبعين سنة. وصلى عليه عثمان بن عفان والله اعلم. روى عن النبي ﷺ وروى عنه ربيبه أنس وابن عباس وأبو الحباب سعيد بن يسار وغيرهم، وروى مسلم وغيره من طريق بن سيرين عن أنس أن النبي ﷺ لما حلق شعره بمنى فرق شقه الأيمن على أصحابه الشعرة والشعرتين، وأعطى أبا طلحة الشق الأيسر كله. (أسد الغابة: ص١٣٢) (الإصابة ج٢ ص٣٣، ج٨ص٩٤).

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا، وكان أحب أمواله إليه بير حاء، وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)، قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن أحب أموالي إلى بير حاء وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت، فقال "بخ ذلك مال رائح ذلك مال رائح. قد سمعت ما قلت فيها وأرى أن تجعلها في الأقربين». قال أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. (وقال روح عن مالك رابح). (البخاري ٢٣٥٩) **وعن أَبي هريرة، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ ليضيفه، فلم يكن عنده ما يضيفه، فقال: «ألا رجل يضيف هذا رحمه الله؟" فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، نوّمي الصبية، وأطفئي المصباح، وأريه بأنك تأكلين**

معه، واتركيه لضيف رسول الله ﷺ ففعلت، (وكان الطعام قليلا فجعل هو وزوجته يوهمان الضيف انهما يأكلان، ولم يأكلا شيئا)، فنـزلت ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] (التفاسير)، وقيل في نزولها غير ذلك والله اعلم.

ابو عبيدة عامر بن الجراح امين الامة رضي الله عنه

هو عامر بن عبد الله بن الجراح، اشتهر بكنيته ونسبه إلى جده فيقال: أبو عبيدة بن الجراح. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو من السابقين إلى الإسلام أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، هاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة وإلى المدينة وكان يدعى القوي الأمين. شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ولما كان يوم بدر جعل ابوه ـ وكان مشركا ـ يتصدى له، فجعل رضي الله عنه يحيد عنه حتى لا يقاتله، فلما أكثر أبوه قصده، قتله أبو عبيدة فأنزل الله تعالى فيه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] وفي ابو بكر وقد سعى لقتل ابنه عبد الرحمن نزل: ﴿أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] وفي مصعب بن عمير وقد قتل اخاه عميرا نزل: ﴿أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] وفي عمر وقد قتل قريبا له، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ نزل: ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، والله أعلم. وفيهم جميعا نزل: ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وأبو عبيدة ممن صمد مع رسول الله يوم احد، وهو الذي نزع الحلقتين اللتين دخلتا في وجه رسول الله ﷺ من المغفر، فانتزعت ثنيتاه قيل: فما رئي أهتم قط أحسن منه. وفيه عن انس قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل أمة أمين وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح». وبعثه رسول الله ﷺ سرية في

ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار إلى حي من جهينة بساحل البحر وهي غزوة الخبط، واستعمله ابو بكر ولما ولي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ولى أبا عبيدة الشام فشهد اليرموك وهو أمير الناس، قيل توفي بفحل وقيل: بعمواس في الطاعون سنة ثماني عشرة وعمره ثمان وخمسون سنة. وفيها دفن، وقيل: إن قبره ببيسان والله اعلم. (أسد الغابة: ص٥٠) (تفسير البغوي) (تفسير ابن كثير) (الطبقات الكبرى ج٧ ص٩١).

ابو لبابة بن عبد المنذر

قيل اسمه رفاعة وقيل بشير وهو انصاري اوسي من بني عمرو بن عوف، وهو بكنيته اشهر، شهد العقبة وهو احد النقباء، سار إلى بدر فرده رسول الله واستخلفه على المدينة، وضرب له بسهمه وأجره، فكان كمن شهدها. شهد أحداً وما بعدها من المشاهد، ومن خبره ان رسول الله ﷺ، لما حصر بني قريظة واشتد عليهم الحصار، ارسلوا الى ابي لبابة يستشيروه، وكانوا حلفاء الأَوس. فإذن له رسول الله فذهب اليهم، فاستشاروه فيما يكون من امرهم، فأَشار الى حلقه يعني الذبح، قال: فما بَرِحَت قدماي حتى عرفت أَني خُنتُ الله ورسوله، فعاد الى مسجد رسول الله وربط نفسه في احدى سواريه. فقال: والله لا أَحُلُ نفسي ولا أَذوق طعاماً ولا شراباً حتى يتوبَ الله عَلَيَّ، فمكث أَياما لا يذوقا شيئاً حتى خَرَ مغشياً عليه، فلما تاب الله عليه. ارادوا حله فقال: والله لا أَحل نفسي حتى يكون رسول الله يحلني. فحله عليه السلام بيده، فنزلت فيه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[الأنفال: ٢٧] وقيل نزلت في غيره والجمهور على انها فيه والله اعلم. وقيل كان من السبعة الذين ربطوا انفسهم بالمسجد لتخلفهم عن غزوة تبوك، فانزل الله فيهم:﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٢]. توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه. (أسد الغابة ص١٣٦) (البداية والنهاية ج٤ص٥٣) (تفسير الطبري).

أسيد بن حضير

من بني عبد الأشهل أنصاري أوسي يكنى: أبا يحيى بابنه. يحيى وقيل: أبا عيسى كناه بها النبي ﷺ وقيل غير ذلك، أسلم على يد مصعب بن عمير بالمدينة وكان إسلامه بعد العقبة الأولى وقيل الثانية، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يكرمه ولا يقدم عليه واحدا ويقول: إنه لا خلاف عنده. شهد العقبة الثانية وكان نقيبا لبني عبد الأشهل وقد اختلف في شهوده بدرا فقال ابن إسحاق وابن الكلبي: لم يشهدها وقال غيرهما: شهدها وشهد أحدا وما بعدها من المشاهد، وشهد مع عمر فتح بيت المقدس، كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن وكان أحد العقلاء الكملة أهل الرأي وله في بيعة أبي بكر أثر عظيم. عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح نعم الرجل معاذ بن جبل نعم الرجل أسيد بن حضير نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح». توفى أسيد بن حضير في شعبان سنة عشرين وحمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه السرير حتى وضعه بالبقيع؛ وصلى عليه، أوصى إلى عمر فنظر عمر في وصيته فوجد عليه أربعة آلاف دينار فباع ثمر نخله أربع سنين بأربع آلاف وقضى دينه. (أسد الغابة: ص٣) (الإصابة ج١ ص٣) (معرفة الصحابة ج١ص٩).

وكان اليهود إذا حاضت منهم المرأة أخرجوها من البيت، ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيت، (وكانوا يجامعون خارجه) فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾[البقرة: ٢٢٢] فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» فقالت اليهود ما يريد هذا الرجل أن يدع شيئا من أمرنا إلا خالفنا فيه، فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشير إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا، أفلا ننكحهن في المحيض؟ فتمعر (اي تغير، لسان العرب) وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد (اي غضب، لسان العرب) عليهما، فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن إلى رسول الله ﷺ، فبعث في آثارهما فسقاهما فظننا أنه لم يجد عليهما. (تفسير البغوي وابن كثير).

الاشعث بن قيس الكندي

واسم الاشعث معدي كرب ويكنى ابا محمد، أسلم سنة عشر من الهجرة مع وفد كندة وخطب أم فروة أخت أبي بكر الصديق فأجيب إلى ذلك وعاد إلى اليمن. ولما توفي رسول الله ارتد مع من ارتد من اهل اليمن، ولما سير ابو بكر الجيش لحربهم، جيء بالأشعث مع الاسرى، فلما عرض على ابي بكر قال: استبقني لحربك وزوجني أختك فأطلقه أبو بكر وزوجه أخته وهي أم محمد بن الأشعث، ولما تزوجها اخذ سيفه ودخل سوق الإبل فجعل لا يرى جملا ولا ناقة إلا عرقبه (اي ضربه بالسيف على رجله فقطعها او كسرها، والجمل اذا كسر لا يجبر فلذلك يذبح)، فصاح الناس: كفر الأشعث فقال: إني والله ما كفرت ولكن زوجني هذا الرجل أخته، ولو كنا ببلادنا لكانت لنا وليمة غير هذه، يا أهل المدينة انحروا وكلوا (اي الابل التي عرقبت) ويا أصحاب الإبل تعالوا خذوا أثمانها فما رئي وليمة مثلها. شهد اليرموك والقادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند وصفين مع علي، واستعمله عثمان على أذربيجان، توفي سنة اثنتين وأربعين، (أسد الغابة: الهمزة ص٤). وقيل لما غسل وضأه الحسن بن علي بالحنوط وصلى عليه، وكانت ابنته تحت الحسن رضي الله عنه. (الطبقات الكبرى ج٦ ص٦٦).

جاء في تفسير الطبري، ان خصومة كانت بين الاشعث وبين رجل حضرمي على ارض، وكانت الارض للحضرمي اخذها الاشعث منه في الجاهلية، فارتفعا الى رسول الله ﷺ فقال للحضرمي: «بيِّنَتَك، وإلا فيمينه». قال: يا رسول الله، ليس يشهد لي أحدٌ على الأشعث! وإن حلف ذهب بأرضي!

قال: فلك يمينه. فقام الأشعث ليحلف، فنزل قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧] فلما سمعها الاشعث نكل (اي تراجع عن الحلف) وقال: إني أشهد الله وأشهدكم أنّ خصمي صادق. فرد إليه أرضَه، وزاده من أرض نفسه زيادةً كثيرةً، مخافة أن يبقى في يده شيء من حقه، فهي لعقب ذلك الرجل بعده. وقيل انها نزلت فيه ولكن رويت قصة اخرى قريبة من هذه، وقيل نزلت في جماعة من اليهود. وآيا من كان الذي نزلت فيه، وآيا ما كانت القصة في سبب النزول، فالشاهد من الاية هو تغليظ العقوبة لمن اكل حق اخيه، يؤيد ذلك ويدل عليه حديث رسول الله ﷺ الذي رواه (البخاري ص٩٥ رقم ٦٧٤٠) عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ عن

النبي ﷺ قال «من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها مال رجل مسلم أو قال أخيه لقي الله وهو عليه غضبان».

الأقرع بن حابس بن عقال

قال بن دريد اسم الأقرع فراس، وإنما قيل له الأقرع لقرع كان برأسه، وكان شريفًا في الجاهلية والإسلام (الإصابة ج١ ص٤)، قدم على رسول الله في وفد بني تميم وهو من المؤلفة قلوبهم وقد حسن إسلامه، وشهد مع خالد بن الوليد اليمامة وغيرها، وكان على مقدمته يوم فتح الانبهار. واستعمله عبد الله بن عامر على جيش سيره إلى خراسان فأصيب بالجوزجان هو والجيش. وقتل باليرموك في عشرة من بنيه والله أعلم.

روي عن غير واحد منهم جابر بن عبد الله وأبو هريرة والأقرع: جاءت بنو تميم بشاعرهم وخطيبهم إلى النبي ﷺ، ورسول الله نائم عند بعض نسائه في الظهيرة، فنادوا من وراء الحجرات: يا محمد اخرج إلينا، فلم يجبهم فقال الأقرع: يا محمد، إن حمدي زين، وإن ذمي شين، فخرج رسول الله فقال: «إنما ذلكم الله عز وجل، فما تريدون؟»، قالوا: نحن ناس من تميم، جئناك بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ولنفاخرك، فقال عليه السلام: «ما بالشعر بعثنا، ولا بالفخار أمرنا، ولكن هاتوا»، فتكلم خطيبهم فذكر شرفهم وفضل قومهم، فرد عليه ثابت بن قيس خطيب رسول الله، ثم تكلم شاعرهم فأرسل رسول الله الى حسان بن ثابت شاعر رسول الله فرد عليه، فقام الأقرع فقال:

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا إذا اختلفوا عند ذكر المكارم

وإنا رءوس الناس من كل معشر وإن ليس في أرض الحجاز كدارم

وإن لنا المرباع في كل غارة تكون بنجد أو بأرض التهائم

فقال رسول الله ﷺ: «يا حسان فأجبه»، قال: فقام فقال:

بني دارم لا تفخروا إن فخركم يعود وبالا بعد ذكر المكارم

هبلتم علينا تفخرون وأنتم لنا خول من بين ظئر وخادم

فقال رسول الله ﷺ: «لقد كنت غنيا يا أخا بني دارم أن يذكر منك ما قد

كنت ترى أن الناس قد نسوه منك»، فكان قول رسول الله ﷺ أشد عليه من قول حسان، ثم رجع حسان إلى قوله:

وأفضل ما نلتم من المجد والعلى ... ردافتنا من بعد ذكر المكارم

فإن كنتم جئتم لحقن دمائكم ... وأموالكم أن تقسموا في المقاسم

فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا ... ولا تفخروا عند النبي بدارم

وإلا ورب البيت مالت أكفنا ... على رأسكم بالمرهفات الصوارم

قال: فقام الأقرع بن حابس، فقال: يا هؤلاء، ما أدري ما هذا الأمر، تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أرفع صوتا، وأحسن قولا، وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أرفع صوتا، وأحسن قولا، ثم دنا إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، فقال النبي ﷺ: «لا يضرك ما كان قبل هذا» تفرد بهذا الحديث مطولا بأشعاره المعلى بن عبد الرحمن (أسد الغابة: ص٤) (معرفة الصحابة ج١ ص١٤) (الإصابة ج١ ص٤) (التفاسير) وفي الاقرع وفي وفد بني تميم نزل قول الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحُجُرات: ٤] (التفاسير).

أكثم بن صيفي

التميمي الحكيم المشهور وهو عم حنظلة بن الربيع بن صيفي الصحابي المشهور، أحد الحكماء المعدودين في الجاهلية، لما بلغه مخرج النبي ﷺ أراد أن يأتيه فمنعه قومه اكبارا له، فأرسل رجلان الى رسول الله ﷺ فقالا: نحن رسل أكثم بن صيفي وهو يسألك، من أنت وما أنت وبما جئت قال: أنا محمد بن عبد الله وأنا عبد الله ورسوله، ثم تلى عليهم ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠] قيل: فلما رجعا قالا له: وجدناه من اوسط قومه نسبا، وهو يأمر بمكارم الاخلاق، فدعا قومه بني تميم الى اتباعه وتصديقه ومناصرته. ثم خرج إلى النبي ﷺ، وتبعه مائة من قومه، فلما كان في بعض الطريق عمد ابنه حبيش إلى رواحلهم، فنحرها واتلف ما معهم من الطعام والشراب

وهرب، فأجهد أكثم العطش فلما حضرته الوفاة أوصى مَنْ معه بإتباع النبي ﷺ وأشهدهم أنه أسلم. وفيه نزل قول الله سبحانه: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠] وروي عن عامر الشعبي قال: سألت بن عباس عن هذه الآية فقال: نزلت في أكثم بن صيفي. ولأكثم اقوال جميلة فيها من الحكم والمواعظ ومكارم الاخلاق الكثير. قلت: ولقد اختصرت القصة من مجموعة القصص التي رويت فيه في (المنتظم ج٢ص٢٥) وفي (الإصابة ج١ ص٦). قلت وفي التفاسير ذكر ان الاية نزلت في غيره، والله اعلم.

أنس بن النضر بن ضمضم

روى (البخاري ص٧٤ رقم٤٨٣٠) من حديث أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] وذلك انه رضي الله عنه غاب عن قتال بدر فقال: يا رسول الله؛ غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين، والله لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فقاتل، فلما انتهى القتال وجد شهيدا. وبه بضعا وثمانين ما بين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجد وقد مثل به المشركون فما عرفته أخته الربيع بنت النضر إلا ببنانه. فنزلت الاية فيه وفي اشباهه. (أسد الغابة باب الهمزة ص٥) وهو عم أنس بن مالك خادم النبي ﷺ.

ثابت بن قيس بن شماس

أنصاري خزرجي يكنى أبا محمد وقيل: أبو عبد الرحمن، كان خطيب الأنصار وخطيب النبي ﷺ، شهد أحدا وما بعدها وقتل شهيدا سنة اثنتي عشرة، يوم اليمامة وكان اميرا على الانصار مع خالد بن الوليد. قيل وكان عليه درع له نفيسة فمر به رجل فأخذها، فبينما رجل من المسلمين نائم أتاه

ثابت في منامه فقال له: إني أوصيك بوصية فإياك أن تقول: هذا حلم فتضيعه؛ إني لما قتلت أمس مر بي رجل من المسلمين فأخذ درعي، ثم وصف له منزل الرجل ومكان الدرع، وقال: فأت خالدا فمره فليبعث فليأخذها؛ فإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ - يعني أبا بكر - فقل له: إن علي من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقي عتيق؛ فاستيقظ الرجل فأتى خالدا فأخبره فبعث إلى الدرع فأتى بها على ما وصف، وحدث أبا بكر رضي الله عنه برؤياه فأجاز وصيته، ولا يعلم أحد أجيزت وصيته بعد موته سواه. روى عنه أنس بن مالك وأولاده: محمد ويحيى وعبد الله أولاد ثابت وغيرهم (الإصابة ج١ ص١٢) (معرفة الصحابة ج١ ص١٤) (أسد الغابة: ص١١).

وقيل لما نزل قول الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ [الحُجُرات: ٢] قيل احتبس ثابت في بيته فافتقده رسول الله ﷺ، فأرسل اليه فلما جاءه باكيا قال: «ما يبكيك يا ثابت» فقال: أنا صيت (جهير الصوت شديده: لسان العرب)، وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحُجُرات: ٢]. فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تَعِيش حَميدًا، وتقتل شهيدا، وتدخل الجنة؟». فقال: رضيت ببشرى الله ورسوله ﷺ، ولا أرفع صوتي أبدا على صوت النبي ﷺ. قال: وأنـزل الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحُجُرات: ٣]. (التفاسير).

جابر بن عبد الله

روي عن جابر بن عبد الله قال: اشتكيت وعندي تسع أخوات لي (أو: سبْع، والشك من الراوي)، فدخل عليّ النبيّ ﷺ فنفخ في وجهي، فأفقت وقلت: يا رسول الله، ألا أوصي لأخواتي بالثلثين؟ قال: أحسن! قلت: الشطر؟ قال: أحسن! ثم خرج وتركني، ثم رجع إليّ فقال: يا جابر، إنِّي لا أُرَاك ميتًا من وجعك هذا، وإن الله قد أنـزل في الذي لأخواتك فجعل لهن الثلثين. قال:

فكان جابر يقول: أنـزلت في هذه الآية ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] (التفاسير)، وقد بين الطبري ما وقع في معنى الكلالة من الاختلاف ثم قال: هي ما عدا الولد والوالد، وقيل كان ابو بكر يقول ذلك، قلت ومعنى ذلك ان الميت اذا مات وليس له والد او ولد، ذكورا كانوا ام اناثا، فان الورثة هم الكلالة. يورثون بحسب هذه الاية والله اعلم.

وقد وجدت في صحابة رسول الله ﷺ عدة رجال ممن اسمه جابر بن عبد الله، ولم تبين التفاسير في ايهم نزلت هذه الاية، ولذلك لم اترجم لأي منهم، ولمن اراد معرفة ترجمتهم فعلية بـ (أسد الغابة: باب الجيم) و(الإصابة ج١ص١٤) و(معرفة الصحابة باب من اسمه جابر ص١٦)، والأرحج انه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام.

جندب بن زهير

قيل العامري وقيل الأزدي (معرفة الصحابة ج١ص١٧). عن ابن عباس قال: كان جندب بن زهير إذا صلى أو صام أو تصدق فذكر بخير ارتاح له؛ فزاد في ذلك لقالة الناس فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠] وكان فيمن سيره عثمان رضي الله عنه من الكوفة إلى الشام وقتل مع علي بصفين. وكان على رجالة جيش علي. (أسد الغابة ص١٥) وقد ذكر البغوي جندبا في تفسير الاية ولكنه لم ينسبه، كما ذكر ابن كثير والطبري القصة في التفسير ولكنهما قالا: جاء رجل الى النبي، ولم يعرفاه. مع ان كتب السير والتاريخ ترجح نزول هذه الاية فيه والله اعلم.

جندع بن ضمرة الضمري

شيخ كبير من بني الليث كان مسلما بمكة، وكان اعمى مريضا فلم يهاجر، فلما نزلت: ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠]، فلما سمعها قال: «والله إنّ لي من المال ما يُبَلِّغني المدينة وأبعدَ منها،

وإنِّي لأهتدي! أخرجوني»، ثم قال لبنيه: والله ما أبيت الليلة بمكة، أخرجوني، فخرجوا به يحملونه على سرير حتى أتوا به التنعيم فأدركه الموت، فصفقَ يمينه على شماله ثم قال: اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه رسولك، فمات فبلغ خبرُه أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: لو وَافى المدينة لكان أتم وأوْفَى أجرًا، وضحك المشركون وسخروا وقالوا: ما أدرك هذا ما طلب، لو بقي فمات في اهله فدفن، فأنـزل الله: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠] وقد وقع خلاف كبير في اسمه واسم ابيه وممن هو، قيل: جندع بن ضمرة، وقيل: جندب بن ضمرة، وقيل غير ذلك، وقيل العيص بن ضمرة، وقيل: ضمرة بن العيص، وقيل ضمرة بن جندب، وقيل: هو من بني الليث، وقيل من خزاعة، وقيل: من بني بكر. والله اعلم. (تفسير البغوي) (تفسير الطبري) (المنتظم ج٣ص٣١) (أسد الغابة ص١٥) وآيا ما كان اسمه فالقصة واحدة. وتنطبق عليه وعلى امثاله ممن خرج مهاجرا الى الله ورسوله فمات فوقع اجره على الله.

حاطب بن أبي بلتعة

واسم أبي بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة، شهد بدرا والحديبية، ارسله عليه الصلاة والسلام الى المقوقس صاحب الاسكندرية، فكان من حديث المقوقس ان قال له: اذا كان صاحبك رسول من الله فلماذا لم يدع على قومه حين اخرجوه، فقال حاطب رضي الله عنه: فما بال عيسى لم يدع على قومه حين صلبوه، فقال المقوقس: أحسنت، أنت حكيم جاء من عند حكيم، وبعث معه هدية لرسول الله ﷺ، منها: مارية القبطية، أم إبراهيم ابن النبي ﷺ، توفي سنة ثلاثين، وكان عمره خمساً وستين سنة.

ومن خبره انه لما عزم رسول الله ﷺ المسير إلى مكة عام الفتح، كتب حاطب كتابا إلى قريش يخبرهم بمسير رسول الله اليهم، ثم أعطاه امرأة كانت مسافرة الى مكة، وجعل لها أجرا على أن تبلغه قريشا، فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به، فأتى خبره من السماء الى رسول الله ﷺ، فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام، فلحقا بالمرأة واسترجعا الكتاب. فدعا رسول الله حاطبا فقال: ((يا حاطب ما حملك على هذا ؟)). فقال: يا رسول الله، أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله ما غيرت ولا بدلت، ولكنني كنت

امرءا ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله دعني فلأضرب عنقه فإن الرجل قد نافق. فقال رسول الله ﷺ: ((وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)). وفيه نزل قول الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]، الى اخر القصة. والقصة مفصلة من حديث علي رضي الله عنه في (البخاري ص٥٩ رقم ٣٠٤٤)، وقد شهد الله له بالإيمان اذ قال سبحانه فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾. رضي الله عنه وأرضاه. (البداية والنهاية ج٤ص٦٠) (أسد الغابة باب الحاء ص١٨) (التفاسير).

خالد بن الوليد

سيف الله المسلول رضي الله عنه

اسلم خالد قبل الفتح، وقد شهد الطائف مع رسول الله ﷺ، وكان لأبيه الوليد بن المغيرة ربا عند اهل الطائف، فسال خالد رسول الله عن ربا ابيه، ياخذه او يتركه فانزل الله فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨] فتركه رضي الله عنه. (البداية والنهاية ج٣ص٣٦) وهو الذي انقذ الله به المسلمين يوم مؤتة، وكانوا ثلاثة ألاف وعدوهم مائة الف، فلما استشهد القادة الثلاثة الذين امرهم رسول الله، استلم خالد الراية فغير مواقع جنده، فجعل الميمنة ميسرة والميسرة ميمنة وقدم في الجند وأخر، فلما اصبح العدو ظنوا ان قد جاء مدد للمسلمين، فكفوا عن القتال فانسحب خالد بالجيش، وقيل سماه رسول الله يومئذ (سيف الله المسلول)، (البداية والنهاية ج٤ص٥٨)، وروي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وذكر خالد بن الوليد، فقال: «نعم عبد الله وأخو العشيرة سيف من سيوف الله، سله الله على الكفار». فتح الله به الفتوح، وبارز هرمزا فقتله، كان يتبرك بشعر الرسول ﷺ عند المبارزة، توفي بحمص سنة إحدى وعشرين، ولما حضرته الوفاة قال: لقد طلبت القتل فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي، وما من عمل أرجى من لا إله إلا الله، وأنا متترس بها

ثم قال: إذا أنا مت، فانظروا سلاحي وفرسي، فاجعلوه عدة في سبيل الله. فلما مات لم يجدوه ترك إلا فرسه وخادمه وسلاحه. فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب قال: رحم الله أبا سليمان، إن كنا لنظنه على غير هذا. (معرفة الصحابة ج١ص٢٥) قلت ما كان لخالد ان يقتل في ارض المعركة، ولا ان يهزم، فإنما هو كما قال رسول الله ﷺ، سيف من سيوف الله سله على الكفار، ولا ينبغي لسيف الله سبحانه ان يهزم او يكسر، ولا ينبغي له ان يموت قتلا، وإنما موته لا يكون إلا لما قدر الله سبحانه على خلقه في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [العنكبوت: ٥٧].

رافع بن خديج

أنصاري أوسي ويكنى أبا عبد الله وقيل: أبو خديج. عرض نفسه يوم بدر، فاستصغره رسول الله ورده، وأجازه يوم أحد فشهد أحدا، والخندق وأكثر المشاهد، وأصابه يوم أحد سهم في ترقوته وقيل: في ثندوته (والثندوة: الثدي (لسان العرب))، فنزع السهم وبقي النصل إلى أن مات. وقال له رسول الله: «أنا أشهد لك يوم القيامة». وانتقضت جراحته أيام عبد الملك بن مروان فمات سنة أربع وسبعين وهو ابن ست وثمانين سنة وكان عريف قومه. وشهد صفين مع علي. ولما توفي حضره ابن عمر وصلى عليه، (أسد الغابة: ص٣٦) وأما البخاري فقال مات في زمن معاوية وهو المعتمد في ترجمة زوجته أم عبد الحميد في كنى النساء وأرخه بن قانع سنة تسع وخمسين (الإصابة ج٢ ص٢٩)، كان يعد في الرماة يوم احد، وروى عنه عدد من الصحابة والتابعين. (معرفة الصحابة ج١ص٢٧).

قيل كان عند رافع امرأة فلما كبرت تزوج عليها اخرى شابة، وإثرها عليها، فطلبت الطلاق مرتين وهو يردها قبل انتهاء مدتها، فلما كانت الثالثة اصطلحا على ان تبقى عنده على اولادها، وترضى بأثرة الشابة عليها فنزل قول الله سبحانه في ذلك: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ [النساء: ١٢٨] وقيل نزلت في سودة ام المؤمنين، كانت امرأة كبيرة وأراد النبي ﷺ أن يُفارقها، فقالت: لا تطلقني وإنما بي أن أبعث في نسائك وقد جعلتُ نوبتي لعائشة رضي الله عنها فأمسكها رسول الله ﷺ، وكان يقسم لعائشة يومها ويوم سودة رضي الله

عنهما (التفاسير)**.**

رفاعة بن تابوت الانصاري

روي عن قيس بن جبير: أن الناس كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا حائطاً من بابه، ولا بيتاً أو داراً من بابها، فدخل رسول الله ﷺ وأصحابه داراً، فتسور رفاعة الحائط فدخل على رسول الله ﷺ، فلما خرج رسول الله ﷺ من باب الدار، أو قال: من باب البيت، خرج معه رفاعة، قال: فقال القوم: يا رسول الله، هذا الرجل فاجر، خرج من الدار وهو محرم. قال: فقال له رسول الله: «ما حملك على ذلك»؟ قال: يا رسول الله، خرجت منه فخرجت منه، فقال رسول الله ﷺ: «إني رجل أحمس» قال: إن تك أحمس فإن ديننا واحد، قال: فانزل الله سبحانه: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ **[البقرة: ١٨٩]** (أسد الغابة: ص٣٠) (تفسير الطبري والبغوي) **وقيل وقعت القصة لعطية بن عامر فلعلها وقعت لهما معا، وأخرج مسلم من حديث جابر أن ريحًا عظيمة هبت فقال النبي ﷺ إنما هبت لموت منافق عظيم النفاق وهو رفاعة بن تابوت فهو آخر غير هذا، وجاء من وجه آخر رافع بن التابوت.** (الإصابة ج٢ص٣٠) **وقيل قطبة بن عامر** (تفسير ابن كثير)**.**

والحمس هم قريش كانوا اهل الحرم والناس اهل الحل، وكان من عادة الجاهلية ان تطوف قريش بالكعبة بثيابها والناس يطوفون عراة، إلا ان يلبس احدهم ثياب رجل من قريش يطوف بها ثم تتلف او تحرق فلا يلبسها احد، وكانت قريش في المواسم لا تخرج من الحرم ولا تقف مع الناس بعرفة او المشاعر، وكان لها صنائع ليست لغيرها، الغاها الاسلام. كما في قصة رفاعة.

زيد بن حارثة

حب رسول الله رضي الله عنه

كان زيد يدعى في الجاهلية زيد بن محمد، وذلك انه كان مولى لخديجة رضي الله عنها فوهبته لرسول الله، وعلم ابوه حارثة بمكانه في مكة فقدم على رسول الله ﷺ، وسأله ان يعيد اليه ولده اما عتقا وإما فداء، فقال له رسول الله: اخيره، فاختار صحبة رسول الله على العودة الى ابيه وقومه، فاعتقه رسول الله وتبناه وقال زيد ابني يرثني وارثه، فصار يدعى زيد بن محمد، وهو الصحابي الوحيد الذي ذكر اسمه صريحا في القران الكريم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [الأحزاب: ٣٧] وكان رضي الله عنه اول من اسلم من الموالي مبدأ بعثة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

كان زيد تزوج زينب بنت حجش ثم طلقها فزوجها الله نبيه عليه السلام. فقال المنافقون والمشركون تزوج محمد زوجة ابنه فانزل الله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠] نزلت في زيد تنفي بنوته لرسول الله، وذلك انه ابنه بالتبني وليس من صلبه. ونزلت: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥] يقول سبحانه للمؤمنين: من عرفتم اباه فادعوه له فان ذلك هو العدل والحق، اما من لم تعرفوا اباه، كأن يكون اسر صغيرا لا يعرف اباه، فنسبتموه لعمه او لجده او لقبيلته او لغير ذلك، بسبب صعوبة التحقق فذلك من الخطأ غير العمد ولا باس عليكم به، اما تعمد ذلك فهو خطا لا يقبله الله، فان لم تعرفوا النسب فيكون اخا لكم في الدين، (الطبري بتصرف)، و(السيرة النبوية ج١ ص١٧) (البداية والنهاية ج٤ص٥٩).

وقد زوجه رسول الله بعد زينب مولاته ام ايمن فولدت له اسامة، وكان رسول الله يحبه حبا شديدا فكان يقال له، حب رسول الله، ويقال لابنه اسامة، الحب ابن الحب، رضي الله عنهما. بعثه رسول الله في عدة سرايا وبعوث، وكان اذا بعث بعثا فيه زيد جعله اميرهم، وقد كان امير جيش مؤتة وفيها استشهد رضي الله عنه. (أسد الغابة ص٣٣).

سعد بن أبي وقاص

وهو سعد بن مالك واسم أبي وقاص: مالك بن وهيب، يكنى أبا إسحاق وهو من السابقين أسلم وهو ابن سبع عشرة سنة. وهو احد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين أخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راض. شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، قال عبد الله لقد رأيت سعدا يقاتل يوم بدر قتال الفارس في الرجال، وأبلى يوم أحد بلاء عظيما، وهو أول من أراق دما في سبيل الله وأول من رمي بسهم في سبيل الله. دخل يوما ورسول الله في جماعة من اصحابه فقال ﷺ: «هذا خالي فليرني امرؤ خاله» وذلك ان سعدا زهري وأم رسول الله زهرية.

وهو قائد جيش القادسية الذي هزم الفرس، فتح مدائن كسرى بالعراق وبني الكوفة، ولاه عثمان الكوفة ثم عزله، وقد اعتزل الفتنة لما قتل عثمان، قيل: قيل له لم لا تقاتل، قال: لا أقاتل حتى تأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان فيقول هذا مؤمن وهذا كافر، وكان مجاب الدعوة، وعن علي رضي الله عنه قال: ما جمع رسول الله ﷺ أباه وأمه لأحد إلا لسعد بن أبي وقاص، قال له يوم أحد: «ارم فداك أبي وأمي ارم أيها الغلام الحزور». (والغلام الحزور: الذي شب وقوي، لسان العرب) وقيل رمى سعد يوم أحد ألف سهم.

وفيه نزل قول الله سبحانه: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا ﴾ [لقمان: ١٥]، لما اسلم رضي الله عنه قالت له امه وكان بارا بها، قالت: اما ان تترك هذا الدين، اواني لا اكل ولا اشرب حتى اموت فتعير بي، فمنعها فلم تمتنع، ففعلت يوما او يومين فجهدت، فقال لها: والله لو كانت لك ألف نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا لشيء. فلما رأت ذلك أكلت وشربت وتركته. توفي بالعقيق على عشرة أميال من المدينة سنة خمس وخمسين (وقيل غير ذلك)، فحمل على

أعناق الرجال إلى المدينة، وأمرت عائشة رضي الله عنها ان يمر بجنازته عليها في المسجد، فأدخل المسجد فصلى عليه أزواج النبي ﷺ. وصلى عليه مروان وهو والي المدينة يومئذ ودفن بالبقيع، وكان آخر المهاجرين موتا ولما حضرته الوفاة دعا بخلق جبة له من صوف فقال: كفنوني فيها فإني كنت لقيت المشركين فيها يوم بدر وهي علي وإنما كنت أخبؤها لهذا. (أسد الغابة: ص٣٦) (تفسير ابن كثير) (الطبقات الكبرى ص٣٠ص٦٦).

سعد بن الربيع الأنصاري

انصاري خزرجي. شهد العقبتين وبدرا وكان نقيب بني الحارث هو وعبد الله بن رواحة، وكان كاتبا في الجاهلية، آخى رسول الله بينه وبين عبد الرحمن بن عوف، فانطلق به سعد إلى منزله فدعا بطعام فأكلا ثم قال: لي امرأتان وأنت أخي في الله لا امرأة لك فأنزل لك عن إحداهما فتزوجها، قال لا والله، قال: فهلم إلى حديقتي أشاطركها، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك دلوني على السوق. قتل رضي الله عنه يوم أحد شهيدا. فقال رسول الله ﷺ: «من يأتيني بخبر سعد بن الربيع»؟ قيل فقام رجل وقيل هو ابي بن كعب يطوف في القتلى فوجده به رمق فقال له سعد: ما شأنك ؟ قال: بعثني رسول الله لآتيه بخبرك، قال: فاذهب إليه فأقرئه مني السلام، وأخبره أني قد طعنت اثنتي عشرة طعنة وأني قد أنفذت مقاتلي، وأخبر قومك أنهم لا عذر لهم عند الله إن قتل رسول الله ﷺ وأحد منهم حي. قال أبي: فلم أبرح حتى مات فرجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته فقال: "رحمه الله نصح لله ولرسوله حيا وميتا". (أسد الغابة: ص٣٦) (الإصابة ج٣ ص٣٦) (الطبقات الكبرى ص٣٨).

قيل نشزت امرأة سعد، حبيبة بنت زيد فلطمها، فانطلق أبوها معها إلى النبي ﷺ فقال: أفرشته كريمتي فلطمها، فقال النبي ﷺ: «لتقتص من زوجها"، فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فجاء جبريل عليه السلام، فقال النبي ﷺ: «ارجعوا هذا جبريل أتاني بشيء"، فأنزل الله: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا

كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤]، فقال النبي ﷺ: «أردنا أمرًا وأراد الله أمرًا، والذي أراد الله خير»، ورفع القصاص (عن سعد). (تفسير البغوي) والقصة عند الطبري وابن كثير ولم يسميا الرجل ولا المرأة.

صرمة بن أنس

وقيل: ابن قيس الأنصاري ويكنى ابا قيس، روي عن ابن عباس: أن صرمة بن أنس أتى النبي ﷺ عشية من العشيات وقد جهده الصوم فقال رسول الله ﷺ: «ما لك يا أبا قيس؟ أمسيت طليحا» (والطليح: هو المجهد او المهزول: لسان العرب) قال: ظللت أمس نهاري في النخل أجر بالجرير (والجرير: الحبل من الجلد: لسان العرب، وقوله اجر الجرير اي استقي الماء بالحبل) فأتيت أهلي فنمت قبل أن أطعم فأمسيت وقد جهدني الصوم فنزلت فيه: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشۡرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] (أسد الغابة: ص٤٣) والقصة في (التفاسير) مع اختلاف في الاسم، قيل ابو صرمة، وقيل صرمة بن قيس، وقيل صرمة بن مالك، والله اعلم.

صهيب بن سنان الرومي

قال ابن سيرين: صهيب من العرب من النمر بن قاسط، كنيته أبو يحيى، كناه بها رسول الله ﷺ، وكان أبوه سنان بن مالك أو عمه عاملا لكسرى على الأبلة، وكانت منازلهم بأرض الموصل، ويقال كانوا في قرية على شط الفرات مما يلي الجزيرة والموصل، فأغارت الروم على تلك الناحية فسبت صهيبا وهو غلام صغير، فعاش بينهم واخذ لكنتهم ولذلك قيل له الرومي، فابتاعته كلب منهم ثم قدمت به مكة، فاشتراه عبد الله بن جدعان التيمي فأعتقه، فأقام معه بمكة إلى أن هلك عبد الله بن جدعان، وقال اهله انه لما كبر هرب من الروم فجاء مكة، فحالف ابن جدعان وأقام معه حتى هلك.

أسلم وكان من السابقين إلى الإسلام، وكان من المستضعفين بمكة الذين عذبوا. هاجر متأخرا ورسول الله بقباء، فلما خرج مهاجرا تبعه نفر من المشركين فنثل كنانته (اي نثرها) وقال لهم: يا معشر قريش تعلمون أني من أرماكم، ووالله لا تصلون إلي حتى أرميكم بكل سهم معي ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، فإن كنتم تريدون مالي دللتكم عليه قالوا: فدلنا على مالك ونخلي عنك، فتعاهدوا على ذلك فدلهم عليه ولحق برسول الله ﷺ، فقال

له رسول الله ﷺ: «ربح البيع أبا يحيى» وذلك انه اشترى نفسه بماله، فأنزل الله عز وجل فيه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، وقيل نزلت في غيره والله اعلم. شهد صهيب بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. ولما طعن عمر اوصي ان يصلي عليه صهيب وأن يصلي بجماعة المسلمين ثلاثا حتى يتفق أهل الشورى على من يستخلف. رضي الله عنهم اجمعين. توفي صهيب بالمدينة سنة ثمان وثلاثين في شوال وقيل: سنة تسع وثلاثين وهو ابن ثلاث وسبعين سنة وقيل: ابن سبعين سنة ودفن بالبقيع بالمدينة. (التفاسير) (أسد الغابة: ص٤٣) (معرفة الصحابة ج٢ص٣٨) (الطبقات الكبرى ص٣٣).

طلحة بن عبيد الله بن مسافع

وهو ليس طلحة الذي من العشرة المبشرين، فذلك طلحة بن عبيد الله بن عثمان، وهذا له صحبة ايضا، وكان الرجال قبل الحجاب يدخلون على رسول الله ﷺ وهو في بيوت ازواجه، فكانوا يرون نساءه ويحدثوهن على عادة الجاهلية، فلما نزلت اية الحجاب اسدل الستر وامتنعوا عن الدخول، قيل قال طلحة: ان مات رسول الله لتزوجن بعض نسائه وقيل سماها، فنزلت اية الحجاب ومنها قول الله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣] قيل نزلت في طلحة، وذلك ان نساء النبي عليه الصلاة والسلام، ازواجه في الجنة وهن امهات المؤمنين، وليس للرجل ان يتزوج امه. (أسد الغابة: ص٤٦) (التفاسير).

عبادة بن الصامت

انصاري خزرجي، شهد العقبة الأولى والثانية، وهو احد النقباء، شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، كان احد الانصار الخمسة الذين جمعوا القرآن في زمن النبي ﷺ، وكان يعلم أهل الصفة القرآن. أرسله عمر بن الخطاب. وأرسل «معه» معاذ بن جبل وأبا الدرداء، ليعلموا الناس القرآن بالشام ويفقهوهم في الدين، وأقام عبادة بحمص، وهو أول من ولي قضاء فلسطين. وكان معاوية واليا لعمر على الشام، فخالفه في شيءٍ أنكره عبادة، فأغلظ له معاوية في القول، فقال عبادة: لا أساكنك بأرض واحدة

أبداً، ورحل إلى المدينة، فقال عمر: ما أقدمك ؟ فأخبره، فقال: ارجع إلى مكانك، فقبح الله أرضاً لست فيها أنت ولا أمثالك، وكتب إلى معاوية: لا إمرة لك عليه.

وكان له حلف مع بني قينقاع فلما حاربهم رسول الله وأسرهم وأراد قتلهم، تشفع فيهم المنافق عبد الله بن ابي بن سلول وكانوا احلافه، فقال عبادة: يا رسول الله اني ابرا الى الله ورسوله من حلفهم فنزلت فيه: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٦]، توفي رضي الله عنه سنة أربع وثلاثين بالرملة، وقيل بالبيت المقدس، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، وقيل: توفي سنة خمس وأربعين أيام معاوية والله اعلم. (أسد الغابة: ص٥٢) (التفاسير).

العباس عم رسول الله

هو العباس بن عبد المطلب، يكنى أبا الفضل، بابنه. وأمه نتيلة بنت جناب وهي أول عربية كست البيت الحرير والديباج وأصناف الكسوة، وسببه أن العباس ضاع، وهو صغير، فنذرت إن وجدته أن تكسو البيت، فوجدته، ففعلت. وكان أسن من رسول الله ﷺ بسنتين، وقيل بثلاث سنين. كان العباس في الجاهلية رئيساً في قريش، وإليه كانت عمارة المسجد الحرام «والسقاية في الجاهلية، أما السقاية فمعروفة، وأما عمارة المسجد الحرام» فإنه كان لا يدع أحداً يسب في المسجد الحرام، او يمنع من قدومه، لأن ملأ قريش كانوا قد اجتمعوا وتعاقدوا على ذلك، فكانوا له أعواناً عليه. وقد شهد بيعة العقبة وكان مشركا، ولكنه حضرها ليستوثق لرسول الله من الانصار، خرج مع المشركين يوم بدر مكرها، ولم يقاتل واستا سر فاسر، واسر معه عقيل بن ابي طالب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، ابنا اخويه، وحليفه عتبة بن عمرو، وكان قد شدّ وثاقه، فسهر النبي ﷺ تلك الليلة ولم ينم، فقال له بعض أصحابه: ما يسهرك يا نبي الله ؟ فقال: «أسهر لأنين العباس». فقام رجل من القوم فأرخى وثاقه فقال له رسول الله ﷺ: «ما لي لا أسمع أنين العباس»؟ فقال الرجل: أنا أرخيت من وثاقه فقال رسول الله ﷺ: «فافعل ذلك بالأسرى كلهم».

أمره رسول الله ﷺ، ان يفدي نفسه ومن معه فقال: لا مال لي. فقال رسول الله: أين المال الذي وضعته عند أم الفضل وقلت لها إن أصبت فللفضل كذا ولعبد الله كذا ولعبيد الله كذا (وفي رواية ولقثم كذا) قال: والذي بعثك بالحق ما علم به أحد غيري وغيرها وإني لأعلم أنك رسول الله! وقال: يا رسول الله إني كنت مسلمًا ولكن القوم استكرهوني فقال: الله أعلم بإسلامك إن يكن ما ذكرت حقًا فالله يجزيك به فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا، وكان قد أخذ منه لما اسر عشرون أوقية من ذهب فقال: احسبها في فدائي. فقال عليه السلام: لا؛ ذاك شيء أعطاناه الله عز وجل. ففدى نفسه وابني أخويه وحليفه بمائة اوقية منها اربعين عن نفسه، ونزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ **[الأنفال: ٧٠]، قال العباس: في والله نزلت واني لأرجو المغفرة. والقصة موجودة في (التفاسير) بزيادات اختصرتها، والله اعلم. اسلم قديما بمكة ولكنه كان يخفي اسلامه، وقيل كان يكتب إلى رسول الله ﷺ أخبار المشركين، وكان من بمكة من المسلمين يتقوّون به وكان لهم عوناً على إسلامهم، فلذلك قال رسول الله ﷺ يوم بدر: "من لقي العباس فلا يقتله، فإنه أخرج كرهاً». خرج العباس مهاجرا الى الله ورسوله، فلقي رسول الله في الجحفة وقيل بذي الحليفة، وهو سائر الى مكة للفتح، فأمره رسول الله ﷺ أن يرسل اهله إلى المدينة، ويعود معه، وقال له: (أنت آخر المهاجرين وأنا آخر الأنبياء). اذ ليس بعد الفتح هجرة. والله اعلم، وشهد فتح مكة، وكان ممن ثبت مع رسول الله ﷺ لما انهزم الناس بحنين. وكان رسول الله ﷺ يعظمه ويكرمه بعد إسلامه، ويقول: "هذا العباس بن عبد المطلب أجود قريش كفاً، وأوصلها، وقال: هذا بقية آبائي». وقيل أعتق العباس سبعين عبداً. وكان وصولاً لأرحام قريش، محسناً إليهم، ذا رأي سديد وعقل غزير، وأضرّ في آخر عمره (اي عمي)، وتوفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين، وصلى عليه عثمان ودفن بالبقيع، وهو ابن ثمان وثمانين سنة. (الكامل ج١ص٢٣) (أسد الغابة ص٥٢).**

عبد الرحمن بن عوف

قرشي زهري يكنى أبا محمد. أسلم قديما قبل دخول رسول الله دار الأرقم وهاجر الهجرتين، شهد بدرًا وسائر المشاهد، وكان اسمه عبد الكعبة ويقال عبد عمرو، فسماه عليه الصلاة والسلام عبد الرحمن. وكان أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذي أسلموا على يد أبي بكر، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع. فقال له سعد: أنا أكثر أهل المدينة مالا فانظر شطر مالي فخذه، وتحتي امرأتان فانظر أيتهما أعجب إليك حتى أطلقها لك، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق، فدلوه عليه فاشترى وباع فربح بشيء من أقط وسمن، ثم لبث ما شاء الله أن يلبث فجاء وعليه ردع (لطخ) من زعفران فقال رسول الله ﷺ: مهيم فقال: يا رسول الله تزوجت امرأة قال: فما أصدقتها قال: وزن نواة من ذهب قال: أولم ولو بشاة، قال عبد الرحمن فلقد رأيتني ولو رفعت حجرا رجوت أن أصيب تحته ذهبا أو فضة.

وبعثه ﷺ إلى دومة الجندل إلى كلب، وعممه بيده وسدلها بين كتفيه. وكان أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، الذين جعل عمر بن الخطاب الخلافة فيهم، وأخبر أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راضٍ، فلما توفي عمر رضي الله عنه، قال عبد الرحمن لأصحاب الشورى: من يُخْرج نفسه منها، ويختار للمسلمين ؟ فلم يجيبوه إلى ذلك، فقال: أنا أخرج نفسي من الخلافة وأختار للمسلمين، فأجابوه إلى ذلك وأخذ مواثيقه عليهم، فاختار عثمان فبايعه. وقيل: صلى رسول الله ﷺ خلفه في سفر ركعة من صلاة الصبح، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وثبت يوم أحد حين ولى الناس، وجرح إحدى وعشرين جراحة، وجرح في رجله فكان يعرج منها، وسقطت ثنيتاه فكان أهتم. وكان كثير الإنفاق في سبيل الله، عز وجل، أعتق في يوم واحد ثلاثين عبداً. وكان عظيم التجارة، كثير المال. قيل: إنه دخل على أم سلمة فقال: يا أمّه، قد خفت أن يهلكني كثرة مالي. قالت: «يا بني، أنفق». روى عنه عدد من الصحابة والتابعين، وتوفي سنة إحدى وثلاثين بالمدينة، وقيل سنة اثنتين وثلاثين وهو يومئذ بن خمس وسبعين سنة، قيل حمل سعد بن ابي وقاص بقائمتي سرير عبد الرحمن بن عوف وهو

يقول واجبلاه، وقال علي بن أبي طالب يوم مات عبد الرحمن: اذهب بن عوف فقد أدركت صفوها وسبقت رنقها. وأوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله، قاله عروة بن الزبير. وقال الزهري: أوصى لمن بقي ممن شهد بدراً، لكل رجل أربعمائة دينار، وكانوا مائة، فأخذوها، وأخذها عثمان فيمن أخذ: وأوصى بألف فرس في سبيل الله، قيل قطعت تركته من الذهب بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال منه، وترك أربع نسوة فكان نصيب المرأة من ثمنها ثمانين ألفا وقيل مائة إلف كان يحنو على نساء رسول الله ﷺ بعد وفاته ويرعاهن، وكان يحج بهن ويصلهن، (أسد الغابة: ص٧٢) (الإصابة ج٣ ص٥٥) (معرفة الصحابة ج١ ص٥) (الطبقات الكبرى ص٣٠).

قال أهل التفسير: حثَّ رسولُ الله ﷺ على الصدقة، وقيل قال: "تصدقوا فإني أريد أن أبعث بعثا». فجمع الناس صدقاتهم. وجاء عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله، قيل بألفين وقيل بأربعة آلاف درهم، وقيل بأربعين أوقية من ذهب وقيل مائة أوقية، وجاء عاصم بن عدي الأنصاري فتصدق بمئة وَسْقٍ من تمر، (والوسق ستون صاعا: مجموع الفتاوى: ابن تيمية) وجاءه رجلٌ من الأنصار قيل هو أبو عقيل الأراشيّ، بصاع من طعام، وجاء اخرون من الفقراء بما قدروا عليه، فقال المنافقون فيمن جاء بالكثير: «إنما تصدقوا به رياءً وسُمْعة، ولم يريدوا وجه الله». وقالوا فيمن جاء بالقليل: «لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيًا!» سخريةً منهم بالفئتين فانزل الله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ **[التوبة: ٧٩] (التفاسير).**

عبد الله بن أم مكتوم القرشي

مؤذن رسول الله رضي الله عنه

وقع في اسمه ونسبه خلاف شديد فقيل: عبد الله وقيل: عمرو وهو الأكثر. واتفق على انه بن قيس بن زائدة، وقيل بن قيس بن شريح وقيل غير ذلك، وهو المعروف بابن أم مكتوم الاعمى وبه اشتهر. وأمه عاتكة وهي أم مكتوم بنت عبد الله بن عنكشة ويقال: كان اسمه الحصين فسماه النبي ﷺ عبد الله حكاه بن حبان وقال بن سعد أهل المدينة يقولون اسمه عبد الله وأهل العراق يقولون اسمه عمرو، أسلم قديما بمكة وهاجر الى أرض الحبشة في الهجرة الثانية ومعه امرأته، وكان من المهاجرين الأولين قدم المدينة قبل أن يهاجر النبي ﷺ. وكان يؤذن للنبي ﷺ بالمدينة مع بلال وكان رسول الله ﷺ يستخلفه على المدينة يصلي بالناس في عامة غزوات رسول الله ﷺ. قيل خرج إلى القادسية فقيل له: ما تفعل وأنت رجل اعمى فقال: اكثر سواد المسلمين، فشهد القتال وكان معه اللواء، وقيل قتل شهيدا وقيل بل رجع الى المدينة فمات بها والله اعلم، (أسد الغابة ص٦٤) (الإصابة ج٤ ص٦١) (الطبقات الكبرى ص٤٧).

قيل وقف الوليد بن المغيرة فكلم رسول الله ﷺ وقد طمع في اسلامه، فمر به ابن أم مكتوم الأعمى، فكلم رسول الله واستقرأه القرآن فشق ذلك عليه حتى أضجره. وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد، ثم انصرف عنه عابسا وتركه فأنزل الله تعالى صدر سورة عبس: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عبس: ١-٢] الى قوله: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ [عبس: ١٣] وقيل: إن الذي كان يحدثه حين جاءه ابن أم مكتوم أمية بن خلف، (البداية والنهاية ج٣ص٣٦) وقيل كان النبي ﷺ جالسا مع رجال من قريش فيهم عتبة بن ربيعة وناس من وجوه قريش وهو يقول لهم أليس حسنا أن جئت بكذا وكذا قال فيقولون بلى والدماء قال فجاء بن أم مكتوم وهو مشتغل بهم فسأله عن شيء فأعرض عنه، وعن زيد بن ثابت قال: كنت اكتب لرسول الله عليه الصلاة والسلام، فلما نزلت اية الحث على الجهاد قال: اكتب: (لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) الى اخر الاية، وابن ام مكتوم يسمع ما جعل الله للمجاهدين من فضل فقال: يا رسول الله اني احب الجهاد ولكني رجل اعمى، فنزلت ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥] وفيها العذر لابن ام مكتوم ومن كان له عذر مانع كعذره، فألحقت بمكانها قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٥] الى اخر الاية. (التفاسير) (الطبقات الكبرى ص٤٧) والله أعلم.

عبد الله بن رواحة

انصاري خزرجي من بني الحارث، يكنى أبا محمد، شهد العقبة، وكان نقيب بني الحارث وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا الفتح وما بعده، فإنه كان قد قتل قبله شهيدا في مؤتة. وهو أحد أمراء تلك الغزوة، وكان اذا خرج في الغزو أول خارج وآخر قافل. وكان من الشعراء الذين يناضلون عن رسول الله ﷺ، (أسد الغابة: ص٥٦). كان يكتب للنبي ﷺ وهو الذي جاء بالبشارة يوم بدر إلى المدينة، وكان إذا لقي الرجل من أصحابه يقول تعال نؤمن بربنا ساعة، ولما نزلت ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] قال عبد الله: قد علم الله أني منهم فأنزل الله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] وفي فتح مكة كان بين يدي رسول الله يرتجز:

خلوا بني الكفار عن سبيله   اليوم نضربكم على تأويله

ضربا يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر يا بن رواحة أفي حرم الله وبين يدي رسول الله ﷺ تقول هذا الشعر فقال عليه الصلاة والسلام: خل عنه يا عمر فوالذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل. (الإصابة ج٤ ص٥٠) وقال السدي: كانت لعبد الله أمة سوداء فغضب عليها ولطمها، ثم فزع فأتى النبي ﷺ وأخبره بذلك فقال له ﷺ: وما هي يا عبد الله؟ قال: هي تشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلي فقال: «هذه مؤمنة» قال عبد الله: فوالذي

بعثك بالحق نبيا لأعتقنها ولأتزوجنها، ففعل ذلك فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا: أتنكح أمة؟ وعرضوا عليه حرة مشركة، فأنـزل الله تعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١] (تفسير البغوي)، اضاف ابن كثير: وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين، ويُنكحوهم رغبة في أحسابهم، (تفسير ابن كثير).

عبد الله بن سعد بن أبي سرح

أسلم وهاجر قبل الفتح. كان كاتبا فجعله رسول الله ﷺ من كتبة الوحي، وكان من ضعف ايمانه اذا املى عليه رسول الله "عزيز حكيم" كتب "عليم حكيم". ثم يقرا على رسول الله ما كتب فيقول "نعم سواء". ولما نزل قول الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤]، املاها عليه رسول الله، فلما وصل الى (خلقا آخر)، تعجب من تفصيل خلق الله فقال: تبارك الله احسن الخالقين، فقال له رسول الله «اكتبها فهكذا نزلت» فشك فقال: لئن صدق محمد فلقد اوحي الي كما اوحي اليه. ثم ارتد مشركا وهرب الى مكة فقال لهم: إني كنت أصرف محمدا حيث أريد كان يملي علي: «عزيز حكيم» فأقول: «أو عليم حكيم»؟ فيقول: «نعم كل صواب». فانزل الله فيه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣] وقيل نزلت في مسيلمة الكذاب والله اعلم. (تفسير البغوي)

وهو ممن اهدر دمه يوم الفتح ولو وجد تحت أستار الكعبة. ففر إلى عثمان بن عفان، وكان أخا عثمان من الرضاعة. فغيبه حتى أتى به إلى رسول الله ﷺ، فاستأمنه له فقال: "نعم». ثم أسلم فحسن إسلامه، ولاه عثمان مصر سنة خمس وعشرين ففتح الله على يديه إفريقية، ثم غزا غزوة ذات الصواري في البحر إلى الروم. وتوفي بعسقلان سنة ست وثلاثين. قيل: وهو

يصلي الصبح قبل التسليم (أسد الغابة باب العين ص٥٨).

عبد الله بن سلام بن الحارث

من بني قينقاع كان من احبار اليهود، قيل من نسل يوسف عليه السلام، انصاري من حلفاء الخزرج، وكان اسمه في الجاهلية الحصين فسماه رسول الله ﷺ حين أسلم عبد الله. اسلم لما قدم النبي ﷺ المدينة مهاجرا. قيل بقباء وقيل في دار ابي ايوب وقيل: لما سمع ببعثة النبي عرفه مما جاء في صفته في التوراة، فاسر في نفسه الاسلام فلما قدم رسول الله المدينة اعلن اسلامه، قيل لما اسلم قال لرسول الله اسال عني يهود قبل ان يعلموا بإسلامي فإنهم ان علموا سيقولون في ما ليس في وسيعيبونني، فدعاهم رسول الله فلما قدموا عليه قال لهم: ((يا معشر اليهود ويلكم، اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً وأني جئتكم بحق فأسلموا)). فأنكروا وقالوا: ما نعلمه. قيل كرر ذلك ثلاثا ثم قال: (فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟) قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا. قال: (أفرأيتم إن أسلم؟) قالوا: حاش لله ما كان ليسلم. قال: (يا ابن سلام اخرج عليهم) فخرج فقال: يا معشر يهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بالحق. فقالوا: كذبت. قيل فنزلت فيه وفيهم: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾ [الأحقاف: ١٠] فقد شهد ان القران نزل على محمد كما نزلت التوراة على موسى، عليهما الصلاة والسلام، فامن عبد الله وكفرت اليهود. كما نزلت: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣] (أسد الغابة: ص٥٨) (البداية والنهاية ج٣ص٤١).

قلت: فالذين عندهم علم الكتاب هم العلماء من اهل الكتابين، كأحبار اليهود وقساوسة النصارى، يعرفون ان محمدا عليه الصلاة والسلام رسول الله، صدق به قليل منهم كعبد الله كان يهوديا، والنجاشي كان نصرانيا، وغيرهما، ولكن كثيرين لم يؤمنوا. فمن امن شاهد على من لم يؤمن. قيل: لما حضر معاذ بن جبل الموت قيل له: يا أبا عبد الرحمن أوصنا. فقال: أجلسوني قال: إن العلم والإيمان مكانهما من ابتغاهما وجدهما فالتمسوا العلم عند أربعة رهط: عند عويمر أبي الدرداء وعند سليمان الفارسي وعند عبد

الله بن مسعود وعند عبد الله بن سلام الذي كان يهوديا فأسلم فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه عاشر عشرة في الجنة». (رواه الترمذي)، روى عدة احاديث وتوفي سنة ثلاث وأربعين رضي الله عنه. (أسد الغابة: ص٥٨).

عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول

هو ابن راس النفاق عبد الله بن ابي ولكنه كان من صالح المسلمين وفضلائهم، كان اسمه قبل ان يسلم الحباب فسماه رسول الله عبد الله، ولما بلغه ما كان من أمر أبيه يوم غزوة بني المصطلق والتي تسمى ايضا غزوة المريسيع وذلك انه قال: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨] جاء الى رسول الله وقال: يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل أبي، فإن كنت فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، وأخشى أن تأمر غيري بقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمنًا بكافر فأدخل النار. فقال النبي ﷺ: بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا. قال عكرمة وابن زيد وغيرهما: أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة، وقف عبدُ الله بن عبد الله هذا على باب المدينة، واستل سيفه، فجعل الناس يمرون عليه، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي قال له ابنه: وراءك. فقال: ما لك؟ ويلك. فقال: والله لا تجوز من هاهنا حتى يأذنَ لك رسول الله ﷺ، فإنه العزيز وأنت الذليل. فلما جاء رسول الله ﷺ ـ وكان إنما يسير ساقة (والساقة: مؤخر الجيش، لسان العرب) فشكا إليه عبد الله بن أبيّ ابنه، فقال ابنه عبد الله: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له. فأذن له رسول الله ﷺ، فقال: أما إذ أذن لك رسول الله ﷺ فَجُز الآن. وقيل قال لأبيه: والله لا تدخل المدينة أبدًا حتى تقول: رسولُ الله ﷺ الأعز وأنا الأذل. ومنعه من دخول المدينة حتى فعل. (أسد الغابة ص١٥) (التفاسير).

علي بن أبي طالب

رابع الخلفاء الراشدين كرم الله وجهه

واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي أبو الحسن، أول الناس إسلاما في قول كثير من أهل العلم، ولد قبل البعثة بعشر سنين، تربى في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك، فقد خلفه عليه السلام في أهله فقال المنافقون ما منعه أن يخرج به إلا

أنه كره صحبته، فبلغ ذلك عليا فذكره للنبي ﷺ فقال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وكان ممن ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين انهزم الناس، زوجه رسول الله ابنته فاطمة فهو ابو السبطين الحسن والحسين. وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد ولما آخى النبي ﷺ بين أصحابه قال له «أنت أخي في الدنيا والآخرة» وكان قد اشتهر بالفروسية والشجاعة والإقدام، ومناقبه كثيرة روى عن النبي ﷺ كثيرًا، وروى عنه كثير من الصحابة وولداه الحسن والحسين وكثير من التابعين.

وكان أحد رجال الشورى الستة الذين نص عليهم عمر، فعرض عليه عبد الرحمن بن عوف الخلافة وشرط عليه شروطا امتنع من بعضها، فعدل عنه إلى عثمان فقبلها فولاه، وسلم علي وبايع عثمان، ولم يزل متصديا لنصر العلم والفتيا، فلما قتل عثمان بايعه جميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم وذكر ان طلحة والزبير بايعا كارهين غير طائعين وخرجا إلى مكة، ثم قام جماعة من الصحابة منهم طلحة والزبير وعائشة في طلب دم عثمان فكان من وقعة الجمل ما اشتهر، وقتل يومئذ طلحة والزبير وغيرهما، وأقام علي بالبصرة خمس عشرة ليلة ثم انصرف إلى الكوفة. ثم قام معاوية في أهل الشام، وكان أميرها لعثمان ولعمر من قبله، فدعا إلى الطلب بدم عثمان، فكان من وقعة صفين ما كان حيث قدم علي من الكوفة بمن معه يريد معاوية بالشام، وخرج معاوية اليه بأهل الشام فالتقوا بصفين ووقع بينهم القتال، ثم تداعوا إلى الصلح وحكموا الحكمين، فحكم علي أبا موسى الأشعري وحكم معاوية عمرو بن العاص وكتبوا بينهم كتابا أن يوافوا رأس الحول بأذرح فينظروا في أمر هذه الأمة، فافترق الناس فرجع معاوية بالألفة من أهل الشام، وانصرف علي إلى الكوفة بالاختلاف فخرجت عليه الخوارج من أصحابه ومن كان معه، فساروا إلى النهروان فعرضوا للسبيل، فسار إليهم فقتلهم وذلك سنة ثمان وثلاثين ثم انصرف إلى الكوفة فلم يزل بها يخافون عليه الخوارج إلى أن قتل رحمه الله. ولما كان الموعد اجتمع الناس بأذرح في شعبان سنة ثمان وثلاثين وحضرها سعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما من أصحاب رسول الله ﷺ فقدم عمرو أبا موسى فتكلم فخلع عليا وتكلم عمرو فأقر معاوية وبايع له فتفرق الناس على هذا.

وكان رأى علي رضي الله عنه أن يدخلوا في الطاعة (اي معاوية ومن معه من اهل الشام)، اي يقروا له بالخلافة ويبايعوه كعامة المسلمين، ثم يقوم

ولي دم عثمان فيدعى به عنده، ثم يعمل معه ما يوجبه حكم الشريعة المطهرة، وكان من خالفه يقول له تتبعهم واقتلهم فيرى أن القصاص بغير دعوى ولا إقامة بينة لا يصح، وكل من الفريقين مجتهد، وكان من الصحابة فريق لم يدخلوا في شيء من القتال واعتزلوا الفتنة،، قاتل الخوارج في النهروان سنة ثمان وثلاثين، وقتل ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، قيل وهو ابن ثلاث او اربع او خمس وستين سنة، وقيل وهو ابن ثمان وخمسين، ومجمل القول انه قد قارب الستين او جاوزها، ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف شهر، قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي الخارجي ـ لعنه الله ـ، وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن، ودفنوه بالكوفة سحرا واخفوا قبره. (الإصابة ج٥ص٦٠) (أسد الغابة: ص٨٥) (الطبقات الكبرى ج٣ص٢٧).

ولما نزل قول الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] فقد تعددت الروايات فيما كان من رسول الله ﷺ، فروي عن ابي سعيد الخدري وعن عائشة وعن انس وعن ام سلمة وعن وائلة بن الاسقع وغيرهم، وكلها تؤكد ان المقصود بأهل البيت في هذه الاية هم اهل بيت رسول الله ﷺ: علي وفاطمة والحسن والحسين، وان كان في بعض رواتها نظر، إلا انها على تعددها واختلاف الفاظها، تؤكد على حادثة الكساء، وهي انه ﵇ دعا عليا وفاطمة والحسن والحسين والقى عليهم كساءه وضمه عليهم وقال «اللَّهُمَّ هَؤلاءِ أَهْلُ بَيْتِي، أذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا». وقيل انما نزلت الاية في نساء النبي عامة، قال به عكرمة عن ابن عباس، وذلك بدلالة الاية التي قبلها والتي بعدها، والله اعلم. (تفسير الطبري) وعن زيد بن أرقم: أهل بيته مَنْ حَرُمَ الصدقة عليه بعده، آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس. (تفسير البغوي) (التفاسير) قلت والحصر في الاربعة لا ينفي العموم اي ازواجه ﵇، ومن حرم الصدقة بعده، فان الاربعة مع التخصيص يدخلون في العموم والله اعلم.

وفي قوله تعالى: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩]روى البخاري (برقم٤٧٩٠) من حديث ابو ذر انه كان يقسم ان هذه الاية (نزلت في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في يوم بدر) ويومها كان اول

من برز: عتبة بن ربيعة، وأخيه شيبة بن ربيعة، وابنه الوليد بن عتبة، فبرز حمزة لشيبة، وبرز علي للوليد، وبرز عبيدة بن الحارث لعتبة، فقتل حمزة وعلي صاحبيهما، واختلف عبيدة وعتبة ضربتين اثبت كل منهما صاحبه، ثم شد حمزة وعلي على عتبة فقتلاه. (البداية والنهاية ج٣ص٤٤) قيل هم الخصوم الذين اختصموا الى ربهم، هؤلاء مؤمنون وأولئك كفار. وقيل نزلت في عموم المؤمنين وعموم الكفار (التفاسير) والله اعلم.

عمار بن ياسر

صحابي جليل من مذحج، كان ابوه ياسر بن عامر وعماه الحارث ومالك قدموا من اليمن إلى مكة يطلبون أخا لهم، فرجع اعمامه إلى اليمن وأقام ياسر بمكة، وحالف أبا حذيفة بن المغيرة من بني مخزوم، فزوجه أمته سمية بنت خياط فولدت له عمارا فأعتقه، ولم يزالوا مع أبي حذيفة إلى أن مات وجاء الله بالإسلام فأسلم ياسر وسمية وعمار وأخوه عبد الله ورسول الله في دار الارقم، فكان بنو مخزوم يخرجونهم الى البطح اذا حميت الشمس، فيعذبونهم فمات ابوه وهو يعذب، فأغلظت امه سمية القول لأبي جهل، فقذفها بحربة كانت معه فقتلها، فكانت اول شهيدة في الاسلام رضي الله عنها، ثم اشتدوا في عذاب عمار تارة بوضع الصخر عليه في شدة الحر وطورا بالتفريق وقالوا له: سب محمد وقل في اللات والعرى خيرا نرفع عنك العذاب، فلما لم يطق العذاب قال افعل فأطلقوه، فذهب الى رسول الله باكيا فاخبره بما فعل فقال رسول الله: فكيف تجد قلبك قال: أجده مطمئنًا بالإيمان. فقال: يا عمار إن عادوا فعد فأنزل الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: ١٠٦] (الكامل ج١ص١٧).

وكان النبي ﷺ يمر عليه وعلى امه وأبيه وهم يعذبون، وكانوا ممن اظهر اسلامه فيقول: صبرا آل ياسر موعدكم الجنة، واختلف في هجرته إلى الحبشة وهاجر إلى المدينة، شهد المشاهد كلها ثم شهد اليمامة فقطعت أذنه بها ثم استعمله عمر علي الكوفة، وعن أبي سعيد الخدري قال: لما أخذ النبي ﷺ في بناء المسجد جعلنا نحمل لبنة لبنة وجعل عمار يحمل لبنتين لبنتين: فجئت فحدثني أصحابي أن النبي ﷺ جعل ينفض التراب عن رأسه ويقول: ويحك بن سمية تقتلك الفئة الباغية، قتل مع علي بصفين سنة سبع وثمانين

في ربيع وله ثلاث وتسعون سنة، وصلى عليه علي ولم يغسل ودفن هناك رحمه الله ورضي عنه، روى عن النبي ﷺ عدة أحاديث وروى عنه عدد من الصحابة والتابعين. (الإصابة ج٤ ص٦١) (الطبقات الكبرى ص٣٣).

عمر بن الخطاب الفاروق

ثاني الخلفاء الراشدين رضي الله عنه

يكنى ابو حفص، كانت إليه السفارة في الجاهلية وكان عند المبعث شديدًا على المسلمين ثم أسلم، وروي بعدة طرق عن رسول الله ﷺ الدعوة لأحد العمرين بالإسلام، (والعمرين هما عمر بن الخطاب، وعمرو بن هشام) فعن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال «اللهم أعز الإسلام بابي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب» وعن نافع عن بن عمر قال إن رسول الله ﷺ قال «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام». فاسلم عمر فكان إسلامه فتحا على المسلمين وفرجا لهم من الضيق، قال عبد الله بن مسعود وما عبدنا الله جهرة حتى أسلم عمر. (الإصابة ج٤ ص٦١) اسلم قديما ورسول الله في بيت ابن ابي الارقم، لقب بالفاروق وذلك انه لما اسلم، وكان اسلم قبله حمزة عم رسول الله، فقوي بهما الاسلام فأشار عمر على رسول الله ان يخرج الى الكعبة بالمسلمين فيصلي بهم، فخرجوا في صفين يحرسهما عمر وحمزة وبينهما رسول الله، قيل كانت اول صلاة يصليها المسلمون جهارا لا يخافون.

روي عن ابن عباس قال، جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ فقال، يا رسول الله هلكت قال وما الذي أهلكك قال حولت رحلي البارحة قال: فلم يرد عليه شيئا قال فأوحى الله إلى رسوله ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾ [البقرة: ٢٢٣] وقال: أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة. (مسند احمد برقم ٢٥٦٩) وقول عمر حولت رحلي، معناه اتيت اهلي من دبر في قبل. وكان رضي الله عنه تقيا ورعا حازما كثير البكاء ذا رأي، نزلت ايات عدة وافقت راية، منها اية الحجاب، فقد قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو ضربت على نساءك الحجاب، فلم يكن إلا ان نزلت اية الحجاب قال تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وخرج في عدة سرايا وكان أمير بعضها، ولي الخلافة بعد ابي بكر وقال في اول خطبة له لما ولي الخلافة: ثلاث كلمات إذا قلتها فهيمنوا عليها اللهم إني ضعيف فقوني اللهم إني غليظ فليني اللهم إني بخيل فسخني. وعنه أنه قال إني أنزلت مال الله مني بمنزلة مال اليتيم فإن استغنيت عففت عنه وإن افتقرت أكلت بالمعروف، وكان يقول إن الناس لم يزالوا مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم. وقال: الرعية مؤدية إلى الإمام ما أدى الإمام إلى الله فإذا رتع الإمام رتعوا.

وعمر أول من كتب التأريخ في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة فجعل ابتداءه من هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، وأول من جمع القرآن في الصحف وأول من سن قيام شهر رمضان وجمع الناس على ذلك، وجعل للناس بالمدينة قارئين قارئا يصلي بالرجال وقارئا يصلي بالنساء، وهو أول من ضرب في الخمر ثمانين واشتد على أهل الريب والتهم، وأول من عس في عمله بالمدينة وحمل الدرة وأدب بها، وهو أول من سمي «أمير المؤمنين»، وهو أول من فتح الفتوح وهي الأراضي والكور التي فيها الخراج والفيء، فتح العراق كله وأذربيجان والأهواز وفارس وكور الشام ما خلا أجنادين فإنها فتحت في خلافة أبي بكر الصديق رحمه الله ومصر والإسكندرية.

ولما كثر الناس بالمدينة أدخل دار العباس في مسجد رسول الله ﷺ، فزاده ووسعه وبناه. وآخر المقام إلى موضعه اليوم وكان ملصقا بالبيت، وأخرج اليهود من الحجاز ومن جزيرة العرب إلى الشام وأخرج أهل نجران الى الكوفة، وحضر فتح بيت المقدس، وهو اول من مصر الامصار ودون الديوان، ولما كان اليوم الذي طعن فيه دخل المسجد على عادته لصلاة الفجر فقام بين الصفوف ثم قال استووا فإذا استووا تقدم فكبر فلما كبر طعن فقال: قتلني الكلب أو أكلني الكلب فأخذ بيد عبد الرحمن بن عوف فقدمه فصلوا الفجر يومئذ صلاة خفيفة بعد ان ادخلوا عمر بيته. ثم قال انظروا من قتلني فقيل: علج المغيرة بن شعبة (أبو لؤلؤة المجوسي) فقال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي إلى الإسلام. ثم اوصى ابنه عبد الله لسداد ديونه، واستأذن عائشة رضي الله عنها ان يدفن مع صاحبيه فأذنت له، وقيل له استخلف فأبى وجعل الخلافة شورى بين الستة بقية العشرة المبشرين الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وسمى عليا وعثمان وطلحة والزبير

وعبد الرحمن وسعدا بن ابي وقاص وقال: فإن أصابت سعدا فذاك وإلا فأيهم استخلف فليستعن به فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة، وجعل ابنه عبد الله معهم يشاورونه وليس له من الأمر شيء، ثم أمر صهيبا ان يصلي بالناس ثلاثة ايام حتى يجمع اهل الشورى امرهم على رجل منهم،

وكان رضي الله عنه طعن وهو يصلي الفجر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين، وكانت خلافته عشر سنين، وستة أشهر، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقيل غير ذلك، والله اعلم، (أسد الغابة ص٨٧) (التفاسير) (الطبقات الكبرى ج٣ ص٣٤).

عوف بن مالك الأشجعي

هكذا اسمه في (الإصابة ج٣ ص٣٥) وفي (معرفة الصحابة ج٢ص٥٥) وفي (الطبقات الكبرى ج٤ ص٤٩) اما في (أسد الغابة: ص١١١) فهو، مالك بن عوف الأشجعي. وقيل: أبو عوف. يكنى: أبا عبد الرحمن، أسلم قبل حنين وشهد خيبر مسلما، وكانت معه راية أشجع يوم فتح مكة، سكن الشام في خلافة أبي بكر، فنزل حمص وبقي الى أول خلافة عبد الملك بن مروان، وقدم مصر، ومات سنة ثلاث وسبعين (الطبقات الكبرى ج٤ ص٤٩).

اخذ عنه الحديث كثير من الصحابة والتابعين، جاء يوما إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن ابني أسره العدو وجزعت أمه فما تأمرني قال: آمرك وإياها أن تستكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فقالت المرأة: نعم ما أمرك به، فجعلا يكثران منها فغفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها إلى أبيه وهي أربعة آلاف شاة فنزلت: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣](تفسير الطبري).

كعب بن عجرة بن امية

حليف الأنصار من الخزرج وقيل أنصاري من أنفسهم، وقال البخاري مدني له صحبة يكنى أبا محمد، وقيل كنيته أبو إسحاق، وقيل أبو عبد الله، روى عن النبي ﷺ وروى عنه عدد من الصحابة والتابعين، شهد عمرة

الحديبية ونزلت فيه قصة الفدية، وقد أخرج ذلك في الصحيحين بعدة طرق. ومن رواية بن أبي نجيح أن النبي ﷺ مر به وهو محرم، يوقد تحت قدر والقمل يتهافت على وجهه فقال له «احلق رأسك واطعم فرقا بين ستة مساكين» الحديث. وأخرج بن سعد أن يد كعب قطعت في بعض المغازي ثم سكن الكوفة، قيل مات بالمدينة سنة إحدى، وقيل ثنتين، وقيل ثلاث وخمسين، وله خمس، وقيل سبع وسبعون سنة. (الإصابة ج٥ ص٧٢).

وروي عنه انه قال: كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية، ونحن محرمون وقد حصرنا المشركون قال: وكانت لي وفرة فجعلت الهوام تساقط على وجهي فمر بي النبي ﷺ فقال «أيؤذيك هوام رأسك». قلت نعم. قال فانزل الله تعالى:

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ [البقرة: ١٩٦] (البخاري برقم٤٢٤٠)، وقوله وفرة يعني غزارة شعره، والهوام: القمل والصئبان. قيل امره رسول الله بإطعام ستة مساكين، او صيام ثلاثة ايام. (التفاسير).

مرثد بن أبي مرثد الغنوي

واسم أبي مرثد: كناز، ومرثد صحابي ممن شهد بدرًا، وكان حليف حمزة بن عبد المطلب، ولما هاجر آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أوس بن الصامت. كان يحمل الأسارى من مكة إلى المدينة لشدته وقوته. وكان بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية، وكان قد وعد رجلا من أهل مكة ليحمله، فذهب ينتظره مختفيا في بستان ليلة بمكة ليحمله، فمرت عناق فراته فعرفته فدعته لينام عندها فقال: يا عناق إن الله حرم الزنا ! فصاحت بأهل مكة تخبرهم بمكانه فهرب فاختفى بغار، فلما سكن الطلب عاد الى صاحبه فحمله، ثم فك قيده وسارا الى المدينة، فأتى رسول الله فقال: يا رسول الله أنكح عناق ؟ (سال ان يتزوجها) فأمسك رسول الله حتى نزلت فيه: ﴿وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٣] واستشهد في صفر سنة ثلاث في غزاة الرجيع (الإصابة ج٦ ص٧٧) (معرفة الصحابة ج٣ص٦٣) (أسد الغابة: ص١١٥) (التفاسير).

نبهان التمار

ويكنى أبو مقبل كان يبيع التمر، فأتته امرأة حسناء، تبتاع منه، فضرب على عجزها، فقالت: والله ما حفظت غيبة أخيك، ولا نلت حاجتك، فأسقط في يده، فذهب إلى رسول الله ﷺ، فحدثه بما فعل، فقال رسول الله ﷺ: «إياك أن تخون امرأة غاز»، فذهب يبكي، فقام ثلاثة أيام: النهار صائما، والليل قائما حزينا، فلما كان يوم الرابع أنزل الله تعالى فيه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] فأرسل رسول الله ﷺ، فأخبره بما نزل فيه، فحمد الله وشكره، وقال: يا رسول الله، هذه توبتي قبلها الله مني، فكيف لي حتى يقبل شكري؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[هود: ١١٤] (تفسير البغوي) (معرفة الصحابة ج٣ص٦٦) (أسد الغابة: ص١١٦) وقيل نزلت بابي اليسر (الإصابة ج٦ ص٨٣).

هلال بن امية

وهو احد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، ثم تاب الله عليهم، جاء فوجد عند أهله رجلا فلما اصبح اتى رسول الله فقال: يا رسول الله إني جئت أهلي عشاء فوجدت عندها رجلا فرأيت بعيني وسمعت بأذني (يعني الزنا)، فكره رسول الله ما جاء به واشتد عليه وقال الانصار: الآن يضرب هلال وتبطل شهادته في المسلمين فقال هلال: والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجا، ثم قال لرسول الله: يا رسول الله إني قد أرى ما اشتد عليك مما جئت به والله يعلم إني لصادق. وهم رسول الله بضربه فنزلت ايات الملاعنة (٦-٩، سورة النور) قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور: ٦] فقال رسول الله: أبشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجا ومخرجا، فأمر رسول الله بالملاعنة فتلاعنا فصدق

هلال وكذبت، فتركها رسول الله ﷺ وقال: لولا الأيمان لكان لي ولها شان.
(روي في مسند احمد برقم٢٠٢٤).

الوليد بن عقبة بن أبي معيط

يكنى الوليد أبا وهب. وهو اخو عثمان بن عفان لأمه. أسلم يوم فتح مكة هو وأخوه خالد، قال أبو عمر: أظنه لما أسلم كان قد ناهز الاحتلام. قيل ولاه عثمان رضي الله عنه الكوفة، وعزل عنها سعد بن أبي وقاص، فلما قدم الوليد على سعد قال له: والله ما أدري أكست بعدنا (اي صرت كيسا فطنا) أم حمقنا بعدك ؟ فقال: لا تجزعن أبا اسحاق، فإنما هو الملك يتغداه قوم، ويتعشاه آخرون. فقال سعد: أراكم ستجعلونها ملكاً. وكان من رجال قريش ظرفاً وحلماً، وشجاعة وأدباً، وكان من الشعراء المطبوعين، قال الأصمعي وأبو عبيدة والكلبي وغيرهم: كان الوليد شريب خمر، وكان شاعراً كريماً. قيل صلى الوليد بن عقبة بأهل الكوفة صلاة الصبح أربع ركعات، ثم التفت إليهم فقال: أزيدكم ؟ فقال عبد الله بن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم ! . قال أبو عمر: وخبره هذا مشهور من رواية الثقات من أهل الحديث. ولما شهدوا عليه بشرب الخمر، أمر عثمان به فجلد وعزله عن الكوفة، واستعمل بعده عليها سعيد بن العاص. وقيل اعتزل الفتنة في مقتل عثمان رضي الله عنه، وقيل: شهد صفين مع معاوية، وقيل: لم يشهدها، ولكنه كان يحرض معاوية بكتبه وشعره. وأقام بالرقة إلى أن توفي بها ودفن بالبليخ في خلافة معاوية. (أسد الغابة: ص١٢٢) (الإصابة ج٥ ص٨٧).

بعثه النبي ﷺ إلى بني المصطلق مصدقا (اي يجمع الصدقات)، فعاد وأخبر عنهم أنهم ارتدوا ومنعوا الصدقة، وكانوا خرجوا يتلقونه وعليهم السلاح فظن أنهم خرجوا يقاتلونه، فهابهم فانصرف عنهم، فبعث رسول الله إليهم خالد بن الوليد، فلما دنا منهم بعث عيونا ليلا فإذا هم ينادون بالصلاة ويصلون، فأتاهم خالد فلم ير منهم إلا طاعة وخيرًا فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره خبرهم، وجاءوا الى رسول الله يعتذرون، فنزل في الوليد قول الله سبحانه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحُجُرات: ٦]. فبينت كذب الوليد وصدقهم فعذرهم رسول الله

(أسد الغابة: ص١٢٢) (الإصابة ج٥ ص٨٧) (معرفة الصحابة ج٣ ص٦٦) (التفاسير).

الذين تخلفوا عن غزوة تبوك

لما كانت غزوة تبوك وكانت في حر وقيظ وبعد ديار وقلة ذات يد، اعلن رسول الله ﷺ لأصحابه عن وجهته، وذلك على غير عادته عندما كان يخرج للغزو، وذلك حتى يعلمهم ببعد السفر ومشقة المسير، فتخلف جماعات عن رسول الله ﷺ، منهم كفرا او نفاقا، ومنهم معذورون، ومنهم كسلا او تهاونا دون عذر، وقد انزل الله فيهم جميعا قرانا، كل حسب حاله:

منهم البكاؤون

اختلف الرواة في عددهم فقيل ستة، وقيل سبعة، وقيل اكثر من ذلك، ومجمل الروايات تحدهم ببضعة عشر رجلا، حسبما احصيتهم، بعضهم من الانصار، وبعضهم من الشاعريين، وبعضهم من بني مقرن، رضي الله عنهم اجمعين. وهم من فقراء المسلمين، سالوا رسول الله ان يحملهم وهم يطمعون في الخروج معه للجهاد، فقال لهم: ﴿لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [التوبة: ٩٢] فلما قال لهم ذلك: ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]، انصرفوا وهم يبكون أسفا على ما فاتهم من صحبة رسول الله في غزوه، فسماهم المسلمون البكائين، قيل لقي يامين بن عمير بن كعب (قلت: وهو احد بني النضير لم يسلم منهم غيره)، أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب، وعبد الله بن مغفل المزني يبكيان، فلما اخبراه خبرهما اعطاهما بعيرًا، فخرجا عليه وكانا يتعاقبانه، وقيل جاء رسول الله ستة أبعر فأعطاهم اياها، وقيل حملوا كلهم، وقيل بعضهم، والبعض لم يحمل فبقي بالمدينة وهو الارجح، وذلك لان رسول الله لما رجع من تبوك فدنا من المدينة قال «إن بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم». قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال «وهم بالمدينة حبسهم العذر». (البخاري برقم٤٤٦٧) والذين عناهم رسول الله هم المعذورون من البكائين وغيرهم من الضعفاء والمرضى. (المنتظم ج٣ ص٣٤) (الكامل ج١ ص٢٤) (البداية ج٥ ص٦٥).

ومنهم الثلاثة الذين تاب الله عليهم

وهؤلاء الثلاثة هم: كعب بن مالك، وهلال بن امية الواقفي، ومرارة بن الربيع العمري، والذي كان من امرهم أنهم تخلفوا عن رسول الله ﷺ، لما

خرج بالمسلمين في غزوة تبوك، ولم يكن لهم عذر يمنعهم من الخروج إلا التباطؤ والكسل، فقد كانت لهم رواحل وأموال، فلما رجع ﷺ من غزوته، جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله، وممن جاء هؤلاء الثلاثة، فصدقوه القول واقروا بان لا عذر لهم، وسالوا الله المغفرة، فصدقهم رسول الله وأرجأهم الى ان يقضي الله فيهم بأمره، ونهى المسلمين عن كلامهم، فاجتنبهم الناس وتغيروا لهم حتى ضاقت بهم انفسهم، فأما امية ومرارة فقعدا في بيتيهما يبكيان، وأما كعب فقد كان يحضر الصلاة مع رسول الله، ويمشي في الاسواق لا يكلمه احد، فلقيه نبطي من الشام جاءه بكتاب من ملك غسان، يدعوه ان يقدم عليه فيواسيه، فقال لما قرأه: هذا ايضا من البلاء، ثم القاه في التنور فاحرقه. فلما مضت أربعون ليلة امرهم رسول الله ان يعتزلوا نساءهم، ولما تم ارجاؤهم خمسين ليلة، بشرهم رسول الله بتوبة الله عليهم قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ **[التوبة: ١١٨] والقصة مفصلة في حديث كعب بن مالك الذي رواه (البخاري برقم٤٤٦٢).**

ومنهم الذين ربطوا انفسهم في المسجد

وقع خلاف في عددهم فقيل ستة وقيل سبعة، وقيل غير ذلك، كما وقع خلاف في اسمائهم، ومعظم الروايات ذكرت فيهم ابا لبابة، وقد تركت اسماءهم للخلاف، ولكنهم جماعة لقول الله سبحانه: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ صَٰلِحٗا﴾ **[التوبة: ١٠٢] تخلف هؤلاء النفر عن رسول الله في غزوة تبوك، ولا عذر لهم في التخلف، فلما ثابوا الى انفسهم استغفروا الله، وربطوا انفسهم في سواري المسجد، واقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يحلهم رسول الله ويعذرهم، فلما رجع عليه الصلاة والسلام من الغزو، وعرف خبرهم قال: (لا اطلقهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم) او كما قال عليه الصلاة والسلام، فبقوا على حالهم حتى نزلت الاية بالتوبة، فحلهم رسول الله وعذرهم. (تفسير الطبري).**

الفرار يوم احد

لما كان يوم احد جعل رسول الله ﷺ عليه خمسين من الرماة، واستعمل عليهم عبد الله بن جبير وأوعز إليهم فقال: قوموا على مصافكم هذه فاحموا ظهورنا، فإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، واصطف المشركون ودفعوا اللواء إلى طلحة بن أبي طلحة، وكان أول من أنشب الحرب بينهم أبو عامر الفاسق طلع على المسلمين في خمسين من قومه ومعه عبيد قريش فتراموا بالحجارة هم والمسلمون حتى ولى أبو عامر وأصحابه، ثم دنا القوم بعضهم من بعض والرماة يرشقون خيل المشركين بالنبل، فصاح طلحة بن أبي طلحة صاحب اللواء من يبارز فبرز له علي بن أبي طالب رضي الله عنه فالتقيا بين الصفين فبدره علي فضربه على رأسه فقتله، وهو كبش الكتيبة فسر رسول الله ﷺ بذلك وكبر، وكبر المسلمون وشدوا على المشركين يضربونهم حتى اختلت صفوفهم، فحمل لواءهم عثمان بن أبي طلحة فقتله حمزة، ثم انتقل اللواء بين ثمانية منهم، كلما حمله رجل قتله المسلمون، فانكشف المشركون منهزمين وتبعهم المسلمون يضعون فيهم السلاح، ووقعوا ينتهبون العسكر ويأخذون الغنائم فلما رأى الرماة ذلك اختلفوا بينهم وثبت أميرهم عبد الله بن جبير في نفر يسير دون العشرة مكانهم، وترك الباقون اماكنهم ونزلوا يجمعون الغنائم.

فلما كان ذلك نظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلة أهله، فكر بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم، فانتقضت صفوف المسلمين ودارت الدائرة عليهم، ونادى مناد ان رسول الله قتل، واختلط المسلمون فصاروا يقتتلون ويضرب بعضهم بعضا ما يشعرون به من العجلة والدهش، وقتل مصعب بن عمير، فنادى المشركون بشعارهم يا للعزى يا لهبل، وارتدوا الى المسلمين يقتلونهم قتلا ذريعا، وولى من ولى منهم يومئذ وثبت رسول الله ﷺ، وثبت معه عصابة من أصحابه أربعة عشر رجلا قيل سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار (الطبقات الكبرى ج٢ ص١٧)، وكان جماعة من الذين فروا قد وصلوا المدينة. روي عن ابن عباس قال: نزلت في عثمان بن عفان وأبي حذيفة بن عتبة ورافع بن المعلى الأنصاري وخارجة بن زيد الذين تولوا يوم التقى الجمعان. (أي يوم احد) فنزل فيهم خاصة:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ ﴾

[آل عمران: ١٥٥] وقيل نزلت فيمن فر الى المدينة خاصة، وقيل بل نزلت في كل من تولى ذلك اليوم، وذلك حين اشيع ان رسول الله ﷺ قتل، فارتج

المسلمون وفر منهم من فر، وقد بين الله لهم العذر فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾ **[آل عمران: ١٥٥] فغفر لهم وقال:** ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ **[آل عمران: ١٥٥]** (أسد الغابة: ص٢٩) (التفاسير).

أزواج رسول الله ﷺ

تزوج رسول الله ﷺ عددا من النساء، منهن من عقد عليهن ثم فارقهن ولم يدخل بهن. قال الحافظ أبو محمد المقدسي وغيره: (وعقد على سبع ولم يدخل بهن). اما من دخل بهن ولم يفارقهن فاحدى عشرة امرأة، ست نساء من قريش، وأسدية، وواحدة من بني النضير، وأخرى من بني المصطلق، وهلاليتان. وكان له عدد من الاماء قيل اربع، اشتهر منهن مارية ام ابراهيم، ووقع خلاف في ريحانة، هل كانت امة ام زوجة. وقد مات في حياته من ازواجه، خديجة بني خويلد (القرشية)، وزينب بنت خزيمة (الهلالية)، وتوفي عليه الصلاة والسلام عن التسع الاخريات، وكانت اولهن لحوقا به زينب بنت جحش، وآخرهن ام سلمة، وقيل ميمونة، وهؤلاء هن امهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعا وأرضاهن. وحرمتهن على المؤمنين كحرمة أمهاتهم عليهم، في أنهن يحرم عليهم نكاحهن من بعد وفاته، كما يحرم عليهم نكاح أمهاتهم.

قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب: ٦]، والنبي هو ولي المؤمنين وأولى بهم من انفسهم، وقد روي عن ابي بن كعب وعن ابن عباس وغيرهم: وهو أب لهم. وروى البخاري (برقم ٢٤٣٨ وبسنده) عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال «ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرءوا إن شئتم: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٦] فأيما مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ومن ترك دينا أو ضياعا فليأتني فأنا مولاه». وروى مسلم (برقم ٤٢٤٤) نحوه. والخلاصة ان الصلاة على أزواجه تابعة لاحترامهن وتحريمهن على الأمة، وأنهن امهات المؤمنين ونساؤه ﷺ في الدنيا والآخرة، فمن فارقها ولم يدخل بها، لا يثبت لها أحكام زوجاته اللاتي دخل بهن، ولا يقال لها ام المؤمنين، صلى الله عليه وعلى أزواجه وآله وذريته وسلم. (التفاسير وكتب التاريخ باختصار وتصرف).

خديجة بني خويلد رضي الله عنها (قرشية)

اول زوجات النبي ﷺ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، تزوجها بمكة، وبقيت معه إلى أن بعثه الله فآمنت به ونصرته وواسته بمالها، فكانت أول امرأة آمنت بالله ورسوله من هذه الأمة. وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين، ولها خصائص منها: أنه لم يتزوج عليها غيرها في حياتها، وأن أولاده كلهم منها، إلا إبراهيم، فإنه من سريته مارية، ومنها أن الله سبحانه بعث إليها السلام مع جبريل، كما روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة، رضي الله عنه، فبلغها رسول الله ﷺ ذلك. وبشرها ببيت في الجنة من قَصَب، لا صَخَب فيه ولا نَصَب، ولم يكن ذلك لسواها. ومن خواصها، أنها لم تسوءه قط، ولم تغاضبه، ولم ينلها منه إيلاءً، ولا عتب قط، ولا هجر، وكفى بهذه منقبة وفضيلة. ومنها أنها خير نساء الأمة. (قيل في زمانها) والله اعلم.

سودة بنت زمعة رضي الله عنها (قرشية)

تزوجها بعدما توفى الله خديجة، وكبرت عنده، وأراد طلاقها فوهبت يومها لعائشة، فأمسكها. وهذا من خواصها: أنها آثرت بيومها حب النبي ﷺ تقربًا إلى رسول الله ﷺ، وحبا له، وإيثارا لمقامها معه، فكان يقسم لعائشة يومها ويوم سودة، ويقسم لنسائه، ولا يقسم لها وهي راضية بذلك مؤثرة، لترضي رسول الله ﷺ.

عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما (قرشية)

تزوجها وهي بنت ست سنين قبل الهجرة بسنتين، وقيل: بثلاث، وبنى بها بالمدينة أول مقدمه في السنة الأولى، وهي بنت تسع، ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة، وتوفيت بالمدينة، ودفنت بالبقيع، وأوصت أن يصلي عليها أبو هريرة سنة ثمان وخمسين، ومن خصائصها: أنها كانت أحب أزواج رسول الله ﷺ إليه، كما ثبت ذلك عنه في البخاري وغيره، أنه سئل أي الناس



أحب إليك؟ قال: «عائشة». قيل: فمن الرجال؟ قال: «أبوها». وروى البخاري (برقم ٣٨١٦) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول "فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام». ومن خصائصها أيضا: أنه لم يتزوج بكرا غيرها. وأنه كان ينـزل عليه الوحي وهو في لحافها دون غيرها، وأن الله سبحانه، برأها مما رماها به أهل الإفك، وأنـزل في عذرها، وبراءتها وحيا يتلى إلى يوم القيامة، ومنها أن الأكابر من الصحابة، رضي الله عنهم، كان إذا أشكل الأمر عليهم من الدين، استفتوها فيجدون علمه عندها. ومنها أن رسول الله ﷺ لما مرض مرضه الذي قبض فيه كان يمرض في حجرتها، وفيها دفن عليه الصلاة والسلام. وأن الملك أرى صورتها للنبي ﷺ قبل أن يتزوجها في خرقة حرير، فقال النبي ﷺ: «إن يكن هذا من عند الله يمضه». وكان الناس يتحرون يومها ليرسلوا هداياهم الى رسول الله ﷺ تقربًا اليه في بيت احب نسائه اليه.

قصة الافك

كان اكثر ما لقيت رضي الله عنها من الاذى، ما كان من قصة الافك، وذلك انها كانت مع رسول الله في غزوة بني المصطلق سنة ست من الهجرة، ولما رجع عليه السلام من الغزو وكان قريبا من المدينة، بات بعض الليل في الطريق ثم ارتحل هو والناس، وكانت قد خرجت لبعض حاجتها وفي عنقها عقدٌ، فلما رجعت التمست العقد فلم تجده، وقد بدا الناس بالرحيل، فرجعت إلى المكان الذي كانت فيه فبحثت عن العقد حتى وجدته، وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام اذا أمر بالرحيل قدم البعير الى زوجته التي معه، فتجلس في هودجها حتى يأتي من يحملونه على ظهر البعير ثم يسيرون بها. وفي رجوعها للبحث عن العقد جاء الرجال فحملوا الهودج على البعير، وهم يظنونها فيه فقد كانت النساء اذ ذاك خفيفات الوزن، لم يبتلين بالشحم والسمنة. ولما رجعت إلى المعسكر كان الجميع قد ارتحلوا ولم تجد فيه احدا، فتلففت بجلبابها واضطجعت مكانها وعرفت أنهم يرجعون إليها إذا افتقدوها. وبينما هي مضطجعة إذ مر بها صفوان بن المعطل السلمي، وكان تخلف عن العسكر لحاجته فلم يبت مع الناس، فلما رآها أقبل حتى وقف عليها، وكان رآها قبل أن يفرض الحجاب فعرفها، فلما رآها استرجع وقال: ما خلفك قالت: فما كلمته ثم قرب البعير وقال: اركبي. فركبت وأخذ برأس البعير مسرعًا. فلما نزل

الناس واطمأنوا طلع الرجل وهو يقود بعيرها، فلما رأى الناس ذلك قال أهل الإفك ما قالوا، فارتج العسكر ولم تعلم بشيء من ذلك. ولما وصلوا المدينة مرضت مرضا شديدا، ووصل حديث الناس الى رسول الله ﷺ، وإلى أبويها ولم يذكرا لها منه شيئًا، ولكنها أنكرت من رسول الله بعض لطفه، فكان إذا دخل عليها وأمها تمرضها قال: كيف تيكم لا يزيد على ذلك فوجدت في نفسها مما رأت من جفائه، فاستأذنته في الانتقال إلى أمها لتمرضها فأذن لها، وانتقلت ولا تعلم بشيء مما كان حتى نقهت من وجعها بعد بضع وعشرين ليلة.

قالت رضي الله عنها وهي تحدث بقصتها: وكنا قومًا عربًا لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف (بيوت الخلاء) نعافها ونكرهها، إنما كان النساء يخرجن كل ليلة فخرجت ليلة لبعض حاجتي، ومعي أم مسطح ابنة أبي رهم بن المطلب، وكانت أمها خالة أبي بكر الصديق قالت: فوالله إنها لتمشي إذ عثرت في مرطها (ثوبها) فقالت: تعس مسطحٌ. قالت: قلت: لعمر الله بئس ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا! قالت: أوما بلغك الخبر قلت: وما الخبر فأخبرتني بالذي كان. قالت: فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي، فرجعت فما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي وقلت لأمي: تحدث الناس بما تحدثوا ولا تذكرين لي من ذلك شيئًا قالت: أي بنية خفضي عليك (اي هوني عليك) فوالله قلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها، لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها. (اي إلا تقولوا عليها الاشاعات).

قالت: وقد قام رسول الله ﷺ في الناس، فخطبهم ولا أعلم بذلك ثم قال: أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهن غير الحق، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت عليه إلا خيرًا، وما دخل بيتًا من بيوتي إلا معي. قالت: وكان كبر عند عبد الله بن أبي بن سلول في رجال من الخزرج، مع الذي قال مسطح وحمنة بنت جحش، وذلك أن زينب أختها كانت عند رسول الله ﷺ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضارني لأختها. فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة قال أسيد بن حضير: يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفكهم وإن يكونوا من إخواننا الخزرج فمرنا بأمرك. فقال سعد بن عبادة: والله ما قلت هذه المقالة إلا وقد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا. فقال أسيد: كذبت ولكنك منافق تجادل عن المنافقين. فتثاور الناس حتى كاد يكون بينهم شر، ونزل رسول الله ﷺ ودعا علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد فاستشارهما، فأما أسامة فأثنى خيرًا وأما علي فقال: إن

النساء لكثير وسل الخادم تصدقك، فدعا رسول الله ﷺ بريرة يسألها، فقام إليها علي فضربها ضربًا شديدًا وهو يقول: اصدقي رسول الله. فقالت: والله ما أعلم إلا خيرًا وما عبت عليها إلا أنها كانت تنام عن عجينها فيأتي الداجن فيأكله. (وتقصد بالداجن: الشاة).

وتقول رضي الله عنها: ثم دخل علي رسول الله ﷺ، وعندي أبواي وامرأة من الأنصار وأنا أبكي وهي تبكي، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس، فإن كنت قارفت سوءًا فتوبي إلى الله. قالت: فوالله لقد تقلص دمعي حتى ما أحس منه شيئًا، وانتظرت أبوي أن يجيباه فلم يفعلا فقلت: ألا تجيبانه فقالا: والله ما ندري بماذا نجيبه! وما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على أبي بكر تلك الأيام. فلما استعجما بكيت ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدًا، والله لئن أقررت ـ والله يعلم إني منه بريئة ـ لتصدقني ولئن أنكرت لا تصدقني. وقالت: ثم التمست اسم يعقوب فلم أجده فقلت: ولكني أقول كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] وقالت: ولشأني أصغر في نفسي أن ينزل الله في قرآنًا يتلى، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله رؤيا يكذب الله بها عني.

قالت: فوالله ما برح رسول الله ﷺ من مجلسه حتى جاءه الوحي، فسجي بثوبه، فأما أنا فوالله ما فزعت ولا باليت، وقد عرفت أني بريئة وأن الله مبرئي، وأما أبواي فما سري عن رسول الله ﷺ، حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقًا من أن يحقق الله ما قال الناس. قالت: ثم سري عن رسول الله ﷺ وإنه ليتحدر عنه مثل الجمان، فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول: أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك. فقلت: بحمد الله ! ثم خرج إلى الناس فخطبهم وذكر لهم ما أنزل الله في من القرآن، ثم أمر بمسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة وتكلم بها فضربوا حدهم،

وفي قصة الافك هذه قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور: ١١] وكان على راس تلك العصبة، مسطح بن اثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش، وهم الذين ضربهم رسول الله الحد لما نزلت البراءة، وأما عبد الله بن ابي بن سلول، راس النفاق وهو الذي رمى ام المؤمنين بالفاحشة

وأشاع ذلك بين الناس فقد نزل فيه: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١] ثم عاتب الله سبحانه المؤمنين الذين وقع في انفسهم شيء مما ارجف به المنافقون فقال: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢] (وهؤلاء الذين ظنوا بأنفسهم خيرا، فلم يصدقوا ما اشيع وكذبوه وظنوا بأم المؤمنين خيرا هما، ابو ايوب خالد بن زيد وامرأته ام ايوب، رضي الله عنهما، قالت له ام ايوب: اما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، اكنت فاعلة ذلك يا ام ايوب؟ قالت: لا والله لا افعله، قال: فعائشة خير منك، (اي ان كنت انت لا تفعلينه فكيف تفعله عائشة وهي خير منك). (تفسير الطبري)). قلت: والبراءة نزلت في سورة النور من الاية رقم ١١ الى الاية رقم ٢٠، والقصة موجودة في (الكامل ج١ص٢١) و(المنتظم ج٣ص٣٢) وفي تفسير الطبري والبغوي وابن كثير، من حديث عائشة رضي الله عنها، قمت بصياغتها مما جمعته من تلك الكتب.

حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما (قرشية)

هي ام المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. كانت من المهاجرات تحت خنيس بن حذافة السهمي وهو بدري توفي بالمدينة اثر جراح اصابته في احد. فلما تأيمت ذكرها عمر لأبي بكر فلم يرد عليه فغضب عمر وعرضها على عثمان حين ماتت رقية بنت رسول الله ﷺ فقال عثمان: ما أريد أن أتزوج اليوم. فانطلق عمر إلى رسول الله ﷺ فشكا إليه عثمان، فقال رسول الله ﷺ: "يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة». ثم خطبها إلى عمر فتزوجها بعد عائشة، وقيل طلقها تطليقة ثم ارتجعها أمره جبريل بذلك وقال: إنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة.

وأوصى عمر إلى حفصة بعد موته، وأوصت حفصة إلى أخيها عبد الله بن عمر بما أوصى به إليها عمر، وبصدقة تصدق بها بمال وقفته بالغابة. وكان عندها المصحف الذي كتب على عهد ابي بكر، اوصى به عمر اليها، وكان احد المصادر المعتمد عليها في نسخ مصحف عثمان، روت عن النبي ﷺ، وروى عنها أخوها عبد الله وغيره من الصحابة والتابعين، وتوفيت

حفصة حين بايع الحسن بن علي رضي الله عنهما معاوية، وذلك في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين. (أسد الغابة: ص١٤٩) (الإصابة ج٨ص١٠٠). وقيل: توفيت في شعبان سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وهي يومئذ ابنة ستين سنة، وصلى عليها مروان بن الحكم وهو يومئذ عامل المدينة، وحمل بين عمودي سريرها من عند دار بني حزم إلى دار المغيرة بن شعبة، وحمله أبو هريرة من دار المغيرة إلى قبرها، وتبعها إلى البقيع وجلس حتى فرغ من دفنها (الطبقات الكبرى ج٨ ص٩٨) - وقيل بل قبل ذلك سنة سبع او ثمان وعشرين.

قيل دخل رسول الله ﷺ على مارية القبطية جاريته، وهي في حجرة حفصة فوقع عليها، فجاءت حفصة فأحست بذلك فغضبت، فلما خرج رسول الله قالت: يا نبي الله، لقد جئت إليَّ شيئا ما جئت إلى أحد من أزواجك، في يومي، وفي دوري، وعلى فراشي. قال: «ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها؟‘‘. قالت: بلى. فحَرَّمها وقال: «لا تذكري ذلك لأحد». فذكرته لعائشة، فأظهره الله عليه، ونزل قول الله معاتبا نبيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَ﴾ [التحريم: ١] فبلغنا أن رسول الله ﷺ كفَّر [عن] يمينه، وأصاب جاريته. وفي حفصة وعائشة اللتان تظاهرتا علية نزل: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤] وقيل طلقها رسول الله ﷺ. وقيل بل هم بطلاقها فجاء جبريل وأمره بمراجعتها، واعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهرًا وقعد في مشربة أم إبراهيم مارية، حتى نزلت آية التخيير. فلما خيرهن رسول الله اخترن الله ورسوله، رضي الله عنهن جميعا. (التفاسير).

أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما (قرشية)

واسمها رملة بنت صخر بن حرب بن أمية، هاجرت مع زوجها عبد الله بن جحش إلى أرض الحبشة، فتنصر بالحبشة، وأتم الله لها الإسلام، فتزوجها رسول الله ﷺ وهي بأرض الحبشة، وأصدقها عند النجاشي أربعمائة دينار،

وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري بها إلى أرض الحبشة، وولى نكاحها عثمان بن عفان، وقيل: خالد بن سعيد بن العاص، وهي التي أكرمت فراش رسول الله ﷺ أن يجلس عليه أبوها لما قدم أبو سفيان المدينة، (وكان يومئذ مشركا) وقالت له: إنك مشرك ومنعته الجلوس عليه.

أم سلمة رضي الله عنها (قرشية)

هي ام المؤمنين واسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية، كانت عند أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي فولدت له: سلمة وعمر ودرة وزينب. هاجرت الى الحبشة والى المدينة، فلما توفي تزوجها رسول الله ﷺ. وهي آخر أزواج النبي ﷺ موتا ـ وقيل: بل ميمونة ـ توفيت في أيام يزيد بن معاوية سنة ثنتين وستين، ودفنت بالبقيع. روى عنها عدد من الصحابة والتابعين. (معرفة الصحابة ج٣ص٧٥) (أسد الغابة: ص١٥٩) (الإصابة ج٨ ص١٠٨).

وروي بعدة طرق عن مجاهد، ورواه الامام احمد (برقم ٢٥٥١١) عنه قال: قالت أم سلمة يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو ولنا نصف الميراث، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢] وقيل قالت النساء: لو كنا رجالا لغزونا كما يغزون، ولكان لنا من الاجر مثلهم، ولما نزلت: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] قال الرجال: لو ان لنا في الاخرة ضعف اجر النساء. فنهى سبحانه ان يتمنى بعضهم ما اعطى بعضا، فان لكل اجره ونصيبه، ولكن ليسألوه الزيادة. ومن خصائصها: أن جبريل دخل على النبي ﷺ، وهي عنده فرأته في صورة دحية الكلبي. ففي صحيح مسلم عن أبي عثمان قال: أنبئت أن جبريل أتى النبي ﷺ، وعنده أم سلمة، فقال: فجعل يتحدث، ثم قام فقال نبي الله ﷺ لأم سلمة: «من هذا؟" أو كما قال. قالت: هذا دحية الكلبي. قالت: وأيم الله، ما حسبته إلا إياه، حتى سمعت خطبة النبي ﷺ، يخبر أنه جبريل، أو كما قال، قال سليمان التيمي: فقلت لأبي عثمان: ممن سمعت هذا الحديث؟ قال: من أسامة بن زيد. (التفاسير).

زينب بنت جحش (الاسدية) رضي الله عنها

هي ام المؤمنين زينب ابنة عمة رسول الله أميمة بنت عبد المطلب، وقد خطبها رسول الله عليه الصلاة والسلام لمولاه ومتبناه زيد بن حارثة اكراما له. روي عن ابن عباس قوله: أن رسول الله ﷺ انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية - وهي ابنة عمته اميمة - فخطبها، فقالت: لست بناكحته، وقالت: أنا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة؛ فقال رسول الله ﷺ: فانكحيه، فقالت: يا رسول الله أؤمر في نفسي، فبينما هما يتحدثان أنـزل الله قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فقالت: قد رضيته لي يا رسول الله مَنكحًا؟ قال: «نعم» قالت: إذن لا أعصي رسول الله، قد أنكحته نفسي. وقيل: نـزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وذلك أنها وهبت نفسها لرسول الله ﷺ فزوجها زيد بن حارثة. وذلك بعد الحديبية، وكان زيد قد طلق زينب. والله اعلم.

ثم كره الله بها زيدا - لأمر اراده الله - فأراد ان يطلقها فمنعه رسول الله وقال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٧] ولكن زيدا لما كرهها طلقها، فلما اتمت عدتها وحلت اراد رسول الله ان يتزوجها، ولكنه خشي كلام الناس وذلك انه كان تبنى زيدا، وكان زيد يعرف ويسمى زيد بن محمد، قال تعالى: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] ثم زوجها الله الى نبيه قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، فقام فدخل عليها بلا استئذان، فكانت زينب تفخر على نسائه وتقول: زوجكن أهلوكن وزوجني الله من السماء. وكان المسلمون يرون ان للدعي (اي المتبنى) نفس حقوق الولد من النسب، فبين لهم الله بطلان ذلك ورفع عنهم الحرج قال تعالى: ﴿لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، توفيت

بالمدينة سنة عشرين، ودفنت بالبقيع. (التفاسير).

زينب بنت خزيمة (الهلالية) رضي الله عنها

وكانت قبله تحت عبد الله بن جحش، تزوجها سنة ثلاث من الهجرة، وكانت تسمى أم المساكين، ولم تلبث عند رسول الله ﷺ إلا يسيرا، شهرين أو ثلاثة، وتوفيت، رضي الله عنها.

جويرية بنت الحارث (المصطلقية) رضي الله عنها

سبيت في غزوة بني المصطلق، فوقعت في سهم ثابت بن قيس، فكاتبها، فقضى رسول الله ﷺ كتابتها، وتزوجها سنة ست من الهجرة، توفيت سنة ست وخمسين، وهي التي أعتق المسلمون بسببها مائة أهل بيت من الرقيق، وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ، وكان ذلك من بركتها على قومها.

صفية بنت حيي (الخيبرية) رضي الله عنها

وهي ابنة كبير بني النضير وزعيمهم، عدو الله حيي بن اخطب ـ من ولد هارون بن عمران أخي موسى عليهما السلام. كانت تحت كنانة بن أبي الحقيق، سبيت يوم خيبر سنة سبع. فأعتقها رسول الله ﷺ وتزوجها، وجعل عتقها صداقها. قال أنس: أمهرها نفسها. وصار ذلك سنة للأمة إلى يوم القيامة، ويجوز للرجل أن يجعل عتق جاريته صداقها، وتصير زوجته على منصوص الإمام أحمد، رحمه الله. روى الترمذي بسنده عن أنس قال: بلغ صفية أن حفصة قالت: صفية بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي فقال: «ما يبكيك؟" قالت: قالت لي حفصة: إني ابنة يهودي. فقال النبي ﷺ: «إنك لابنة نبي وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، فبما تفخر عليك؟» ثم قال: «اتق الله يا حفصة». قال الترمذى: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه. توفيت سنة ست وثلاثين، وقيل: سنة خمسين.

ميمونة بنت الحارث (الهلالية) رضي الله عنها

هي ام المؤمنين مات عنها زوجها، قيل ابو رهم بن عبد العزى وقيل غيره، فجعلت امرها الى اختها ام الفضل زوجة العباس، فجعلت امرها اليه، فعرضها على رسول الله ﷺ فخطبها، ولما جاءها البشير بخطبة رسول الله اياها وكانت تركب بعيرا قالت: الجمل وما عليه لرسول الله ﷺ. وفيها نزل قول الله سبحانه: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ [الأحزاب: ٥٠] وذلك انها وهبت نفسها للنبي دون صداق، وليس لامرأة مؤمنة ان تهب نفسها لمؤمن إلا بإذن ولي او بمهر، فالحكم الشرعي هنا، وهو ان تهب المرأة نفسها دون اذن الولي او المهر، خاص برسول الله وحده لقوله تعالى: ﴿خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، وكان زواج رسول الله بها سنة سبع بعد عمرة القضاء، بسرف على عشرة أميال من مكة وكانت آخر امرأة تزوجها، وقد اصدقها العباس عنه اربعمائة درهم وقيل خمسمائة، وكان اسمها برة فسماها رسول الله ميمونة، وهي آخر من تزوج من أمهات المؤمنين، وهي خالة خالد بن الوليد، وخالة ابن عباس. رضي الله عنهم جميعا. قيل: كانت وفاتها بسرف على طريق مكة سنة إحدى وخمسين، وقيل سنة ثلاث وستين، ودفنت فيها رضي الله عنها وأرضاها. (أسد الغابة باب النساء ص١٥٧) (البداية والنهاية ج٤ص٥٨) (الطبقات الكبرى ج٨ ص١٠٠).

قصة التخيير

قيل أن نساء النبي ﷺ سألنه شيئا من عرض الدنيا، وطلبن منه زيادة في النفقة والكسوة، مما لا يقدر عليه في كل وقت، والححن عليه في ذلك مع اتفاق وتعنت منهن، وآذينه بغيرة بعضهن على بعض، فشَقَّ ذلك عليه فهجرهن ﷺ واقسم أن لا يقربهن شهرا. وأراد الله أن يسهل الأمر عليه، فنزلت آيتا التخيير، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ۝٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ

وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩] فأمره أن يخيرهن بين أن يفارقهن، فيذهبن إلى زينة الدنيا عند غيره، وبين ان يخترن رضا الله ورضا رسوله والدار الاخرة، ويصبرن على ما عنده من ضيق الحال. وقوله (فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا) اي ان اردتن الدنيا وزينتها، أعطيكن حقوقكن وأطلق سراحكن وأفارقكن من دون مغاضبة ولا مشاتمة. وقوله (وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ) أي: ان اخترتن رضا الله، ورضا رسوله، والجنة، ولم تبالين بسعة الدنيا وضيقها، ويسرها وعسرها، وقنعتن من رسول الله بما تيسر، ولم تطلبن منه ما يشق عليه. وقوله: (فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا) اي رتب سبحانه الأجر على الاحسان، فإحسانهن هو السبب الموجب للأجر، وليس كونهن زوجات الرسول فإن مجرد ذلك، لا يكفي، بل لا يفيد شيئًا، مع عدم الإحسان.

ولما نزلت هذه الايات وأمر الله نبيه ﷺ بتخيير زوجاته، بدأ بعائشة فخيرها، وقرأ عليها القرآن، فقالت: هل بدأت بأحد من نسائك قبلي؟ قال: «لا». قالت: فإني أختار الله ورسوله، والدار الآخرة، ولا تخبرهنّ بذلك.: ثم تتبعهنّ عليه الصلاة والسلام. فجعل يخيرهنّ ويقرأ عليهنّ القرآن، ويخبرهن بما صنعت عائشة، فتتابعن على ذلك، اي اخترن ما اختارت عائشة وقلن مثلما قالت. روى البخاري (برقم ٤٨٣٢) وبسنده عن أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة رضى الله عنها، زوج النبي ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ جاءها حين أمره الله أن يخير أزواجه، قالت: فبدأ بي رسول الله ﷺ فقال: «إني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن تستعجلي حتى تستأمري أبويك»، وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه قالت: ثم قال: «إن الله قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ ﴾ [الأحزاب: ٢٨]». إلى تمام الآيتين فقلت له ففي أى هذا أستأمر أبوي، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. ورواه (برقم ٤٨٣٣) وبسنده عن طريق الليث عنها، وزاد فيه، قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت. فاخترن الله ورسوله، والدار الآخرة، كلهن، ولم يتخلف منهن واحدة، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة. قال عكرمة: وكان تحته يومئذ تسع نسوة، خمس من قريش: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة، وسودة، وأم سلمة، وكانت تحته صفية بنت حُيَيّ النَّضَرِيَّة، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، رضي الله عنهن وأرضاهن.

قال ابن كثير: ذكر كثير من العلماء ـ كابن عباس، ومجاهد، وابن جرير، وغيرهم ـ أن هذه الآية نـزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ ورضًا عنهن، على حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة، لما خيرهن رسول الله، كما تقدم. فلما اخترن رسول الله، كان جزاؤهن أن الله سبحانه قَصَره عليهن، وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن، أو يستبدل بهن أزواجا غيرهن ولو أعجبه حسنهن، وقوله: (وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ)، نهاه عن الزيادة عليهن ـ اي ان يتزوج غيرهن ـ، أو طلاق واحدة منهن واستبدال غيرها ـ اي ان يطلق احداهن ليتزوج غيرها بها، لأنه ليس له ان يزيد ازواجه عن تسعة ـ إلا ما ملكت يمينه من الإماء والسراري فلا حجر عليه فيهن. ثم إنه تعالى بعد ذلك رفع عنه الحجر في ذلك ونسخ حكم هذه الآية، وأباح له التزوج بمن شاء من النساء ولو زاد عن التسعة كما بينته الاية في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ **[الأحزاب: ٥٠]، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تَزَوّج لتكون المنة لرسول الله عليهن. قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن عمرو، عن عطاء، عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء.** (مسند احمد برقم ٢٣٠٠٧). و(رواه الترمذي والنسائي في سننيهما). (التفاسير، باختصار وتصرف).

أَسْمَاء بِنْت أبي بكر الصديق

ذات النطاقين رضي الله عنهما

القُرَشِيَّة التيمية، وهي أخت عبد الله بن أبي بكر لأبيه وأمه، وزوج الزبير بن العوام، سماها رسول الله ﷺ ذات النطاقين. وذلك لأنها صنعت للنبي ﷺ ولأبيها سُفرةً لما هاجرا، فلم تجد ما تشدها به، فشقت نطاقها وشدت السفرة به، وهي اخت عائشة لأبيها. أسلمت قديما بمكة بعد سبعة عشر إنساناً، وهاجرت إلى المدينة وهي حامل بعَبْد الله ابن الزبير، فوضعته بقُباء. وعاشت إلى أن ولي ابنها عبد الله الخلافة ثم قتل، وماتت بعده بقليل ولها مائة سنة وقد عميت ولم ينكر لها عقل، قيل أن المنذر بن الزبير قدم من العراق فأرسل إليها بكسوة من ثياب رقاق، بعدما كف بصرها فلمستها بيدها ثم قالت: اف ردوا عليه كسوته، فشق ذلك عليه وقال: يا أمه إنه لا يشف قالت: إنها إن لم تشف فإنها تصف (وقولها تصف يعني: تلتصق بالجسد فتبدي معالمه)، روى عنها ابناها عبد الله وعروة وأحفادها، وعدد من الصحابة والتابعين.

قدمت قتيلة بنت عبد العزى أم أسماء عليها وهي مشركة في عهد قريش، ومدتهم التي عاهدوا النبي ﷺ، وأهدت إلى أسماء هدايا زبيب وسمن وقرظ، فأبت أن تقبل هديتها أو تدخلها إلى بيتها وقالت: لا اقبل لك هديتك، ولا تدخلي عليّ حتى يأذن رسول الله ﷺ، ثم أتت رسول الله فقالت: أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها؟ قال: "نعم، صلي أمك» وانزل الله سبحانه فيها: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨] (التفاسير) (أسد الغابةص١٤٦) (الإصابة ج٨ص٩٨) (معرفة الصحابة ج٣ ص٧٦) (الطبقات الكبرى ج٨ص١٠٤).

جميلة بنت أبي بن سلول

امرأة ثابت بن قيس بن شماس، أخت عبد الله بن ابي، وقيل: ابنة عبد الله، وهو وهم، (معرفة الصحابة ج٣ ص٧٧) كانت تحت حنظلة بن أبي عامر، فقتل

عنها يوم أحد، فتزوجها ثابت بن قيس بن شماس،، فتركته ونَشَزَت عليه، روي عن ابن عباس، أن جميلة بنت ابي بن سلول، أتت النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، ما أعتب على ثابت في دين ولا خلق، ولكني أكره الكفر في الإسلام، ولا أطيقه بغضا، قال: "أتردين عليه حديقته؟» قالت: نعم، فأمره أن يأخذ منها حديقته ولا يزداد. ثم خلف عليها مالك بن الدخشم، ثم تزوجها بعد مالك حبيب بن إساف. قال أبو عُمر: روى البصريون هكذا، يعني جميلة بِنْت أُبيّ، وروى أهل المدينة فقالوا: حبيبة بِنْت سهل الأنصاري. باختصار من (أسد الغابة: ص١٤٨) (الإصابة ج٨ص٩٩) (معرفة الصحابة ج٣ ص٧٧) وقيل فيها نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٢٩] (التفاسير).

وقيل: هي حبيبة بِنْت سهل الأنصارية، أراد ﷺ أن يتزوجها ثم تركها فتزوجها ثابت بن قَيْس بن شماس. روت عنها عُمرة. وهي التي اختلعت من زوجها ثابت بن قَيْس بن شماس، (أسد الغابة: ص١٤٨)، وكان ذلك أول خلع في الإسلام، وجائز أن تكون هي وجميلة بنت أبي بن سلول اختلعتا من ثابت جميعًا (الإصابة ج٨ص١٠٠) قيل فردت عليه حديقته، وفرق رسول الله ﷺ بينهما، وكان ذلك أول خلع كان في ألإسلام (معرفة الصحابة ج٣ ص٧٧)، والقصة ايضا مختصرة من التفاسير، والله اعلم.

قيل في حال نشوز المرأة وإظهارها بغض زوجها، حتى يخاف عليها ترك طاعة الله فيما لزمها لزوجها من الحق، ويخاف على زوجها ـ بتقصيرها في أداء حقوقه التي ألزمها الله له ـ تركه أداء الواجب لها عليه. فذلك حين الخوف عليهما أن لا يقيما حدود الله فيطيعاه فيما ألزم كل واحد منهما لصاحبه، فإذا وصل بهما الحال الى ذلك جاز التفريق بينهما اذا طلبت المرأة ذلك، على ان ترد له ما اخذت منه، كحال ثابت بن قيس وزوجته. ولها ان تزيده برضاها مع كراهة بعض السلف لذلك. وليس للمرأة ان تطلب الطلاق دونما سبب، إلا ان تخاف ان لا تقيم حدود الله، لما روي عن ثوبان (سنن الترمذي رقم ١٢٢٥) أن رسول الله ﷺ قال: «أيما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير بأس، فحرام عليها رائحة الجنة». وقال الترمذي: حديث حسن. (التفاسير).

خولة بنت ثعلبة الانصارية

قيل انها بنت ثعلبة بن مالك بن الدخشم. وقيل بنت مالك بن ثعلبة بن أصرم. وقيل بنت حكيم، ويقال بنت دليج، ويقال خويلة بالتصغير، امرأة أوس بن الصامت أخي عبادة قالت: في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله عز وجل صدر سورة المجادلة قالت: كنت عنده وكان شيخا كبيرًا قد ساء خلقه وضجر قالت: فدخل علي يومًا فراجعته بشيء فغضب وقال أنت علي كظهر أمي، ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل علي فإذا هو يريدني فقلت، كلا والذي نفسي بيده لا تخلص إلي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا قالت: ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه وجعلت أشكوا إليه قالت: فوالله ما برحت حتى نزلت ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١] ونزل حكم الظهار في الايات ٢،٣،٤ الى قوله تعالى: ﴿وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٤] وهو عتق رقبة او صيام شهرين متتابعين او اطعام ستين مسكينا (الإصابة ج٧ص١٠٠) (معرفة الصحابة ج٣ ص٧٧) (أسد الغابة: ص١٥٠) (التفاسير) باختصار.

عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك

قيل: اسمها تميمة وقيل: سهيمة وأميمة والرميصاء والغميصاء وعائشة والله أعلم. (أسد الغابة: ص٣٠) كانت عند ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي فطلقها ثلاثا. روي عن عروة عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنه سمعها تقول: جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني كنت عند رفاعة القرظي فطلقني فبت طلاقي، وتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وإنما معه مثل هدبة الثوب، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة» قالت نعم قال: «لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته».

قيل وفيها نزل قول الله سبحانه: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، وقوله تعالى: (فَإِنْ طَلَّقَهَا) يعني الطلقة الثالثة (فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ) أي من بعد

الطلقة الثالثة (حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) أي: غير المطلق فيجامعها، والنكاح يتناول الوطء والعقد جميعا.

وروي أنها لبثت ما شاء الله ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن زوجي قد مسني فقال لها النبي ﷺ كذبت بقولك الأول فلن نصدقك في الآخر. فلبثت حتى قبض النبي ﷺ فأتت أبا بكر رضي الله عنه فقالت: يا خليفة رسول الله ﷺ أرجع إلى زوجي الأول فإن زوجي الآخر قد مسني وطلقني فقال لها أبو بكر: قد شهدت رسول الله ﷺ حين أتيته وقال لك ما قال فلا ترجعي إليه، فلما قبض أبو بكر رضي الله عنه، أتت عمر رضي الله عنه وقالت له: مثل ذلك فقال لها عمر رضي الله عنه: «لئن رجعت إليه لأرجمنك». (التفاسير).

أم كجة الانصارية

توفي زوجها وترك لها ثلاث بنات له منها. فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووَصِيّاه سويدٌ وعَرْفَجة، فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئا، وكانوا في الجاهلية لا يورِّثون النساء ولا الصغار، وإن كان الصغير ذكرًا، وإنما كانوا يورِّثون الرجال، ويقولون: لا نعطي إلا من قاتل وحاز الغنيمة، فجاءت أم كُجّة فقالت: يا رسول الله إن أوس بن ثابت مات وترك عليّ بنات وأنا امرأته، وليس عندي ما أنفق عليهن، وقد ترك أبوهن مالا حسنًا، وهو عند سويد وعرفجة، ولم يعطياني ولا بناتي شيئا وهنَّ في حِجْري، لا يطعمن ولا يسقين، فدعاهما رسول الله ﷺ فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرسًا ولا يحمل كلا ولا يَنْكَأ عدوًا، فأنزل الله عز وجل: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧] فبينت الاية ان الميراث للذكور والإناث والأقارب، ولم تبين كم هو، فأرسل رسول الله ﷺ إلى سُويد وعرفجة «لا تفرقا من مال أوس بن ثابت شيئًا، فإن الله تعالى جعل لبناته نصيبا مما ترك، ولم يبين كم هو حتى أنظر ما ينـزل فيهن»، فأنـزل الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ [النساء: ١١] ... الآية، فأرسل عليه الصلاة والسلام اليهما، «أن ادفعا إلى أم كُجّة الثُّمن مما

ترك وإلى بناته الثلثين، ولكما باقي المال». هكذا القصة في (التفاسير) وفي (الإصابة ج٨ ص١٠٩) و(أسد الغابة: ص١٦٢) إلا انه وقع خلاف في اسم زوجها فقيل أوس بن ثابت، وقيل سعد بن الربيع، وقيل غير ذلك، وقال الطبري ام كحلة، والله اعلم.

ام كلثوم ابنة عقبة بن ابي معيط

كان مما اتفق عليه رسول الله في صلح الحديبية، ان من جاءه من قريش مهاجرا رده اليهم وان كان مسلما، وان من جاءهم من عند رسول الله مرتدا لم يردوه، وقد رفض المسلمون ذلك الشرط إلا ان سهيل بن عمرو اصر عليه، فاقره رسول الله. ولما كان بعد الحديبية صار رجال من المؤمنين يفرون الى رسول الله مهاجرين، فكان ﵇ يردهم ومنهم ابو بصير، ثم فرت بعض المؤمنات الى الله ورسوله مهاجرات، منهن ام كلثوم وكانت أسلمت بمكة وبايعت قبل الهجرة، وهي أول من هاجر من النساء بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ولم نعلم قرشية خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلى الله ورسوله إلا أم كلثوم بنت عقبة، خرجت من مكة وحدها وصاحبت رجلا من خزاعة، حتى قدمت المدينة في الهدنة هدنة الحديبية، فخرج في أثرها أخواها الوليد وعمارة ابنا عقبة، فقدما المدينة من الغد يوم قدمت فقالا يا محمد ف لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه، فقالت: يا رسول الله أنا امرأة وحال النساء إلى الضعفاء ما قد علمت فتردني إلى الكفار يفتنوني في ديني ولا صبر لي. وأبت ان ترجع فانزل الله فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الممتحنة: ١٠] فامتحن رسول الله ﷺ ام كلثوم ثم لم يردها ولا رد امرأة علم اسلامها. (تفسير البغوي) وقيل كانت ام كلثوم اول من قدم من النساء مهاجرة الى الله ورسوله، ثم تتابع بعدها نساء فامتحن في دينهن. وكان امتحان رسول الله لهن بان يحلفن انهن ما فررن إلا مسلمات حبا بالله ورسوله، وليس كرها لزوج او لأي سبب اخر، فإذا قلن ذلك تركن وحبسن فلم يرددن إلى أهليهن.

ولم يكن لأم كلثوم بنت عقبة بمكة زوج، فلما قدمت المدينة تزوجها زيد بن حارثة وقتل عنها يوم مؤتة، فتزوجها الزبير بن العوام، وكانت فيه شدة على النساء وكانت له كارهة، فكانت تسأله الطلاق فيأبى عليها حتى ضربها الطلق وهو لا يعلم، فألحت عليه وهو يتوضأ للصلاة فطلقها تطليقة، ثم

خرجت فوضعت فأدركه إنسان من أهله فأخبره أنها قد وضعت فقال: خدعتني خدعها الله فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال سبق فيها كتاب الله فاخطبها قال لا ترجع إلي أبدا، ثم تزوجها عبد الرحمن بن عوف ومات عنها فتزوجها عمرو بن العاص فماتت عنده (الطبقات الكبرى ج٨ ص١٠٣).

جُمَيْل بِنْت يسار المزنية

أخت معقل بن يسار، كانت امْرَأَة أبي البداح فطلقها، وعن معقل بن يسار أنها نزلت فيه وفي اخته قال: كنت زوجت أختاً لي من رجل فطلقها، حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زوجتك وأكرمتك وأفرشتك فطلقتها ثم جئت تخطبها! لا، والله لا تعود إليها أبداً قال: وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله عَزَّ وجَلّ: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٢] الآية، فقلت: الآن أفعل يا رسول الله. فزوّجتها إياه. (أسد الغابة: ص١٤٨-١٦٤) (التفاسير).

كبيشة بنت معن بن عاصم

كان أهل الجاهلية ينكحون أزواج آبائهم،: فلما تُوفي أبو قيس بن الأسلت وكان من صالحي الأنصار، خطب ابنه قيس امرأة أبيه كبيشة بنت معن فقالت: إني اتخذتك ولدًا وأنت من صالحي قومك، ولكني آتي رسول الله ﷺ أستأمره، فأتته فأخبرته، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[النساء: ٢٢] (تفسير البغوي).



قصص الكفار والمنافقين

امرأة نوح وامرأة لوط

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠] اما خيانتهما، فان امرأة نوح لم تؤمن به عليه السلام، ولما ركب السفينة ابت الركوب معه فهلكت مع من هلك من الكافرين، وأما امرأة لوط فلم تؤمن ايضا، ولما قدم الملائكة على صورة الشباب الحسان واستضافوه وهو لا يعرفهم، فقد اخبرت قومها بقدومهم، وكانت عينا لقومها عليه، وقد هلكت مع من هلك من قومها حين التفتت الى خلفها لما سمعت الصيحة، وقد أمر عليه السلام ان لا يلتفت احد ممن خرج معه اذا سمعوا الصيحة، فخالفت أمر الله فكانت مع الهالكين. (التفاسير). وحاشا لله ان تكون خيانتهما الزنى كما قال بعض الزنادقة، فان رسولا الله اكرم عنده من ان يلوث شرفهما بفاحشة.

المستهزئون

وهم جماعة من كفار قريش وأشدهم عداوة لرسول الله، فإذا لقوا رسول الله ﷺ مجتمعين او متفرقين او فرادى، كانوا يؤذونه بالقول ويسخرون منه ومن اصحابه، بل كانوا يعتدون عليه بالفعل ان وجدوا لذلك فرصة، وكانوا يتغامزون ويصفقون ويضحكون. فدعا عليهم فلقوا من العذاب الادنى في الدنيا ما يستحقون حتى ماتوا، وقد انزل الله تعالى فيهم: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحِجر: ٩٤-٩٦]، وقد اعد لهم في الاخرة العذاب الشديد، قال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الجاثية: ٣٣]، روي عن ابن عباس قال: المستهزئون: الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث الزهري

والأسود بن المطلب أبو زمعة والحارث بن عيطل والعاص بن وائل السهمي. وقال: جاء جبريل عليه السلام الى رسول الله فقال"كفيتهم». وأضاف بعض العلماء للمستهزئين غير هؤلاء، والله اعلم. (البداية والنهاية ج٣ص٣٦).

منهم: الوليد بن المغيرة

كان الوليد يكنى أبا عبد شمس ولقب العدل لأنه كان عدل قريش كلها لأن قريشًا كانت تكسو البيت جميعها وكان الوليد يكسوه وحده. جاء يوما إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً. قال: لِمَ؟ قال: ليعطوكه فقد بلغهم انك راض عن محمد. قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالآ قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له. قال: وماذا أقول ؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله أن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: قف عني حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يأثره عن غيره، ثم جمع قريشًا وقال: إن الناس يأتونكم أيام الحج فيسألونكم عن محمد فتختلف أقواكم فيه فيقول هذا: ساحرٌ ويقول هذا: كاهنٌ ويقول هذا: شاعرٌ ويقول هذا: مجنون وليس يشبه واحدًا مما يقولون ولكن أصلح ما قيل فيه ساحر لأنه يفرق بين المرء وأخيه وزوجته. فجعلوا يجلسون في الموسم ولا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، ونهوه عن متابعته، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ [المدَّثر: ١١-١٧] (البداية والنهاية ج٣ص٣٥) وذكر أن الوليد قال: أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود عمرو بن عمرو الثقفي سيد ثقيف فنحن عظيما القريتين. فنزل قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ الزخرف: ٣١، وهو من الذين قالوا لرسول الله: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك

نحن وأنت في الأمر. فأنزل الله فيهم ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١- ٢]: الى اخر السورة. مات بعد الهجرة بعد ثلاثة أشهر وهو ابن خمس وتسعين سنة ودفن بالحجون وكان مر برجل من خزاعة يريش نبلاً له فوطئ على سهم منها فخدشه ثم أومأ جبرائيل إلى ذلك الخدش بيده فانتقض ومات منه لعنه الله. (البداية والنهاية ج٣ص٣٦) (تفسير الطبري).

ومنهم: الأسود بن عبد يغوث

وهو ابن خال النبي - ﷺ - كان إذا رأى فقراء المسلمين قال لأصحابه يستهزئ بأصحاب رسول الله: هؤلاء ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى. وكان يقول للنبي ﷺ: أما كلمت اليوم من السماء يا محمد! وما أشبه ذلك. فخرج من أهله فأصابه السموم فاسود وجهه فلما عاد إليهم لم يعرفوه وأغلقوا الباب دونه فرجع متحيرًا حتى مات عطشًا. وقيل استسقى بطنه فمات، وقيل خرج في رأسه قروح فمات منها، وقد يكون حصل له ذلك كله لعنه الله، والله اعلم. (البداية والنهاية ج٣ص٣٦) (تفسير الطبري).

ومنهم: الأسود بن المطلب ابو زمعة

وكان ممن يتغامزون بالنبي - ﷺ - وأصحابه ويقولون: قد جاءكم ملوك الأرض ومن يغلب على كنوز كسرى وقيصر، ثم يصفر ويصفق، وهو من الذين قالوا لرسول الله: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر. فأنزل الله فيهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١- ٢] إلى اخر السورة. وكان بعض اولاده على شركه وخبثه، منهم ابنه زمعة وهو من الذين قالوا: لولا أنزل عليك ملك يكلم الناس عنك. فانزل الله فيهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الأنعام: ٨]، فدعا رسول الله ﷺ على الاسود أن يعمى ويثكل ولده،

قيل أنه نزل تحت سمرة فجعل يقول: يا بني ألا تدفعون عني قد قتلت فجعلوا يقولون: ما نرى شيئا. وجعل يقول: يا بني ألا تمنعون عني قد هلكت ها هو ذا الطعن بالشوك في عيني. فجعلوا يقولون: ما نرى شيئا فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه. قيل: كان جبريل عليه السلام يضرب وجهه وعينيه بورقها وبشكوها حتى عمي، وقتل من اولاده ببدر زمعة وعقيل والحارث لعنهم الله جميعا. وتحققت بذلك دعوة رسول الله في عماه وثكل ولده، (البداية والنهاية ج٣ص٣٦) (تفسير الطبري).

ومنهم: العاص بن وائل السهمي

والد عمرو بن العاص وهو القائل لما مات القاسم ابن النبي ﷺ: إن محمدًا أبتر لا يعيش له ولد ذكر فأنزل الله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] قيل ركب حمارًا له فلما كان بشعبٍ من شعاب مكة ربض به حماره فلدغ في رجله فانتفخت حتى صارت كعنق البعير فمات منها بعد هجرة النبي ﷺ. (الكامل ج١ص١٧) اما قصته مع خباب: فقد كان خباب بن الارت رضي الله عنه قينا (القين الصانع وكان خباب حدادا) وكان له على العاص دين في ثمن سيف صنعه له، فأتاه يطلب دينه فقال له العاص: والله لا اقضيك حتى تكفر بمحمد فقال خباب: لا والله لا اكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث فقال العاص: وهل سأبعث بعد الموت قال خباب نعم. فقال العاص: فاني اذا مت ثم بعثت جئتني ولي مال وولد فأعطيك الذي علي، فانزل الله فيه: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٧٧-٨٠] (تفسير الطبري) وهو من الذين قالوا لرسول الله: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر. فأنزل الله فيهم: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١- ٢] الى اخر السورة. وهو من الذين قالوا: لولا أنزل عليك ملك يكلم الناس عنك.

فانزل الله فيهم: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الأنعام: ٨] (البداية والنهاية ج٣ص٣٦) (تفسير الطبري).

ومنهم: الحارث بن قيس

كان أحد الذين يؤذون رسول الله ـ ﷺ ـ وهو ابن العيطلة وهي أمه وكان يأخذ حجرًا يعبده فإذا رأى أحسن منه ترك الأول وعبد الثاني. فانزل الله فيه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] وكان يقول: قد غر محمد أصحابه ووعدهم أن يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا إلا الدهر فرد الله سبحانه عليه وعلى من قال قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الجاثية: ٢٦] وقد اهلكه الله بان أكل حوتًا مملوحًا فلم يزل يشرب الماء حتى مات وقيل: أخذته الذبحة وقيل: امتلأ رأسه قيحًا فمات لعنه الله. (الكامل ج١ص١٧) (تفسير الطبري).

ومنهم: الحارث بن الطلاطلة

وهو احد سفهاء قريش، قيل أشار جبريل إلى رأسه فامتحض قيحا فقتله. (تفسير ابن كثير) وقيل هو مالك بن الطلاطلة (الكامل ج١ص١٧).

المتآمرون ليلة الهجرة

لما اشتد اذى قريش للمسلمين امرهم رسول الله عليه الصلاة والسلام بالهجرة الى المدينة، فهاجروا ارسالا وتأخر رسول الله عنهم، فلما اذن له الله بالهجرة وتجهز ابو بكر براحلتين لرسول الله وله، شعرت قريش بذلك فاجتمع منها رؤوس الكفر في دار الندوة، فمن قريش حضر من بني عبد شمس: عُتْبة وشَيْبة ابنا ربيعة. ومن بني أمية: أبو سفيان بن حرب. ومن بني نوفل: طعيمة بن عدي وجُبير بن مُطعم والحارث بن عامر وحبيب بن مطعم. ومن بني عبد الدار: النضر بن الحارث بن كلدة. ومن بني أسد: أبو البَخْتري بن هشام وزَمْعة بن الأسود وحكيم بن حزام. وربيعة بن الأسود. ومن بني مخزوم: أبو جهل بن هشام. ومن بني سهم: نبيه ومنبه ابنا الحجاج. ومن بني جُمح: أمية بن خلف. وغيرهم ومعهم ممن لا يعد من قريش. (المنتظم ج٣ص٢٨)، وحضر اجتماعهم ابليس لعنه الله على صورة شيخ نجدي، وتشاورا ما يفعلون برسول الله، قال احدهم: قيل: إنه أبو البختري بن هشام - احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء من الموت حتى يصيبه ما أصابهم. ﴿يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطور: ٣٠-٣١] فقال الشيخ النجدي: لو حبستموه لخرج أمره من وراء الباب إلى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا لكم برأي. فقال آخر: نخرجه وننفيه من بلدنا ولا نبالي إذا غاب عنا اين وقع ولا ماذا اصابه. فقال الشيخ: ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل بحي من العرب، فيغلب عليهم بحديثه حتى يتابعوه ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم. فقال أبو جهل: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه فنستريح منه فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعها، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا. فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم. فقال الشيخ: القول ما قال الرجل، هذا هو الرأي ولا رأي غيره، فتفرقوا

على ذلك. فانزل الله فيهم: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ **[الأنفال: ٣٠] (البداية والنهاية ج٣ص٤٠).**

الكفار الاشد أذى وعداوة

عقبة بن ابي معيط

وهو احد رؤوس الكفر وكان جارا كثير الاذى لرسول الله، جاء يوما الى الكعبة ورسول الله جالس، فاخذ بمنكبه ولوى عنقه وخنقه خنقا شديدا، حتى جاء ابو بكر فخلصه وهو يقول: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨] وجاء يوما ورسول الله يصلى عند الكعبة، ورهط من قريش جلوس وسلا جزور قريب منهم فقالوا: من يأخذ هذا السلا فيلقيه على ظهر محمد فقال ـ لعنه الله ـ انا، ثم اخذه فالقاه على ظهره، فجعلوا يضحكون ويصفقون حتى ان بعضهم يميل على بعض من شدة الضحك، فلم يزل رسول الله ساجدا، حتى جاءت فاطمة رضي الله عنها فأخذته عن ظهره، فدعا عليه الصلاة والسلام عليهم، قال ابن مسعود: لم يدع على قريش إلا يومها قال: «اللهم عليك الملأ من قريش اللهم عليك بعتبة بن ربيعة اللهم عليك بشيبة بن ربيعة اللهم عليك بأبي جهل بن هشام اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط اللهم عليك بأبي بن خلف أو أمية بن خلف» الشك من الراوي وهو شعبة. (مسند احمد برقم ٣٧٦٦)، ولقي ابي بن خلف، عقبة يوما فقال له: بلغني أنك جالست محمدا وسمعت منه، فوجهي من وجهك حرام أن أكلمك إن أنت جلست إليه أو سمعت منه، إلا أن تتفل في وجهه ففعل عقبة ذلك، فانزل الله فيهما وفي امية اخي ابي، لعنهم الله جميعا قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٨]، (الكامل ج١ص١٧) (البداية والنهاية ج٣ص٣٦) (تفسير الطبري والبغوي).

ابو لهب

هو احد أعمام رسول الله واسمه عبد العزى بن عبد المطلب، وإنما غلب عليه لقب ابا لهب لشدة حمرة وجهه وجماله، وكان اكثر الناس عداوة لرسول الله وكان جارا له، وكان من عداوته انه كان يضع نفايات بيته وقذره امام بيت رسول الله، روي عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ كنت بين شر جارين بين

أبي لهب وعقبة بن أبي معيط ان كانا ليأتيان بالفروث فيطرحانها على بابي، فيقول يا بني عبد مناف أي جوار هذا ثم يلقيه بالطريق. وكان لعنه الله يتبعه اينما ذهب فينفر عنه الناس والقبائل، ويكذبه فيما يقول، حتى انه لما حاصرت قريش بني هاشم في شعب ابي طالب، دخل كل قرابة رسول الله الى الشعب، مسلمهم وكافرهم ليحموا رسول الله ويمنعوا اذى قريش عنه، دخل المسلمون ايمانا برسول الله وتصديقا له، ودخل الكفار حمية وعصبية، إلا عدو الله ابا لهب فانه لم يدخل معهم، وكان يفتخر بذلك امام نساء قريش لعنه الله، وكان اول من كذب رسول الله لما امرة الله ان يجهر بالدعوة، فصعد عليه الصلاة والسلام الجبل فنادى: واصباحاه، فلما اجتمعت اليه قريش دعاهم الى الله، فقام ابو لهب ينفض يديه ويقول: تبا لك ألهذا جمعتنا، فانزل الله فيه قوله تعالى: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾ **[المَسَد: ١-٣] مات بمكة غما وقد اصيب بالعدسة (مرض) بعدما جاء خبر انهزام قريش في بدر، ولم يشارك فيها.** (التفاسير) (الطبقات الكبرى ج١ ص٦).

ابو جهل

هو ابو الحكم عمرو بن هشام من بني مخزوم، وهو فرعون الامة واكبر طواغيتها، واكبر اعداء الاسلام واشد الناس عداوة وأذى لرسول الله، حاول اكثر من مرة ان يقتل رسول الله، ولكن الله دفع عن رسوله ورد كيد الكافر في نحره، روى عن ابن عباس قال: مر أبو جهل بالنبي ﷺ وهو يصلي. فقال: ألم أنهك أن تصلي يا محمد؟ لقد علمت ما بها أحد أكثر ناديا مني. فانتهره النبي ﷺ. فانزل الله فيه: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ **[العلق: ٩-١٠] الى قوله تعالى:** ﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ **[العلق: ١٧-١٨] فقال جبريل عليه السلام: والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب.** (تفسير الطبري) (ورواه الامام احمد في مسنده برقم٢٨٨٧)، **قتل ببدر قتله ابنا عفراء وأجهز عليه عبد الله بن مسعود. كان لعنه الله يقول لرسول الله ﷺ: لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن إلهك الذي تعبد. فانزل الله فيه قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ **[الأنعام: ١٠٨] ولما نزلت الايات في صفة شجرة الزقوم من**

قوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ [الصافات: ٦٢] الى قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ [الصافات: ٦٦] قال ابو جهل لعنه الله: أتدرون ما الزقوم؟ هو تمر يضرب بالزبد ثم قال: هلموا فلنتزقم فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٤] (البداية والنهاية ج٣ص٣٦).

أبي بن خلف

وكان على شر ما عليه أحد من أذى رسول الله ﷺ وتكذيبه، جاء إلى رسول الله بعظم فخذ بال قد ارم، ففته في يده ثم نفخه في الريح نحو رسول الله ﷺ وقال: زعمت أن ربك يحيي هذا العظم ويبعثه وقد ارم (اي تعفن وتلف). فقال: نعم! أنا أقول ذلك يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ثم يدخلك النار. فانزل الله فيه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨-٧٩]، قتله رسول الله ﷺ يوم أحد ـ ولم يقتل أحدا بيده غيره ـ رماه بحربة فقتله. وهو من الذين قالوا: لولا أنزل عليك ملك يكلم الناس عنك. فانزل الله فيهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الأنعام: ٨] (الكامل ج١ص١٧) (البداية والنهاية ج٣ص٣٦) (التفاسير).

امية بن خلف

صنع عقبة بن أبي معيط طعامًا ودعا إليه رسول الله ﷺ فقال عليه السلام: لا أحضره حتى تشهد أن لا إله إلا الله ففعل فقام معه. فلقيه أمية بن خلف فقال له: أقلت كذا وكذا فقال: إنما قلت ذلك لطعامنا فنزلت: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٨]، وهو من الذين قالوا لرسول الله: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد

ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر. فأنزل الله فيهم ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١-٢]: الى اخر السورة. قتل أمية يوم بدر كافرًا قتله خبيب وبلال وقيل: قتله رفاعة بن رافع. (الكامل ج١ص١٧) (التفاسير).

النضر بن الحارث

يكنى أبا قائد وكان أشد قريش في تكذيب النبي - ﷺ - والأذى له ولأصحابه. وكان ينظر في كتب الفرس ويخالط اليهود والنصارى فلما سمع ببعثة النبي ﷺ، كان يتبعه في مجالسه التي يجلس فيها يتلو القران ويدعو الى الله، فإذا قام رسول الله جلس مكانه فقال: انما يحدثكم محمد بأساطير الاولين يكتتبها كما اكتتبها، وليس الذي عنده بأحسن من الذي عندي، ثم يحدثهم بأخبار الفرس وما جرى بينهم من حروب، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥] وانزل: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧]، وكان يشيع هو وغيره من المشركين ان رسول الله يتعلم القران من فتيان اعاجم من الأقيان ممن اسلموا، وكانوا يحدثون رسول الله بما في كتبهم اذا جلس اليهم او جلسوا اليه، منهم فتى اعجمي نصراني كان عبدا لبني الحضرمي يسمى جبرا، كان يبيع بالمروة، كان رسول الله يجلس اليه اذا مر به فانزل الله: ﴿أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣] وكان يقول: إن جاءنا نذير لنكونن أهدى من إحدى الأمم فنزلت: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢]، وهو من الذين قالوا: لولا أنزل عليك ملك يكلم الناس عنك. فانزل الله فيهم: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ

أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٨]، أسر يوم بدر وقتل صبرا بضرب عنقه. (الكامل ج١ص١٧) (البداية والنهاية ج٣ص٣٦) (التفاسير).

امرأة ابي لهب

هي ام جميل اروى بنت حرب بن امية اخت ابي سفيان بن حرب، ولم تكن اقل اذى لرسول الله من زوجها ـ لعنهما الله ـ وكانت تأتي بالشوك والحطب كثير الشوك فتضعه امام بيت رسول الله وفي طريقه، حتى اذا مشى دخل الشوك في رجليه، وكانت تطرح قذى بيتها امام بيت رسول الله، فانزل الله فيها تمام سورة المسد، قوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾ [المَسَد: ٤-٥] وقيل هي التي قالت لرسول الله لما انقطع الوحي اياما: ما ارى إلا ان ربك قلاك يا محمد فانزل الله سبحانه سورة الضحى قال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضُّحى: ١-٤] الى اخر السورة. (التفاسير).

كفار اخرون

امية بن ابي الصلت

قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥] ذكرنا في القصص ان المقصود بهذه الاية هو بلعام احد علماء بني اسرائيل وبينا قصته، وقال بعض علمائنا ان المقصود هو امية بن ابي الصلت، وقد يكون المقصود بها الاثنان لتشابه قصتيهما والله اعلم، اما امية فمن امره انه كان قد اعتزل عبادة الاصنام، وكان يؤمن بالبعث وبالجنة والنار، وكان شاعرا وكل شعره بما

يناسب الشرع ويماشيه، وله شعر جيد يسبح فيه الله ويحمده ويمجده ويذكر آلائه، وله شعر يذكر فيه نبوة سيدنا محمد ﷺ، وكان يطمع ان يكون رسول اخر الزمان، فلما بعث رسول الله ﷺ، قدم عليه وسمع منه وعرف انه رسول الله حقا، ولكن منعه الحسد والكبر ان يؤمن به، فخرج الى الشام زمنا، ثم رأى ان يعود فيسلم، فلما عاد مر ببدر فقيل له ان في القليب ابنا خالك عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، فترك الاسلام فمات كافرا. (المنتظم ج٣ ص٣١).

ابو طالب عم الرسول

هو عبد مناف بن عبد المطلب عم رسول الله، وهو الاخ الشقيق الوحيد لوالده عبد الله، وهو احد سادات قريش وكبرائها، كفل رسول الله بعد وفاة جده عبد المطلب، ولما بعث رسول الله ﷺ، نصره وكف عنه اذى قريش، وجمع بني هاشم مسلمهم وكافرهم لحمايته لما عزمت قريش على قتله، ودخل بهم الشعب وكان يحرسه بنفسه عند نومه، وقال شعرا كثيرا يمدح به رسول الله، وكانت كل سجاياه وأخلاقه من اخلاق الاسلام، إلا انه لم يسلم، منعه من ذلك خوف معايرة قريش له، وكان من احب خلق الله لرسول الله، وقد دعاه الى الاسلام مرات ولكنه كان يأبى، ولكنه مع ذلك لم يتخل عن رسول الله، ولم يلق رسول الله ﷺ اذى من قريش إلا بعد موته، وهو ابو علي وعقيل وجعفر، ولما حضره الموت الح عليه رسول الله للدخول الى الاسلام، وكان رسول الله يحب ذلك ويرجوه فقال له: يَا عَم قُلْ: لا إِلَهَ إلا الله أشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله. ولكن ابا جهل وعبد الله بن أبي أمية وكانا عنده قالا له: يا أبا طالب أترغب عن ملّة عبد المطّلب. فكرر رسول الله له الدعوة وكررا قولهما، حتى قال آخر كلمة تكلّم بها: أنا على ملة عبد المطلب. فمات كافرا قبل الهجرة بثلاث سنين، وفيه نزل قول الله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] وكان حزن رسول الله عليه شديدا وكان يكثر من الاستغفار له حتى نزل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] فلم يستغفر له بعدها (كتب التاريخ) (التفاسير).

سلامان

رجل من المشركين يقال له ابو ميسرة. لما اسر خبيب بن عدي الانصاري رضي الله عنه ببطن الرجيع، جيء به الى مكة فابتاعه بنو الحارث بن عامر ليقتلوه بابيهم، فصلب ليقتل صبرا بعد ان عذبوه، فجاء سلامان لعنه الله فوضع سن الرمح في صدره فقال له خبيب: اتق الله، فغرز اللعين الرمح بين ثدييه فقتل شهيدا، فانزل الله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[البقرة: ٢٠٦]، كبر على اللعين ان يقال له: اتق الله. (تفسير البغوي).

جماعة من اليهود

روي عن ابن عباس قال: كان كَرْدَم بن زيد، حليفُ كعب بن الأشرف، وأسامة بن حبيب، ونافع بن أبي نافع، وبَحْريّ بن عمرو، وحُيَيّ بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن التابوت، يأتون رجالا من الأنصار، وكانوا يخالطونهم، ينتصحون لهم من أصحاب رسول الله ﷺ، فيقولون لهم: لا تنفقوا أموالكم، فإنا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة، فإنكم لا تدرون ما يكون! فأنزل الله فيهم: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ٣٧] فهؤلاء امروا الناس بالبخل، قيل قالوا لهم لا تؤدوا الصدقة اي الزكاة، ولا تتصدقوا، وكذبوا ما جاء به رسول الله ﷺ. (تفسير الطبري) (تفسير البغوي).

رفاعة بن زيد بن التابوت

روي عن ابن عباس قال: كان رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قينقاع من عظمائهم، يعني من عظماء اليهود، إذا كلم رسول الله ﷺ لوى لسانه وقال: «راعنا سمعَك، يا محمد حتى نفهمك‘‘! ثم طعن في الإسلام وعابه، فأنـزل الله فيه وفي امثاله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٤٤-٤٦] (تفسير الطبري) وقيل كان معه فيما يفعل مالك بن دخشم (تفسير البغوي).

قال موسى بن عقبة، والواقدي: لما كان رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق، أراح يوما فهبت على الناس ريح شديدة، فآذتهم وتخوفوها، فقال رسول الله: ((لا تخوفوها فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار)). فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت، وكان عظيماً من عظماء اليهود وكهفاً للمنافقين مات ذلك اليوم. (البداية والنهاية ج٤ص٥٥).

شاس بن قيس

هو احد يهود المدينة، كان شيخا قد عسا (كبر وأسن وهرم: لسان العرب) عظيم الكفر شديد الحقد على المسلمين شديد الحسد لهم، مر على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج قد اجتمعوا في مجلس يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد ما كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فأمر شابا من يهود كان معه قال: فاعمد فاجلس إليهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان فيهم، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار. وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج؛ ففعل. فتنازعوا وتفاخروا فقام أوس بن قيظي من الاوس، وجبار

بن صخر من الخزرج، فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رددناها الآن جذعة (والمقصود نعود للحرب بيننا) وغضب الفريقان، وتنادوا للسلاح وتواعدوا اللقاء في الظاهرة (والظاهرة الحرة وهي خارج المدينة) فخرجوا إليها واجتمع كل فريق الى قومه كما كانوا يفعلون في الجاهلية.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه حتى جاءهم فقال: "يا معشر المسلمين الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله تعالى إلى الإسلام وأكرمكم به وقطع عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا؟» فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين وأطفأ الله كيد عدوهم وانزل في عدو الله شاس بن قيس.

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ **[آل عمران: ٩٩].**

وأنزل في أوس بن قيظي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ **[آل عمران: ١٠٠] وفيهم جميعا بقية الايات الى قوله تعالى:** ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ **[آل عمران: ١٠٥] (تفسير الطبري) (أسد الغابة: ص٦).**

فنحاص بن عازوراء

دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على يهود بني قينقاع في كنيسهم، فوجد ناسًا كثيرًا منهم قد اجتمعوا إلى فِنحاص، وكان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حَبْرٌ يقال له أشْيَع. فقال أبو بكر لفنحاص: ويحك يا فِنحاص، اتق الله وأسلِم، فوالله إنك لتعلم أنّ محمدًا رسول الله، قد جاءكم بالحقّ من عند الله، تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل! قال فنحاص: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير! وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا

عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنيًّا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم! ينهاكم عن الربا ويعطيناه! ولو كان عنا غنيًّا ما أعطانا الربا! (قلت: وذلك ان العبد يقدم لله حسنة فيكتبها الله له عشرا او اضعافا) قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة: ٢٤٥] قيل نزلت هذه الاية في حيي بن اخطب حينما قال: يستقرضنا ربنا، إنما يستقرض الفقير الغنيَّ! ولما قال فنحاص ذلك غضب أبو بكر فضرب وجهه ضربة شديدة، وقال: والذي نفسي بيده، لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عُنقك يا عدو الله! فأكذِبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين. فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، انظر ما صنع بي صاحبك! فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا رسول الله، إن عدو الله قال قولا عظيمًا، زعم أنّ الله فقير وأنهم عنه أغنياء! فلما قال ذلك غضبت لله مما قال، فضربتُ وجهه. فأنكر فنحاص وقال: ما قلت ذلك! فأنزل الله سبحانه ردا على فنحاص ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ [آل عمران: ١٨١] وانزل في رد ابي بكر وتصديقا له: ﴿وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗا﴾ [آل عمران: ١٨٦] (التفاسير) مع اختلاف في الفاظ الرواة إلا انها كلها بذات المعنى. والله اعلم.

المنافقون ومن اتهموا بالنفاق

الأخنس بن شريق

هو ابو ثعلبة ابي بن شريق الثقفي، كان حليف بني زهرة وهو الذي اشار عليهم بالرجوع الى مكة يوم بدر، وكانوا خرجوا مع قريش لحرب رسول الله، فلما قال لهم ذلك رجعوا، فقال ابو سفيان: خنس ابن شريق بالجيش (أي رجع او تأخر) فصار يعرف بالأخنس واشتهر به، (الكامل ج١ص١٩)، جاء بعد الفتح الى رسول الله في المدينة وقال: انما جئت اريد الاسلام ويعلم الله اني صادق، وأعلن اسلامه وخرج عائدا الى مكة، فمر بزرع وحمر لبعض المسلمين، فاحرق الزرع وقتل الحمر فانزل الله فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥]، كان يأتي رسول الله فيقول: والله يا رسول الله اني احبك فيدنيه رسول الله ويسمع منه، فإذا خرج من عنده تكلم فيه فنزل فيه: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾ [القلم: ١٠-١١] (التفاسير) وكان حلو الحديث خبيثا شريرا معروف النفاق، نزلت فيه ايات كثيرة.

أوس بن قيظي

وهو من الذين قالوا لرسول الله ﷺ يوم الخندق: إن بيوتنا عورة. وكان يسعى بين الناس ليتركوا رسول الله ويرجعوا هربا وفرارا من الاحزاب، فنزل فيه وفي من معه: ﴿وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا﴾ [الأحزاب: ١٣] والذين استاذنوا رسول الله هم بنو حارثة وبنو سلمة، (التفاسير) و(البداية والنهاية ج٣ص٤٣).

بشير بن ابيرق

كان بُشَير منافقًا يقول الشعر يهجو به أصحاب النبي ﷺ، ثم ينسبه لبعض العرب ويقول: قال فلان كذا وكذا، فإذا سمع أصحاب رسول الله ذلك الشعر قالوا: والله ما يقوله إلا هذا الخبيث؟ ـ يعنون بشيرا ـ وكان بشير فقيرا معدما فَنقّب ليلة مشربة لرفاعة بن زيد وكان فيها طعام وسلاح، وأخذ الطعام والسلاح، درع وسيف. فلما أصبح رفاعة وجد المشربة نقبت واخذ ما فيها، فتجسس قتادة بن النعمان ابن اخي رفاعة وسال فقيل له: قد رأينا بني أُبَيْرق استوقدوا في هذه الليلة، ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم. فسألهم فأنكروا وقالوا: والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل، قال قتادة: ولبيد رجل منا له صلاح وإسلام، فلما سمع لبيد ذلك اخترط سيفه وقال: أنا أسرق، والله لأخالطنكم هذا السيف، أو لتبينن هذه السرقة، قالوا: إليك عنا أيها الرجل، فوالله ما أنت بصاحبها، ولما تيقن قتادة انها عندهم ذهب الى رسول الله فقال: إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي رفاعة بن زيد، فنَقَبوا مشربة له، وأخذوا سلاحه وطعامه. فَلْيردوا علينا سلاحنا، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه. فقال النبي ﷺ «سآمُرُ في ذلك». فلما سمع بنو أُبَيْرق ذلك أتوا رجلا منهم يقال له: أسَير بن عمْرو فكلموه في ذلك، فذهب الى رسول الله فقال: يا رسول الله، إن قتادة وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح، يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت. قال قتادة: فأتيت النبي ﷺ فكلمته، فقال: عمدت إلى أهل بيت ذُكر منهم إسلام وصلاح، ترميهم بالسرقة على غير ثَبَت ولا بينة؟ قال: فرجعت فأتاني عمي فقال: ما صنعت؟ فأخبرته فقال: الله المستعان. فلم نلبث أن نزل القرآن: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴾ [النساء: ١٠٥] قال: فلما نزل القرآن أتى بالسلاح فردَّه إلى رفاعة. قال ابن كثير ثم لحق بشير بالمشركين (تفسير ابن كثير: باختصار) وأنزل الله تعالى في لبيد: ﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾ [النساء: ١١٢]، فبرأه الله مما تقولت عليه بنو أبيرق.

ثعلبة بن حاطب

قيل لم يكن له مال فأتى رسول الله ﷺ، وسأله ان يدعو له الله ليرزقه مالا، فرده رسول الله ولم يدع له، فجاءه مرة ثانية وسأله فلم يدع له، ثم جاء مرة ثالثة فقال: يا رسول الله ادع لي وأعاهد الله لئن رزقني لأتصدقن ولأعطين كل ذي حق حقه، فدعا له فلما كثر ماله صار يتخلف عن الصلاة إلا الجمعة، ثم لما ازداد عنده المال والحلال ترك المدينة، ولحق بغنمه وترك الجمعة، ولم يتصدق ولم يؤد حق ماله من زكاة وغيرها، ولما سئل ان يؤدي الزكاة قال: هذه اخت الجزية وامتنع، وكان معتب بن قشير قد قال قوله وفعل فعله فانزل الله فيهما: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٦] قيل لما بلغه ما انزل الله فيه جاء بصدقة الى رسول الله فلم يقبلها منه. ولم يقبلها منه بعد، ابو بكر وعمر وعثمان، وهلك في زمن عثمان. (تفسير البغوي) و(البداية والنهاية ج٣ص٤٣).

الجلاس بن سويد بن الصامت

سمع الجلاس وهو يقول في رسول الله ﷺ: لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شر من الحمر، فسمعها رجل قيل هو عمير بن سعد ابن امرأته، وقيل غيره، فوصلت الى رسول الله، فأنكر وحلف انه لم يقلها، فانزل الله فيه: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ ﴾ [التوبة: ٧٤] وقيل: أنه تاب وحسنت توبته حتى عرف منه الإسلام والخير. قيل: دل على حسن توبته انه لم يعاتب عميرا ولم يعاقبه، ولم يمنع عنه خيرا كان يصنعه اليه، والله اعلم، (التفاسير) و(البداية والنهاية ج٣ص٤٣).

الحارث بن سويد بن الصامت

كان يعرف بالنفاق، خرج مع المسلمين يوم احد فلما اختلط الناس، قتل

رجلين من المسلمين بلغه انهما قتلا اباه قبل يوم بعاث، ثم هرب ولحق بقريش مرتدا، فانزل الله فيه: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [آل عمران: ٨٦]، الى قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٨٩]، وبعد مدة ارسل الى اخيه الجلاس: اسال رسول الله هل لي من توبة، فأرسلها اليه مع رجل من قومه فقرأها عليه. فقال الحارث: إنك والله لصدوق، وإن رسول الله ﷺ لأصدق منك، وإن الله لأصدق الثلاثة. فرجع فأسلم فحَسُنَ إسلامه. (التفاسير) و(البداية والنهاية ج٣ص٤٣). وقد ذكر بعضهم انها نزلت في الحارث التيمي، وهو خطأ لان التيمي تابعي، والأصح في ابن الصامت لأنه صحابي (أسد الغابة ص١٧).

عبد الله بن أبي بن سلول

وسلول هي ام ابي ولكنه اشتهر بها، اما ابو ابي الذي هو جد عبد الله فاسمه مالك، وعليه فهو عبد الله بن ابي بن مالك الخزرجي الانصاري، كان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ملكا عليهم، فجاء رسول الله ﷺ مهاجرا الى المدينة وهم على ذلك . فلما اسلموا تركوه فحقد على رسول الله وكرهه ورأى انه سلبه ملكه، ثم اسلم كارها وهو يضمر النفاق، (السيرة النبوية ج٣ ص٤٠) وهو الذي رمى ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة في قصة الافك، وأشاع ذلك بين الناس فانزل الله فيه: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١] (تفسير الطبري). وهو الذي تشفع في بني قينقاع عند رسول الله فاعرض عنه، فادخل يده في جيب درع رسول الله حتى اذاه، وكان رسول الله اراد قتلهم وهم سبعمائة فتركهم له، فانزل الله فيه: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢] وفيه ايضا: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ

﴿فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [المائدة: ٥١] (الكامل ج١ص٢١) وقيل فيه نزلت سورة المنافقين من اولها الى اخرها (تفسير الطبري). ولما مات لعنه الله جاء ابنة عبد الله يطلب قميص رسول الله، ليكفن اباه فيه فأعطاه اياه اكراما له فقد كان من صالح المؤمنين، ثم صلى عليه رسول الله ووقف على قبره حتى واروه واستغفر له، ولما فرغ نزل قول الله سبحانه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤] (التفاسير).

نبتل بن الحارث

كان جسيماً ثائر شعر الرأس أحمر العينين أسفع الخدين، (السفع: السواد المشوب بحمرة او بلون اخر مع الشحوب (لسان العرب))، وكان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ثم ينقله إلى المنافقين وهو الذي قال: إنما محمد أذن، من حدثه بشيء صدقه. فانزل الله فيه: ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞ﴾ [التوبة: ٦١] وهو الذي قال فيه رسول الله: ((من أحب أن ينظر إلى شيطان فلينظر إلى هذا)). وكان معروف النفاق. وقيل كان الجلاس بن سويد يقول ذلك ايضا. (التفاسير) و(البداية والنهاية ج٣ص٤٣).

معتب بن قشير

وهو الذي قال يوم الأحزاب: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يؤمن أن يذهب إلى الغائط فنزل فيه: ﴿وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا﴾ [الأحزاب: ١٢]، روي عن الزبير بن العوام لما غشيهم النعاس يوم احد قال: (لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتدّ علينا الحرب، أرسل الله علينا النوم والله إني لأسمع قول معتب

بن قشير والنعاس يغشاني ما أسمعه إلا كالحلم، يقول: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا). وفيه نزلت الآية الى اخرها قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]. (تفسير البغوي) و(البداية والنهاية ج٣ص٤٣).

الجد بن قيس

وهو احد بني سلمة، كان من المنافقين، قال له رسول الله ﷺ ذات يوم، وهو يجهز لغزوة تبوك: «يا جد هل لك العام في جلاد بني الأصفر؟» فقال: يا رسول الله أوتأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي أنه ما رجل أشد عجبا بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر. (يعني ان يقع في الزنا) فأعرض عنه رسول الله ﷺ وأذن له، وفيه نزل قول الله سبحانه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩] (البداية والنهاية ج٥ ص٦٥).
وكان الجد حضر الحديبية فلما بايع المسلمون رسول الله تحت الشجرة، ابى ان يبايع، فبايع المسلمون جميعا إلا الجد. لعنه الله (الكامل ج١ص٢٢).

المستضعفون الذين كثروا الكفار يوم بدر

وهم: الحارث بن زمعة بن الأسود وأبو قيس بن الفاكه وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة وعلي بن أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج. (السيرة النبوية ج٣ ص٤٥) وعند الطبري قيس بن الفاكه بدل ابو قيس، وقيس بن الوليد، بدل ابو قيس، وأبي العاص بن مُنبّه بدل العاص. وهؤلاء وغيرهم قد اسلموا بمكة، وكانوا من المستضعفين، ولما هاجر رسول الله والمسلمون بقوا في مكة ولم يهاجروا، لضعفهم وقلة حيلتهم وعدم معرفتهم بالطريق، ولان قومهم منعوهم من الهجرة فلما نزلت: ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗ﴾ [النساء: ١٠٠]، رفع العذر عن القادرين منهم من الشباب وممن يجد سبيلا الى الهجرة، وكتب مسلموا المدينة الى اخوانهم بمكة بهذا، فخرج منهم جماعات مهاجرين فلحقت قريش بهم، فردت من ردت كهؤلاء وغيرهم، ثم فتنوا عن دينهم، ولما كانت غزوة بدر خرج هؤلاء الخمسة مع قريش لقتال رسول الله، فظلموا انفسهم بعدم الهجرة ثم بالخروج مع الكفار لحرب رسول الله. فمنهم من قتل بالسيف ومنهم من اصابه سهم فقتله، فقال المهاجرون: اخواننا خرجوا مكرهين، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [النساء: ٩٧] اي هؤلاء الخمسة، فلما ماتوا قيل لهم من باب التوبيخ ﴿فِيمَ كُنتُمۡ﴾ [النساء: ٩٧]اي أكنتم مسلمين ام منافقين كفار قالوا: ﴿كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [النساء: ٩٧] فقيل لهم: ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧] اي كان بمقدوركم الهجرة ولكنكم لم تفعلوا، فلم يعذرهم الله وقال فيهم: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧] وعذر الله من المستضعفين: ﴿ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ

سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٩٨] اي الرجال العجزة والمرضى والنساء والاطفال، وهؤلاء ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء: ٩٩] (التفاسير). ومما يدل على نفاقهم انهم قاتلوا مع المشركين، ولو كانوا مسلمين حقا لاعتزلوا القتال، او انحازوا للمسلمين.

قصص اخرى

قصة اصحاب الرس

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ﴾ [ق: ١٢] وقد اختلف المفسرون في مكانهم، وقد روي عن ابن عباس قولان الاول أنهم قرية من قرى ثمود، والثاني أنهم من اهل اذربيجان، وعن قتادة أنهم بفلج، وفلج من قرى اليمامة، وقيل غير ذلك والله اعلم. كذلك وقع اختلاف في زمانهم، فقيل كانوا قبل عاد، وقيل بعدهم، وقيل من اهل الشام (البداية والنهايةج١ص١٢). (قلت واغلب الظن ان كل ذلك من تخرصات المفسرين والرواة ووضعهم، فالله وحده اعلم بمكانهم). وحاصل امرهم أنهم قوم بعث الله لهم برسول فكذبوه، فانزل الله بهم ما يسحقون من العذاب والهلاك، قال تعالى: ﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا ﴿٣٨﴾ وَكُلّٗا ضَرَبۡنَا لَهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَۖ وَكُلّٗا تَبَّرۡنَا تَتۡبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٣٨-٣٩] ومما قيل في قصتهم، ان الله بعث إليهم نبياً فكذبوه وقتلوه ودفنوه في بئر، قيل وبذلك سموا اصحاب الرس لرس نبيهم اي دفنه فيها، فأهلكهم الله، وانتشر من بقي منهم في الأرض كلها، حتى نزلوا دمشق وبنوا مدينتها والله اعلم.

قصة قوم يس (اصحاب القرية)

قال تعالى: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ [يس: ١٤] وهم اصحاب قرية اشتهر عن كثير من السلف أنها أنطاكية. وكان اهلها يعبدون الأصنام (البداية والنهايةج١ص١٢). ارسل الله اليهم رسولان، يدعوان الى عبادة الله وحده، ونبذ عبادة ما سواه من الطواغيت والأصنام، إلا أنهم كذبوهما فأرسل الله اليهم رسولا ثالثا، يؤيدهما ويؤكد دعواهما، فقال اهل القرية: انتم بشر وكذبوا ان يكون الله بعثهم، فقالوا: الله يعلم اننا رسله، وان علينا بلاغكم ودعوتكم اليه، فقالوا: تشاءمنا بما جئتمونا

به. وان لم تنتهوا عن دعواكم، فسنرجمكم ونعذبكم، قالوا: شؤمكم مردود عليكم. أتتوعدوننا بالقتل لأننا نذكركم بالله وندعوكم اليه، بل أنتم لا تقبلون الحق ولا تريدونه. قال تعالى: ﴿أَإِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ **[يس: ١٩].**

وبينما الرسل في جدالهم مع قومهم، جاء رجل مؤمن من اقصا المدينة، فدعا قومه الى تصديق المرسلين واتباعهم، ووعظهم وانذرهم وأعلن ايمانه قال: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ **[يس: ٢٢]، وبين لهم ان اصنامهم لا تضر ولا تنفع، ثم اشهد الرسل على ايمانه قال:**﴿إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ **[يس: ٢٥] قيل فلما قال ذلك قتله قومه** (البداية والنهايةج١ص١٢) **فغفر الله له، قال تعالى:** ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ **[يس: ٢٦] فلما دخلها ورأى نعيمها قال:** ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ **[يس: ٢٦] أي بما انا فيه من النعيم فيؤمنوا بما آمنت به فيحصل لهم ما حصل لي. قال ابن عباس: نصح قومه في حياته وبعد مماته، وقال قتادة: فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله. قال تعالى:** ﴿۞ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ **[يس: ٢٨] اي لما كذبوا رسل الله وقتلوا وليه اسرع الله سبحانه اليهم بالعذاب، وما انزله عليهم من السماء، قال تعالى:** ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ **[يس: ٢٩] (قال المفسرون: بعث الله إليهم جبريل** عليه السلام**، فأخذ بعضادتي الباب الذي لبلدهم ثم صاح بهم صيحة واحدة، فإذا هم خامدون أي: قد أخمدت أصواتهم، وسكنت حركاتهم، ولم يبق منهم عين تطرف** (البداية والنهايةج١ص١٢)**). ثم قال ابن كثير بعد تمام القصة: (وهذا مما يدل على أن هذه القرية ليست أنطاكية، لأن هؤلاء أهلكوا بتكذيبهم رسل الله إليهم، وأهل أنطاكية آمنوا واتبعوا رسل المسيح من الحواريين إليهم، فلهذا قيل إن أنطاكية أول مدينة آمنت بالمسيح). قلت والله اعلم بما كان سبحانه.**

قصة اصحب الكهف

هم جماعة من الفتيان امنوا بالله قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، ولما كان قومهم كفرة يعبدون الاصنام ويكفرون بالله، تدارسوا أمرهم فقالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥]، اي كذب قومنا على الله وافتروا حين عبدوا هذه الاصنام، وظلموا انفسهم وليس عندهم حجة ولا دليل على استحقاقها للعبادة. ثم سالوا الله ان يثبتهم على دينه ويرشدهم الى الصواب فيما يفعلون بأنفسهم فقالوا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠] فألهمهم الله ان يأووا الى كهف يقيمون فيه ويعبدوا الله بعيدا عن قومهم، فلما عزموا على ذلك واجمعوا رأيهم عليه قالوا: ﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦]، اي اللجوء الى رحمة الله ارفق بكم من قومكم، فهو وحده يحفظكم من اذاهم وكفرهم. (قيل كان الملك يقتل من ليس على دينه من اهل المدينة، فكان ذلك سبب هروبهم خارجها (المنتظم ج٢ص١٩)، وفي (الكامل ج١ص٦) أنهم اتهموا بقتل ابن الملك. ولما جمعهم الله تعارفوا ودخلوا الكهف ليبيتوا فيه ليلتهم.

دخل الفتية الكهف (مع خلاف في عددهم قيل ثلاثة وقيل خمسة وقيل سبعة، مع اتفاق على ان معهم كلبا)، وقد رجح العلماء أنهم سبعة وثامنهم كلبهم، لقول الله فيما هو اقل من ذلك ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ [الكهف: ٢٢]، ووقوفه فيما بعده، ولكن الله مع ذلك لم يصرح بحقيقة عددهم فقال: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الكهف: ٢٢]، وامر سبحانه بعدم الجدل في ذلك قال

سبحانه: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢]، فليس في تحقيق صحة عددهم كبير فائدة. كما وقع خلاف في زمانهم، فقيل قبل عيسى بن مريم وقيل بعده. وقد وقع خلاف ايضا في موقع كهفهم في اي البلاد هو، فقيل في بلدة يقال لها افيسوس بتركيا، وقيل في الرجيب القريبة من عمان في الاردن، وقيل غير ذلك والله اعلم. اما المؤكد فهو مدة نومهم في الكهف قال تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥]، ومن اعجاز الله في هذه الاية ان ثلاثمئة سنة بالتقويم الشمسي، هي ثلاثمئة وتسع سنين بالتقويم القمري، فسبحان من كملت قدرته واستحكم سلطانه.

اوى الفتية الى الكهف ليمضوا فيه ليلتهم، فتوفاهم سبحانه الى اجل هو اعلم به قال تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: ١١]، ثم شرع سبحانه يصفهم في حال نومهم قال تعالى: ﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف: ١٧]، يخبرنا سبحانه أنهم لما دخلوا الكهف جلسوا في فجوة داخله (متسع منه)، فناموا فأماتهم في رقدتهم تلك، وفي السقف فجوة يتجدد بواسطتها الهواء، ويدخل منها ضوء الشمس، فكانت الشمس اذا اشرقت مالت عن كهفهم جهة اليمين، وإذا غربت مالت جهة الشمال، (وميلها ليس بجرمها وإنما ميل اشعتها والله اعلم)، فلم يكن يصل من حرها اليهم، إلا ما يكفي لبقاء اجسادهم على حالها دون اذى او ضرر، وما يكفي لحمايتهم من الرطوبة والتعفن، وكانوا ايقاظا في حركاتهم، فهم يتقلبون في نومهم كتقلب النائم قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨]، وذلك من تمام قدرة الله وحكمته، فلو بقوا على جانب واحد لتعفنت اجسامهم وتآكلت مع الزمن. ثم قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨]، فهم لمن ينظر اليهم في حالهم تلك نيام (قيل وأعينهم مفتوحة يظن من نظر إليهم أنهم ايقاظ، ولكنهم في الحقيقة نيام، ولكنهم في حقيقتهم اموات لا

حياة فيهم. ثم يقول تعالى واصفا حال كلبهم: ﴿ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ [الكهف: ١٨]، اي كلبهم كحالهم يبدو رابضا يقظانا باسطا ذراعيه، كعادة الكلاب، في الفناء امام باب الكهف، كأنه يحرسهم، ولكنه ميت مثلهم في حقيقة امره. ثم يجمل سبحانه حالهم فيقول: ﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ [الكهف: ١٨]، اي لو نظرت اليهم وهم في حالهم تلك، لا هم احياء ولا اموات، لملأ قلبك الرعب ولانطلقت هاربا مما ترى من غرابة منظرهم وحالهم. وقيل أنهم على حالهم تلك في ذلك الكهف انما يحسبهم من يراهم أنهم لصوص او قطاع طرق، فتلك كانت عادة هؤلاء في اتخاذ ملاجئ بعيدة عن اعين الناس، ولو رآهم احد كذلك لخافهم وهرب منهم مرعوبا، والله اعلم.

(ولا بد من الاشارة هنا الى معجزة الهية جليلة، تدل على كمال قدرة الله وعظم سلطانه قال تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [الكهف: ١٨]، فقد قال سبحانه في وصف حالهم بأنهم «رقود" ولم يقل موتى او اموات، وذلك ان الموت في العرف العام يستلزم تلف الجسد وتحلله، ويستلزم نخر العظام، وبلى العضلات والأنسجة وما اليها من بقية اعضاء الجسم، اما في حالهم فقد ماتوا وبقيت اجسامهم على حالها لم تتلف ولم تبل، ولذلك قال سبحانه «رقود» اي نيام، ولكن كل وظائف الحياة عندهم معطلة، فهم لا يشعرون بما حولهم ولا يسمعون قال تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ ﴾[الكهف: ١١]، عبر بسلبهم الاحساس بالسمع خاصة، للدلالة على سلب الاحساس عموما، والله اعلم.

هذا ما كان من أمر الفتية، اما ما كان من أمر قومهم، فقيل (لما علم الملك بهروبهم خرج في أصحابه يتبعون أثرهم حتى وجدهم قد دخلوا الكهف، فأمر أصحابه بالدخول إليهم وإخراجهم، فكلّما أراد رجل أن يدخل أصابه رعب فعاد فقال بعضهم: لو كنت قتلتهم لما ظفرت بهم فقال: فابنوا عليهم باب الكهف ودعوهم يموتوا فيه جوعًا وعطشًا ففعلوا، وقيل كتب بعض المؤمنين لوحا وجعله في البناء سرا، وفيه أسماؤهم وفي أيّام من كانوا وسبب وصولهم الى الكهف (الكامل ج١ص٦). اما الرقيم فقد اختلف المفسرون في

معناه، فقيل: هو اسم الجبل الذي فيه كهفهم. وقيل: هو اسم واد عند كهفهم. وقيل: اسم قرية هنالك. وقيل: هو الكتاب المرقوم فيه أسماؤهم وما جرى لهم. وهو الارجح والله أعلم.

الاستيقاظ والخروج من الكهف

لبث الفتية في الكهف ما شاء الله قال تعالى: ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥]، وهي مدة نومهم، فلما شاء سبحانه ان يبعثهم من رقدتهم، هدم باب الكهف، قيل هدمه راع ليدخل فيه غنمه والله اعلم، والحاصل أنهم استيقظوا من رقدتهم كما يستيقظ النائم، ولم ينكروا من حالهم شيئا، إلا انهم ناموا فوق العادة، ولذلك قال احدهم: كم لبثتم؟ أي كم مدة نومكم، قالوا: اما يوم او بعض يوم، ثم ردوا علم ذلك الى الله وقالوا: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩] ثم طلبوا من احدهم ان يذهب الى المدينة فيتحسس لهم الاخبار، ويشتري لهم طعاما، وامروه ان يستخفي حتى لا يشعر بهم احد، فيعرف مكانهم، فان قومهم لكفرهم ان عرفوا مكانهم سيقتلوهم، او سيجبروهم على الكفر قالوا: ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠]، اي ستخسرون دنياكم وآخرتكم، وذلك ما لا يريدوه فمن اجل الحفاظ على دينهم كان هروبهم.

اخذ احدهم بعض مالهم وكان من الفضة وانطلق الى المدينة، وهو لا يشك انها مدينته التي تركها بالأمس، فأتى بعض الباعة فاخذ طعاما، ثم اعطى البائع دراهمه، فأنكرها البائع، فهي قديمة غير مستعملة وليست من دراهم المدينة، فسأله من اين جاء بها، فقال: هي دراهمي، خرجت وأصحابي امس الى البرية فنمنا، واليوم جئت اشتري لنا طعاما، فازداد انكارا له، واجتمع الناس اليه، فحملوه الى ملكهم، فإذا هو غير الذي كان بالأمس فقال: اين الملك فلان، سمى الملك الذي هرب منه، فقالوا: قد مات ذلك الكافر منذ كذا وكذا، وجاءت بعده ممالك الى ان صار الملك الى ملكنا الصالح المؤمن هذا.

لما سمع منهم ذلك عرف ان الله اراد به وبأصحابه امرا، فاخبرهم بخبره فلم يصدقوه، فأخذهم الى اصحابه، فوجدوا الرقم (اللوح) وفيه اسماءهم

وخبرهم فصدقوهم، وأيقنوا بقدرة الله سبحانه، وكانوا قد عادوا الى الايمان بعد موت الملوك الكفرة، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾ [الكهف: ١٢]، وتلك معجزة من الله سبحانه، فهم في تقديرهم وحسابهم لم يمكثوا في الكهف غير ليلة، والحقيقة أنهم كما في حساب الناس قد مكثوا دهورا طويلة، اكثر من ثلاثمئة سنة. وقد كان بعثهم اية للناس قال تعالى: ﴿لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾ [الكهف: ٢١]، أي والناس بين مصدق ومستعجب لقصتهم، بين سبحانه بالمعجزة الباهرة، ان الموت حق، وان البعث حق، وان قيام الساعة والحساب حق، لا شك في كل ذلك.

لما رآهم الناس وكلموهم وعرفوا امرهم، وحقق الله بهم معجزته. قيل سالوا الله ان يميتهم، فعادوا الى مراقدهم فتوفاهم الله، فاختلف الناس ما يفعلون بهم

﴿فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ﴾ [الكهف: ٢١]، اي قال بعض الناس اتركوهم على حالهم وسدوا عليهم كهفهم، وفوضوا امرهم الى الله فهو اعلم بهم، وقال من لهم الغلبة والأمر: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ [الكهف: ٢١]، قيل فبنوا امام كهفهم مسجدا يتعبدون فيه، ليكونوا لهم عظة وعبرة وذكرى بعظمة الله سبحانه، وقيل اتخذوا ذلك اليوم عيدا لهم. والله اعلم. (التفاسير) (المنتظم ج٢ص١٩) (الكامل ج١ص٦) بتصرف واختصار لما يناسب سياق الايات الكريمة، واستبعاد ما فيه نكارة او غرابة والله من وراء القصد.

قصة اصحاب الاخدود

الاخدود حفرة عميقة في الارض تضرم فيها النيران، كان الملوك فيما مضى من الزمان يلقون فيها من خالف دينهم، وقد اشتهر في السير ثلاثة اخاديد، احدها في بلاد فارس في بابل، والثاني في بلاد الروم في القسطنطينية، والثالث في بلاد العرب في نجران اليمن (البداية والنهايةج٢ص٢٤). والشاهد، ان الله سبحانه يخبرنا عن جماعة من المؤمنين، اكرهوا على الكفر

ولكنهم ابوا وتمسكوا بإيمانهم، فخدت لهم اخاديد اضرمت فيها النيران والقوا فيها. وجلس الكفرة حول النار يشهدون عذابهم، قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ **[البروج: ٤-٨]، فتوعد سبحانه الكفرة بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة قال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ **[البروج: ١٠]قيل تعاظمت النار وهم على حواف الاخدود، يشاهدون عذاب المؤمنين فأحرقتهم فذلك عذاب الدنيا، ولهم في الاخرة عذاب جهنم. اما المؤمنين فقد وعدهم سبحانه بالفوز قال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ **[البروج: ١١].**

وقد اخترت قصة اخدود اليمن، كونها في بلاد العرب وهي الاكثر شهرة. (قال ابن عباس: كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له ذو نواس، وكان له ساحر حاذق. فلما كبر قال للملك: إني كبرت فابعث إلي غلامًا أعلمه السحر، فبعث إليه غلامًا اسمه عبد الله بن الثامر ليعلمه، فجعل يختلف إلى الساحر وكان في طريقه راهب، فقعد إليه الغلام فأعجبه أمره، فصار يقعد اليه في ذهابه وإيابه، واخذ عنه الايمان بالله، وكان في البلد حية عظيمة قطعت طريق الناس فمر بها الغلام فرماها بحجر فقتلها فأتى الراهب فأخبره. فقال له الراهب: إن لك لشأنًا وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدلن علي. واشتهرعن الغلام انه يبرئ الأكمة والأبرص ويشفي الناس. وكان للملك ابن عم أعمى فسمع بما يفعل الغلام، فذهب اليه وقال: ادع الله أن يرد علي بصري. فقال الغلام: إن رد الله عليك بصرك تؤمن به قال: نعم. فدعا الله وقال: اللهم إن كان صادقًا فأردد عليه بصره. فرد الله له بصره.

ثم دخل الرجل على الملك فلما رآه تعجب منه وسأله كيف رد بصره، فلم يخبره ولما ألح عليه دله على الغلام فجيء به فقال له: لقد بلغ من سحرك ما أرى. فقال: أنا لا أشفي أحدًا إنما الله يشفي من يشاء، فقال: من الله. فقال:



ربي وربك. فقال: ولك رب غيري، ولم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجيء به فقال له: ارجع عن دينك فأبى فأمر به فوضع المنشار على رأسه فشق بنصفين ثم جيء بابن عم الملك فقال: ارجع عن دينك فأبى فشقه قطعتين ثم قال للغلام: ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه وقال لهم اذهبوا به إلى جبل كذا فان رجع وإلا فاطرحوه من رأسه فذهبوا به إلى الجبل فقال اللهم اكفنيهم! فرجف بهم الجبل وهلكوا ورجع الغلام إلى الملك فسأله عن أصحابه فقال: كفانيهم الله. فغاظه ذلك وأرسله في سفينة إلى البحر ليلقوه فيه فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم! فغرقوا ونجا وجاء إلى الملك فقال: اقتلوه بالسيف فضربوه فلم يقطعه. ولما فشا خبره في اليمن أعظمه الناس، وطمع الغلام في ايمانهم فقال للملك: إنك لن تقدر على قتلي حتى تجمع أهل مملكتك وترميني بسهم وتقول: بسم الله رب الغلام. فجمع اهل مدينته وفعل ذلك فقتله. فامن الناس عن بكرة ابيهم (اجمعين). فقيل للملك: قد وقع ما كنت تحذر. فأغلق أبواب المدينة وجعل أخدودًا عظيما، وأضرم فيه النار ثم عرض الناس فمن رجع عن دينه تركه ومن لم يرجع ألقاه في الأخدود فأحرقه. وكانت امرأة مؤمنة وكان لها ثلاثة بنين أحدهم رضيع فقال لها الملك: ارجعي وإلا قتلتك أنت وأولادك فأبت فألقى ابنيها الكبيرين فأبت ثم أخذ الصغير ليلقيه فهمت بالرجوع. فقال لها الرضيع: يا أماه لا ترجعي عن دينك، ولا بأس عليك فانك على الحق! فألقاه وألقاها في أثره وهذا الطفل أحد من تكلم صغيرًا. (الكامل ج١ص٨) باختصار. قلت: ونجران معروفة وبالقرب منها على جانب الوادي، قريتان هما الاخدود وابن التامر. رأيت فيهما من الآثار ما أوقع في ظني ان القصة حصلت فيهما والله أعلم.

قصة مملكة سبأ

تذكر كتب التاريخ ان مملكة سبا وعاصمتها مأرب، قامت في اليمن جنوب جزيرة العرب، في القرن العاشر قبل الميلاد تقريبا، وامتد نفوذها الى الحبشة على شواطئ البحر الاحمر، واستمرت في فترات ازدهار وتراجع، حتى استولت عليها دولة حمير في اواخر القرن الثالث بعد الميلاد، ومن اشهر ملوكها بلقيس صاحبة نبي الله سليمان (عليه السلام)، واشهر قصصها قصة سد مأرب، الذي بني في اوج ازدهارها في القرن الثامن قبل الميلاد، (أو على الأرجح القرن السابع قبل الميلاد حيث ورد في نقش مثبت على مبنى المصرف الجنوبي للسد اسم المكرب «يثع أمر بين بن سمه علي“ (هكذا في

المصدر) الذي أختط مدينة مأرب وأصبح أحد مكاربة القرن السابع قبل الميلاد). وقد تَهدَّم السد أربع مرات بسبب تراكم الترسبات في حوضه، كانت آخرها في عهد أبرهة الحبشي سنة ٥٥٢ ميلادية. والباقي حاليا من السد بعض معالم جداره، ومباني المصرفين الشمالي والجنوبي، إضافة إلى القناتين الرئيسيتين اللتين كانتا تربطان المصرفين بالجنتين، ومقاسم المياه في الجنتين ـ الأراضي الزراعية الشمالية والجنوبية ـ، وهي سدود تحويلية صغيرة تقسم المياه التي تصلها من القناتين الرئيسيتين. (مملكة سبأ، ويكيبيديا) باختصار وتصرف.

كان اهل سبا مؤمنون وذلك فيما يبدو، بعد لقاء سليمان عليه السلام بملكتهم وإيمانها بالله، حيث قيل والله اعلم انها هي التي اشارت عليهم ببناء السد، (المنتظم ج٢ص١٩) فبنوه وانتفعوا بما كان يجمع لهم من المياه. وكان سدا عظيما يحجز المياه، التي كانوا يروون بها منطقتين زراعيتين على جانبي الوادي، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]، وكانت بلادهم مزدهرة عامرة متقاربة القرى امنة المسالك، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨]، وبعد ازمان تبدلت حالهم ونقص ايمانهم، قال تعالى: ﴿وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [سبأ: ١٩] كفروا بالله وعادوا الى عبادة الشمس التي كانوا يعبدونها من قبل، وطلبوا السفر والترحال قالوا: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩]، فلما كان منهم ذلك حق عليهم العذاب قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ [سبأ: ١٦] انهار سد مأرب وتهدم وفاضت المياه فأغرقتهم، وخربت جنتيهم قال تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ

أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ [سبأ: ١٦] أبدلهم الله بجنانهم النضرة وفواكههم الكثيرة، وخيرات مزارعهم، ابدلهم بذلك اراض جرداء لا تكاد تنبت لهم، إلا القليل من الخمط وهو الاراك والسدر وهو النبق، وهما قليلا الثمر، كذلك الاثل وهو غير مثمر، كذلك شتتهم في الامصار قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ [سبأ: ١٩] (فنزلت طوائف منهم الحجاز، فخزاعة نزلت ظاهر مكة، ونزلت الاوس والخزرج المدينة، ومنهم من نزل الشام، كغسان وعاملة ولخم وغيرهم، ومنهم من تفرق في انحاء اليمن، (البداية والنهايةج٢ص٢٥)). فكان ذلك جزاء كفرهم قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ [سبأ: ١٧].

قصة المؤمن والكافر

ضرب الله لنا مثلا لنعتبر فقال سبحانه: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ﴾ [الكهف: ٣٢] يقول: كان فيما مضى رجلان من اصحاب الاموال كانا صديقين، احدهما مؤمن انفق كل ماله في طاعة الله وعمل الخير، ولم يترك لنفسه إلا اقل القليل، مما يقيت به نفسه وأهله، وعاش عيش الفقراء، راضيا بما انعم الله به عليه من نعمة الاسلام، وكان صاحبه كافرا امسك ماله، فاشترى بستانين قال تعالى: ﴿جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا﴾ [الكهف: ٣٢]. كان البستانان عظيمين، فيهما من انواع الاشجار الوارفة المثمرة والأعناب، يحيط بهما النخيل من كل جانب كالسور، وفيهما أرض منبسطة مزروعة بأنواع الخضر والبقول، وكان يخترقهما نهر دائم الجريان قال تعالى: ﴿وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا﴾ [الكهف: ٣٣]، وكان البستانان يعطيان الكثير من الثمر والخير، قال تعالى: ﴿كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ [الكهف: ٣٣].

وبعد زمن التقى الرجلان فلام الغني الفقير على ما فعل في ماله، وسخر منه وتكبر عليه قال: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ [الكهف: ٣٤] وجحد نعمة الله فقال: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا﴾ [الكهف: ٣٥] اي ان ما عندي من المال باق الى الابد لا يزول وقال: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾ [الكهف: ٣٦] كفر بالله وأنكر قيام الساعة ويوم الحساب، ولشدة كفره وجحوده وعظم اغتراره بنفسه قال: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا﴾ [الكهف: ٣٦] اي وان بادت اموالي وقامت الساعة وعدت الى الله، فسأجد مالا خيرا من مالي، وسأجد عنده خيرا مما انا فيه، فقال له صاحبه الفقير: ﴿أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا﴾ [الكهف: ٣٧] ذكره بنعم الله

عليه (وعلى الانسان عموما)، قال ما انت إلا من تراب مهين ومن نطفة قذرة، انعم الله عليك فصيرك رجلا قويا وأعطاك مالا كثيرا، وبعد ذلك تكفر به وتجحد نعمه؟ ثم قال: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾ [الكهف: ٣٨] قال اما انا فمؤمن بالله وحده لا شريك له، معترف بنعمه حامد شاكر، ثم نصحه قال: ﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف: ٣٩] قال الاجدر بك حين تدخل بساتينك ان تحمد الله وتشكره على نعمه فلا حول ولا قوة إلا به سبحانه، ثم قال اما ما ترى من قلة مالي وولدي، فلا يضيرني ذلك ولا يؤذيني، فاني اعلم ان الله قادر على ان يعطيني اكثر مما اعطاك، ولكني راض بما عندي قانع به حامد شاكر لله سبحانه، ثم حذره نقمة الله وسخطه قال: اتق الله فهو قادر على ان يرسل صاعقة تحرق مالك، او زلزالا يدمر بساتينك فتغور عيونها ويجف نهرها، فتصبح قاحلة لا ماء فيها ولا زرع. ولكنه اصر على كفره وغروره، حتى دخل ارضه يوما فوجد ما حذر منه، قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾ [الكهف: ٤٢] اي دمرت بساتينه وتلفت ﴿فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [الكهف: ٤٢]، اي اخذته الحسرة والندم على ما انفق في اعمارها والعناية بها، وعاد الى الله قال: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾ [الكهف: ٤٢] ولكن ندمه جاء متأخرا حين لا ينفع الندم، فلا غناه، ولا كثرة ولده عصمه من أمر الله قال تعالى: ﴿ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ [الكهف: ٤٣].

وفي القصة عبر جليلة، فلا يجوز الركون الى الدنيا وبهجتها فإنها زائلة، ولا يبقى إلا ما قدم لله من الطاعة والولاء والإيمان بحوله وقدرته سبحانه، وفيها الحث على التناصح والتذكير بما لله على خلقه من الحق العظيم، وفيها التذكير لمن اخطأ ان يسرع الى الاستغفار والعودة الى الله، قبل ان لا ينفع ندم ولا استغفار. (التفاسير).

قصة اصحاب الجنة (الحديقة)

قيل كان لرجل من اهل اليمن حديقة، وكان الرجل صالحا فإذا كان موسم الحصاد، جمع الرجل حصادة من نتاج حديقته، فاحتجز حاجته وقوته وقوت عياله، وتصدق بما بقي، واستمر على ذلك زمنا الى ان توفاه الله، فورثه ابناؤه وكانوا ثلاثة، فلما صارت الحديقة اليهم وجاء موعد القطاف، رأوا ان يجمعوا الثمر ويقتسموه كاملا فيما بينهم، ولا يتصدقوا بشيء منه، واتفقوا على يوم يخرجون فيه لذلك مبكرين حتى لا يراهم الفقراء والمساكين فيلحقوا بهم، وذلك على عادتهم زمن الشيخ رجاء ما كان يعطيهم من الصدقة، قال تعالى: ﴿إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم: ١٧] وكانت قلوبهم فاسدة ونياتهم اكثر فسادا، قالوا سنفعل ولم يقولوا ان شاء الله، قال تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ [القلم: ١٨]، لم يردوا المشيئة لله، فأرسل الله عليها في الليل صاعقة احرقتها قال تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٩-٢٠] لم يبق منها شيء لا ثمر ولا شجر.

فلما كان الصباح خرجوا اليها للقطاف، وأوصى بعضهم بعضا: ﴿لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ [القلم: ٢٤] اي: اغلقوا باب الحديقة وامنعوا الفقراء والمساكين، من الدخول عليكم كما كانوا يدخلون على ابيكم، فلما وصلوها وجدوا ارضا قاحلة لا شجر ولا زرع قالوا: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ [القلم: ٢٦]، شكوا أنهم ضلوا الطريق الى حديقتهم، فلما ذهبت السكرة وجاءت الفكرة، واستيقنوا انها حديقتهم قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [القلم: ٢٧]، بل هي حديقتنا حرمنا الله اياها، بسبب ما اضمرنا من سوء النية، واخذ بعضهم يلوم بعضا على سوء طويتهم، فقال اوسطهم وكان خيرهم: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨] اي: لو انكم احسنتم النية، ولم تعزموا على حرمان الفقراء، وقلتم ان شاء الله لكان خير لكم، قالوا: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [القلم: ٢٩] اقروا بسوء صنيعهم وبظلمهم لأنفسهم، واستغفروا الله معترفين

بذنبهم وباستحقاقهم العقوبة، ولكن ذلك كان بعد ان سبق السيف العذل، وبعد ان وقعت العقوبة حيث لا ينفع الندم. (التفاسير).

قصة العابد الذي اغواه الشيطان

قيل كان فيما مضى في بني اسرائيل عابد، قد اعتزل في صومعة يعبد الله، وكان مجتهدا في عبادته، فعزم الشيطان على اغوائه، فأصاب جارية بالمس فصرعها، ثم القى في قلوب اهلها ان دواءها عند العابد، فاتوا بها اليه فأبى ان يقبلها، فالحوا عليه فقال اجعلوا لها بيتا خارج صومعتي، ففعلوا وتركوها عنده، فكان يأتي بيتها فيداويها ثم ينطلق الى صومعته، وإخوتها يتناوبون عليها بالزيارة، فعمد الشيطان الى العابد فزينها في نفسه حتى وقع عليها، فلما ظهر حملها؛ اتى الشيطان العابد فقال له: لو اطلع اخوتها على صنيعك قتلوك، فاقتلها وادفنها فذلك اسلم لك، ففعل، فلما جاء اخوتها ولم يجدوها، سالوا العابد فقال: كانت خير امرأة، ماتت فدفنتها، فصدقوه لما يعلمون من ورعه وتقواه، فلما انصرفوا القى الشيطان في روعهم لما ناموا، ان العابد فجر بأختهم فقتلها، فنبشوا قبرها فوجدوها مذبوحة فيه، فاشتكوه الى الحاكم، فأخذوه ليصلب، فجاءه الشيطان فقال له: انا ابتليتك ولا ينجيك إلا ان تسجد لي سجدة واحدة، ففعل، فلما صلب تخلى الشيطان عنه فقال: أنجيني فقد سجدت لك فقال الشيطان: انا بريء منك اني اخاف الله رب العالمين، فمات مفضوحا مصلوبا خسر الدنيا والآخرة. والله اعلم، قال المفسرون وفي ذلك نزل قول الله سبحانه: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الحشر: ١٦] فكانت عاقبته كالشيطان، نار جهنم خالدا فيها قال تعالى: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الحشر: ١٧] (المنتظم ج٢ص١٩) (البداية والنهايةج٢ص٢٤) (التفاسير) بتصرف.

قصة لقمان الحكيم

اختلفت قصص الرواة في اسمه وصفته، فقيل كان عبدا حبشيا، وقيل كان عبدا من اهل النوبة، وقيل من السودان، وقيل رجل صالح من بني اسرائيل كان فيهم قاضيا، وقيل كان غير ذلك. كما وقع خلاف في هل كان نبيا

ام لم يكن، ولكن الثابت انه رجل صالح آتاه الله الحكمة، قال الطبري في التفسير: (يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا لقمان الفقه في الدين والعقل والإصابة في القول). وروى عن مجاهد قوله: (وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمان الحِكْمَةَ) قال: الفقه والعقل والإصابة في القول من غير نبوّة. كما روى عن قتادة قوله: (وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الحِكْمَةَ) أي الفقه في الإسلام، قال قتادة: ولم يكن نبيا، ولم يوح إليه. ولقد سكت القران الكريم عن اسناد صفة النبوة اليه، كما لم يؤثر عن رسول الله قول في ذلك، وهذا يؤيد ما ذهب اليه مجاهد وقتادة، من انه لم يكن نبيا، ولكنه رجل من الصالحين. والله اعلم. والحاصل انه رجل حكيم من الصالحين، كان فيمن سبقنا من الامم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ **[لقمان: ١٢] وقد ذكر الله سبحانه ما كان من وصاياه لولده قال:** ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ **[لقمان: ١٣] اوصى ولده بتوحيد الله وعدم الشرك، فالشرك ظلم عظيم، فأولى بالعبد ان يوحد من خلقه ورزقه وهداه، فان لم يفعل فقد ظلم نفسه، وعق مولاه وجحد نعمته وذلك اكبر الظلم وأعظمه، ووصاه بتوقير والديه وحفظ عظيم حقهما، وخص بالذكر امه لما لها عليه من حق الحمل، لما فيه عليها من المشقة، مع مشقة الولادة والإرضاع والتربية، قال تعالى:** ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ **[لقمان: ١٤] وبين له ان برهما والإحسان اليهما من شكر الله وطاعته قال تعالى:** ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ **[لقمان: ١٤] ثم بين له ان حقهما عليه مهما بلغ، لا يستوجب طاعتهما فيما يخالف شرع الله وتوحيده، فان كانا كافرين وأمراه بالكفر، فلا طاعة لهما في معصية الله، ولكنها صحبة وإحسان لحق الابوة لا غير. ثم بين له ان كل عمل ابن ادم هو مجزي به صغر ام كبر، خيرا كان ام شرا، وانه مهما خفي فالله عالم به ومحضره قال تعالى:** ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ **[لقمان: ١٦].**

ثم وجهه الى العبادة فأمره بالصلاة، وهي اخف العبادات واقلها مشقة،

ولكنها مع ذلك اهمها وأعظمها، بعد الاسلام، فهي الحد الفاصل بين الاسلام والكفر، روى الترمذي (٢٨٢٩) من حديث جابر عن رسول الله ﷺ قال «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة» وقال حسن صحيح. فمن جحدها وأنكرها فقد دخل في حوزة الكفر والعياذ بالله، فهي عمود الدين الذي لا يقوم إلا بها، وروى في الحديث رقم (٢٨٢٥) من حديث معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ قال «راس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد» وقال حسن صحيح، كذلك امره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهما امران هينان سهلان، إلا انهما عظيمان لما فيهما من مظنة النفور بل وحتى المعاداة، من قبل من قل دينه او ساءت طويته، مما يستلزم الصبر والثبات، فكلا الامرين، الصلاة من جهة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جهة اخرى، لسهولتهما ويسرهما قد يتهاون العبد فيهما، لجهل او استهانة، فمن اداهما وصبر عليهما، عد ذلك له من العزم قال تعالى على لسان لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، اما الصبر فهو من اعظم ما يستوجب فلاح العبد وفوزه برضى الرب، قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١-٣].

بعد ذلك وجهه الى ادب التعامل مع عباد الله، بالرفق واللين وعدم التكبر والاستعلاء، وبعدم التبختر والخيلاء قال: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾ [لقمان: ١٨]، (وتصعير الخد هو امالته عن الناس استكبارا)، وأمره بالاعتدال في مشيته فلا يسرع فوق الحاجة ولا يتأنى دونها، وبعدم الصخب ورفع الصوت على وجه التعاظم والاستكبار قال: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]، بين له ان من اعلى الاصوات صوت الحمار ولكنه انكر الاصوات، وأكثرها ايذاء لمن سمعه. تلك قصة لقمان الحكيم عليه السلام، جعلنا الله ممن يتبعون امره ويجتنبون نهيه، ولا حول ولا قوة إلا بالله سبحانه.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋



تم باب القصص والحمد لله



الخاتمة

بعد ان تم هذا البحث بحمد الله وتوفيقه. وبعد البحث والدراسة في القران الكريم، كتاب الله عز وجل وشرعه. وبعد دراسة عدد من كتب التفسير المعتمدة، وكتب الحديث الشريف، والسيرة العطرة. ودراسة عدد من كتب التاريخ والسير، وما لزم الدراسة من كتب وأبحاث اخرى. كل ذلك على مدى ثلاثين شهرا. أستميح القراء عذرا في ان اختم ببعض ابيات من شعري، اقتطفتها من بعض قصائدي، سائلا الله سبحانه ان يتقبل مني هذا الجهد البسيط لخدمة كتاب الله، وان يجعله في ميزان حسناتي، وعلى الله قصد السبيل، والصلاة والسلام على سيدي رسول الله خاتم النبيين، وآخر دعواي ان الحمد لله رب العالمين.

نفحات من بعض قصائدي

شهر التقى

يا قارئ القرآن بشرى انه نعم   الرفيق على الصراط لوافد
(إقرأ) هدى لمؤمل يلقى بها   ملك الملوك بصبوة المتودد
والتوبة الغراء ضاع عبيرها   بردا على قلب التقي المسعد
سور تدافع بعضها مأذون   أن لا تضام فطب بها من ذائد
يا نفس دونك جنة قد أزلفت   فاستمسكي حبل التقى وتشددي
يا نفس إن تبغي النجاة فإنها   صبر وإيمان وحسن تودد
والباقيات الصالحات لمن سعى   ذخر لمن رام السلامة في غد
تطوى الحياة كأنها حلم مضى   فالى نجاة او الى حظ ردي
دربان من سلك الأمان فآمن   أو درب شؤم للشقي المبعد

العمر يومان

تصبر ان تعسر ما يرام   ففي الصبر الغنيمة والسلام
وان انست من رغد فطاما   وان دنياك ابلاها السقام
وان ضاقت فلا تنسى كريما   فشد اليه رحلك لا تضام
اقم بالباب وادعوا مستجيرا   واخلص بالرجا يصل المرام
فما عند الكريم سوى عطاء   سخي باذخ وله دوام
اذا اعطى تفضل غير وان   فمنه تعلم الكرم الكرام

وان ابطى العطاء ففيك عيب ... وفيك نقيصة وبها حرام
فما نضحت كؤوسك منه تسقى ... وما اجترحت يداك به تلام
وما أوكت يمينك سوف يحصى ... فأنت رهينه انت الملام
وما الايام إلا درب سار ... له امد وبعد له مقام
فيوم من رخاء فيه وصل ... وآخر قد يكون به صرام
تزود فالرحيل له اوان ... قريب ليس يخطئه الانام
وخير الزاد ايمان وتقوى ... فان الدرب أخره الحمام
وان العمر ليل او نهار ... وفوق متونها موت زؤام

من أجل عينيها

يا زائر الأقصى ومسرى الأنبياء ... بلغ ضنا روحي وشوقي والرجاء
واخلع بها نعليك والهج بالدعاء ... فترابها مسك ورمس الأولياء
وأقم على باب الخليل فكم به ... جسد طهور صانه رب السماء
سبح بحمد الله واسجد خاشعا ... فلعل تظفر من شفيعك بالثناء

عذرا رسول الله

بابي الشفيع الملهم الوضاء ... يا خير من حملت به الغبراء
يا كنز هذا الكون منذ تكونت ... بسنا المشيئة هذه الأجواء
يا صادق الوعد المشفع حينما ... جأر الخلائق والرجاء نجاء
جثت الملوك أذلة في شدة ... عند المليك وخانها الرفقاء



يــا خيــر خلــق الله فيــك وســيلتي ... لله حــــين تـــــردد الشــــفعاء

فلقــد ســالت لــك الوســيلة موقنــا ... بالوعــد يــوم الكــرب منــك وفــاء

اشـــفع فـــديتك إننــــي متوســـم ... خيـــرا فكفـــك مــــانح معطـــاء

يـــا نعمـــة ســكبت فكانـــت بلســما ... قـــد اشـــرقت نـــورا وفـــاض ضـــياء

جـــاوزت افـــلاك الســـماء فخامـــة ... وعلـــوت مهمـــا ارجـــف الجبنـــاء

مـــن رام ذمـــك يبتغـــي شـــرفا فمـــا ... أثــــوى بــــه وأظلــــه الافنــــاء

وطوتـــه نــــار لا تمـــل عذابـــه ... وحثـــت عليـــه جحيمهـــا الرمضـــاء

يـــا ســـيدي عـــذرا فتلـــك براءتـــي ... مـــن شـــانئيك همـــوا لـــي الاعـــداء

روحـــي فـــداء المصـــطفى ومحبتـــي ... كنــــز يشـــــرفني بهـــــا وثنــــاء

آمنـــــت ان الله فـــــرد واحـــــد ... والكائنــــــات وان ســــمت فهبــــاء

لمـــا تجلـــى الامـــر مـــن انـــواره ... صــــار الوجــــود اظلــــه الاحيــــاء

وازدان هـــذا الكـــون مـــن آلآئـــه ... نعمـــا تفـــيض وعمـــه الانمـــاء

مـــن حـــد رحمتـــه بعيـــد رســـفه ... لا حـــد يـــدرك، لا يـــرد رجـــاء

تم المجلد الأول بحمد الله وتوفيقه

ويليه المجلد الثاني بحول الله وقوته وتوفيقه إن شاء الله

مراجع الباب الثالث

- موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: www. qurancomplex. com
مصحف المدينة المنورة ـ خدمات حاسوبية للقران الكريم وعلومه، ويحوي إضافة إلى المصحف الشريف، تفسير ابن كثير، تفسير الطبري، تفسير السعدي، تفسير البغوي، التفسير الميسر
- مصحف المدينة المنورة للنشر الحاسوبي
- موقع: www. al-eman. Com نداء الإيمان: الكتب
- كتاب: مسند أحمد: أحمد بن محمد بن حنبل
- كتاب: صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري
- كتاب: البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي
- كتاب: صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري
- كتاب: صحيح ابن حبان: محمد بن حبان
- كتاب: الكامل في التاريخ: علي بن محمد بن عبد الكريم، ابن الأثير
- كتاب: القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزبادي
- كتاب: مسند أبي داود الطياليسي
- كتاب: معرفة الصحابة: ابو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني
- كتاب: الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد ابن حجر العسقلاني
- كتاب: أسد الغابة في معرفة الصحابة: علي بن محمد ابن الأثير
- كتاب: السيرة النبوية: عبد الملك بن هشام المعافري
- كتاب: الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع الزهري
- كتاب: مسند البزار: أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر البزار
- كتاب: المستدرك على الصحيحين: للحاكم النيسابوري
- كتاب: مجموع الفتاوى: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية
- كتاب: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي
- كتاب: سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي
- موقع: dahsha. com/old/viewarticle. php?id=26910 11/ 1/ 2012
- انجيل يوحنا ٢٠١٢/١/٢٢ enjeel. com/bible. php?op=read&bk
- http: //st-takla. org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-

Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/01-Sefr-El-Takween/Tafseer-Sefr-El-Takwin-01-Chapter-16. html22/1/2012 تفسير سفر التكوين ١٦

- موقع (http: //www. ebnmaryam. com/althabee7. htm20/1/2012)
- www. islamnoon. com/ismail. htm 25/1/2012
- http: //st-takla. org/pub oldtest/01 gen. html سفر التكوين ٢٠١٢/١/٢٢
- http: //st-takla. org/pub_oldtest/01 gen. html سفر ارميا٢٠١٢/١/٢٢
- موقع (http: //ar. wikipedia. org/wiki مملكة سبأ) ٢٠١٢/٣/٧
- youtube. com/watch?v=Bmba46wQX7k (مكان يأجوج ومأجوج)
- http: //ar. wikipedia. org/wiki اقباط
- youtube. com/watch?v=1ucbMMupctk احمد ديدات
- موقع: worldmapfinder. com (خريطة جمهورية الصين الشعبية)
- كتاب: طبقات الامم لأبي صاعد الاندلسي، تحقيق الاب لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت ١٩١٢
- موقع: www. baheth. info/all. jsp?term (لسان العرب)
- http: //st-takla. org/pub_oldtest/02_exod. html#13 الخروج ٢٠١٢/١/٢٢
- ديوان أغاريد الجراح، علي بن خيري آل جرار
- ديوان ترانيم، علي بن خيري آل جرار.

الفهرس







